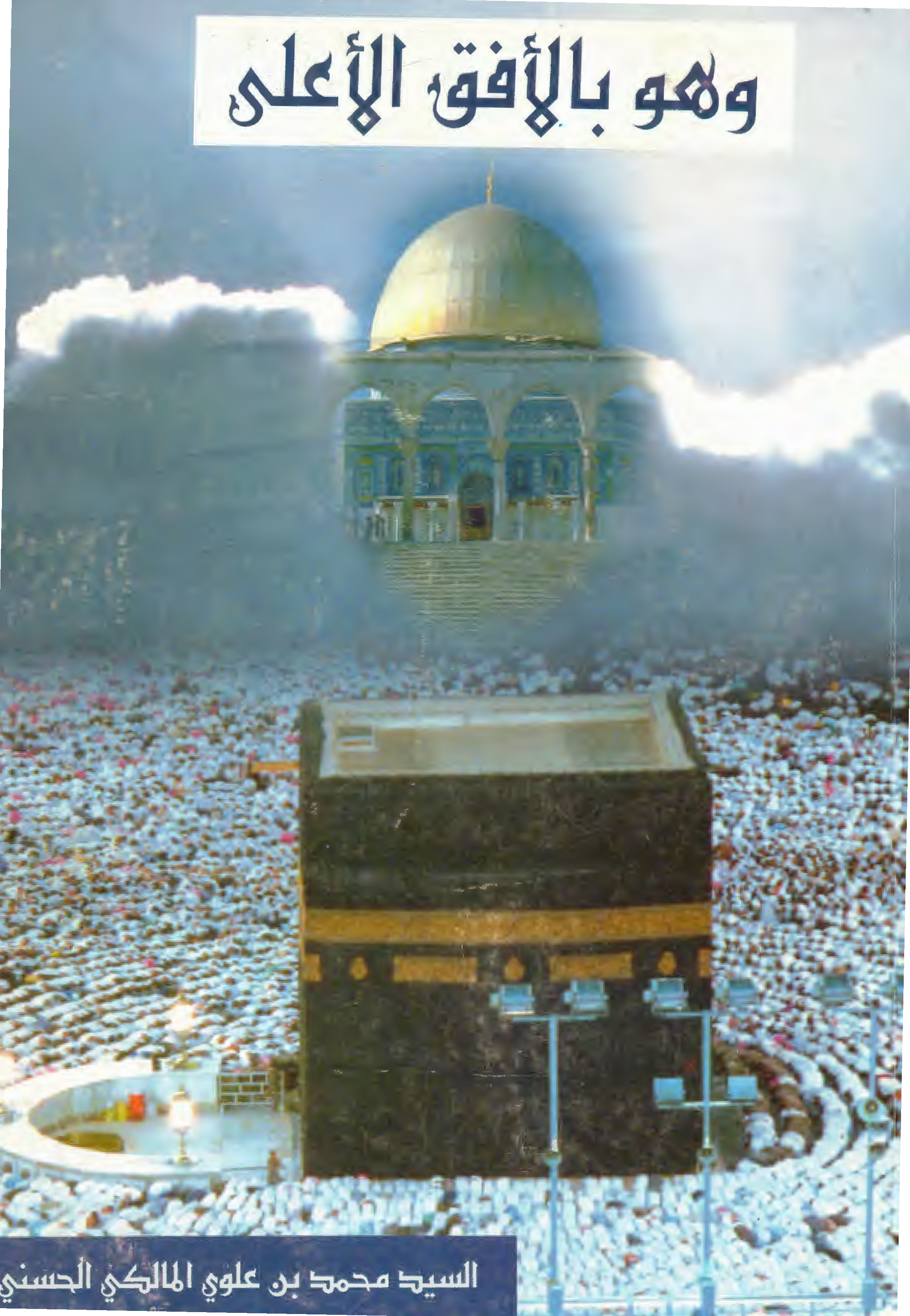
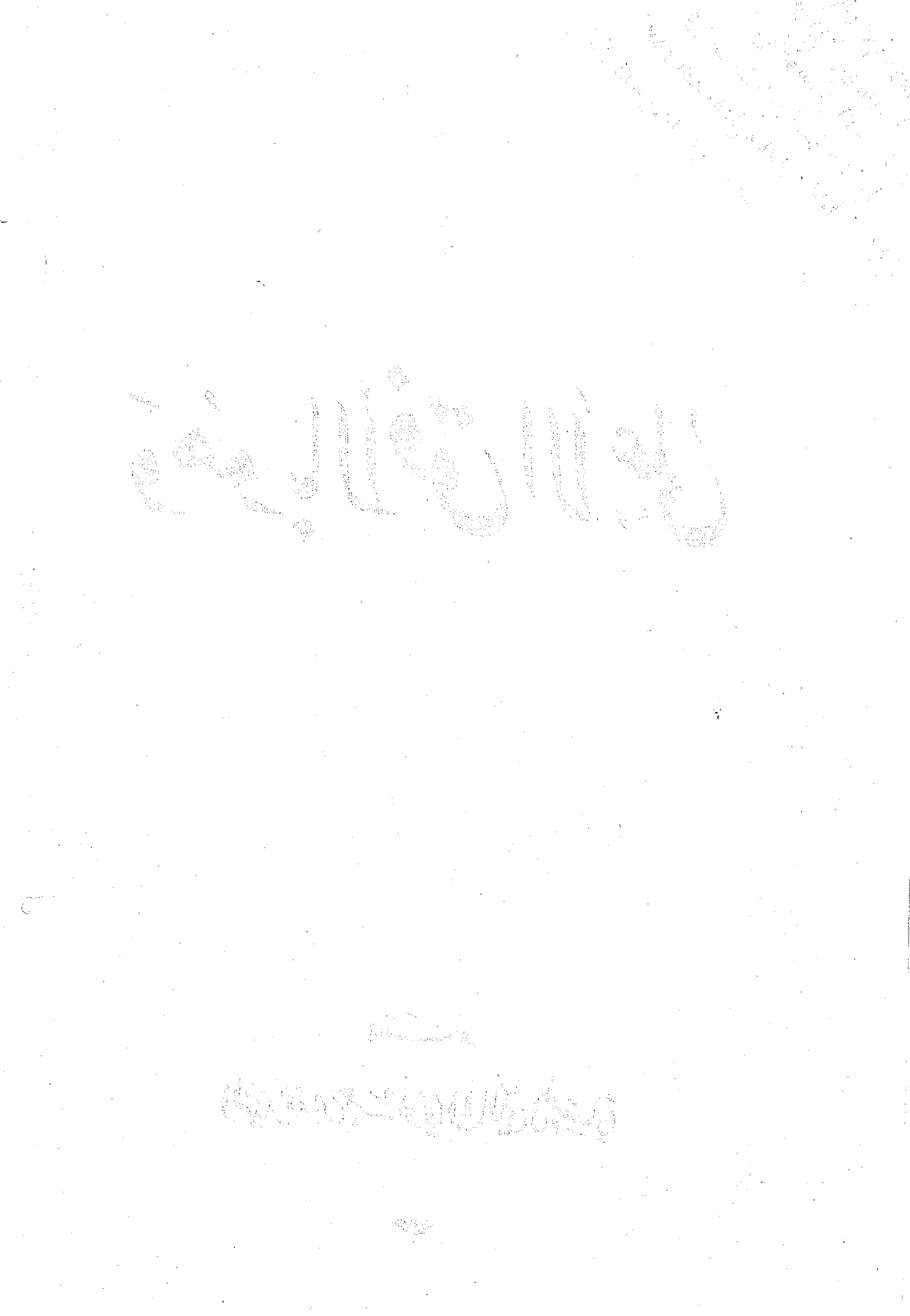
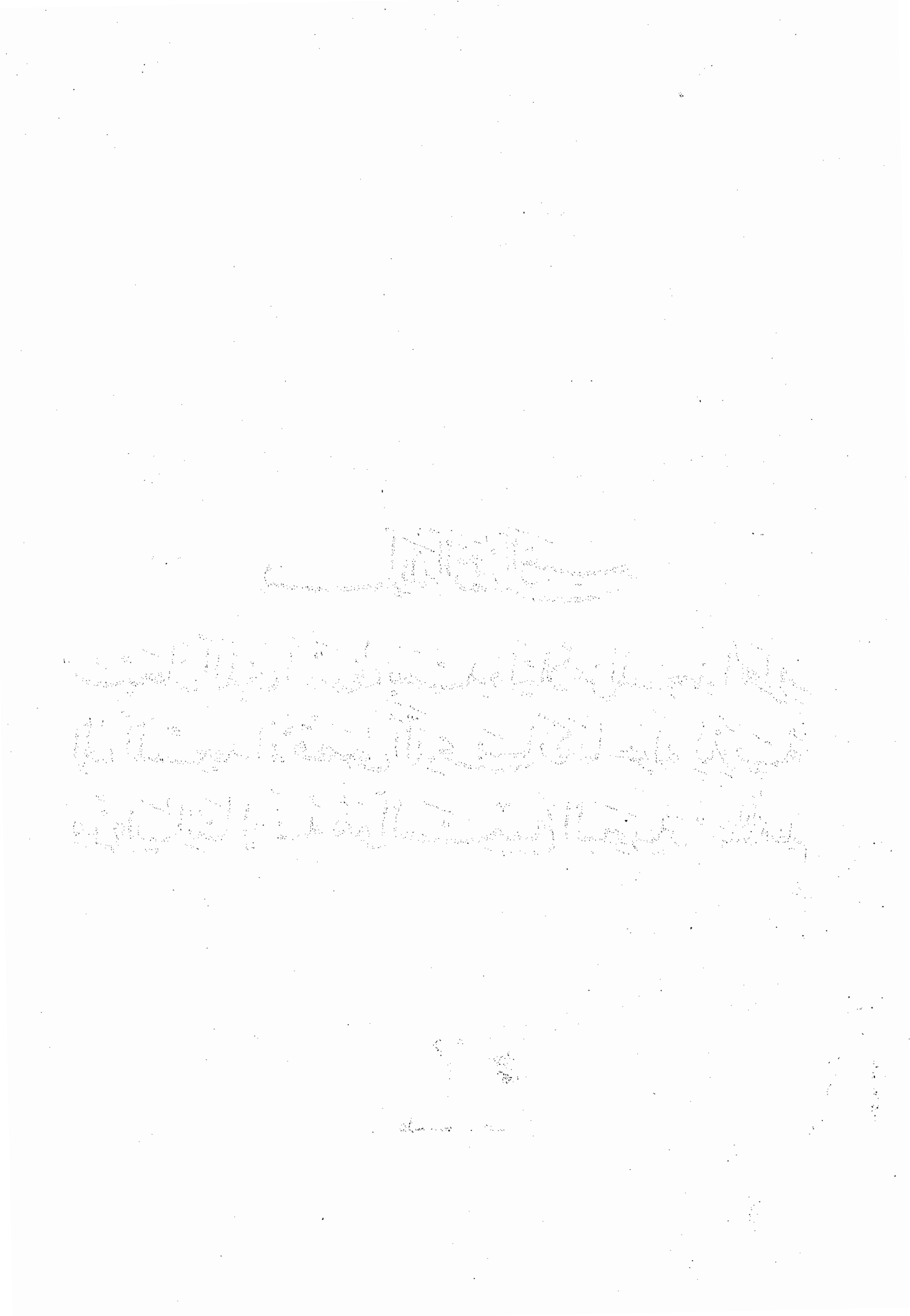

وهو بالأفق الأعلى
السيد محمد بن علوي المالكي الحسني



بسم الله الرحمن الرحيم

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه
من آياتنا إنه هو السميع البصير" صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى الأخرى * وأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فأعظم بذلك فخرا * وقدمه جبريل فصلى بالأنبياء والمرسلين ليعلم به أنه الإمام الأعظم وأنه بذلك المقام أحرى * ثم رقى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فظهر لمستوىً سَمِعَ فيه صَرِيف الأقلامِ ورأى من آيات ربه الكبرى * وتجلى له وخاطبه وثبت فؤاده وأعطاه سؤله وأعظمْ له بذلك أجرا * فسبحانه من إله نزه نفسه بنفسه فى مقام الإنباء عن الإسرى * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تتوالى علينا إمداداتها تترى * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى بعثه رحمةً للعالمين وكنزاً لهم وذخراً * صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيهم خصوصا وارثيه الذين أشاد الله تعالى لهم فى الخافقَين ذكرا * .

أما بعد : فقد اعتنى العلماء المسلمون والمفكرون والباحثون عامةً بالجناب المحمدى ومايتعلق به وقاموا بالتأليف والبحث والتحقيق بهمة قوية وجَدُّوا فى ذلك كل الجدّ وبذلوا كل الاهتمام وهو وإن كان لايفى بحقٍ هذه الشخصية الكريمة الجليلة العظيمة ولايُعطِى لهذا المقام حقه اللائق به الذى أنزله مولاه فى المكانة العظمى الفريدة الوحيدة لكنه فى الحقيقة يُعتَبرُ أعظم ماشهده التاريخ فى جميع أطواره من عناية واهتمامٍ لم يحصل مثله لأي شخصيةٍ فى الدنيا سوى محمد بن عبد الله ﷺ .

قال شيخ شيوخنا الحافظ المحدث المسند السيد محمد عبد الحي الكتاني[1] : قبل كل شئ أردنا أن نصارح المُطالِع المدقّق بأن الرجل الخرّيت لوجال وأطال الترحال وكشف عن ساعده تنقيباً وبحثاً فى خزائن الأرض طولها وعرضها ، لم يجد فى البشر على اختلاف وجوه العَظَمة والإكبار مَنْ تتبَّع الناسُ منه وقائعَ الميلاد وحوادث الوفاة وشتَّى الحركات والسكنات ، وأحوال الإقامة والتنقلات ، وأطوار الغضب والرضى ، ووقائع السلْم والحرب ، والعطاء والمنع والتحريم والتحليل ؛ غير فرد واحد فى العالم الإنسانى هو نبيُ المرسلين ورسول العالمين عليه أفضل صلوات الله وأزكى تحياته بحيث لو قُدّرَ لدولة عظيمة من الدول الأرضية أن تجتهد فى جمع كل ماكُتِبَ عنه - عليه السلام - لجمعت من ذلك خاصة مكتبةٌ عظيمةٌ لاتقصر عن أعظم مكاتب العالم .

نقول هذا مع العلم بما ضاع وأضاعه أهلُه وأحرقه أعداؤه من كتب هذا الشأن فى وقعة التتار واستيلاء الأسبان على الأندلس .

وربما تلتفت سائلاً هل سبقك أحد إلى هذا الإحساس والشعور ؟ فنجيبك بعبارة وجدناها لرجل عظيم من أوعية التاريخ فى الإسلام وهو الحافظ شمس الدين السخاوى الذى قال فى كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) : إنه لو حصل التصدِى لجمع اسمِ مَنْ كَتب فى السيرة النبوية لكان فى عشرين مجلداً فأكثر .

(١) فى كتابه (التآليف المولدية) ونقله عنه فى مقدمة يواقيت التاج .

هذه عبارته عما كُتب فى القرون الأولى إلى القرن التاسع ، فإذا زدتَ عليه ماكُتب بعده فى هذه القرون الأربعة انجلى الأمر على حقيقة ماذكرناه .

ثم قال : وهذا يدلك على اهتمام المسلمين بشئون نبيهم اهتماماً لم يشاركهم فيه رجال دين آخر . وهاهى خزائن الأرض مفتوحةٌ فى وجوه المطالعين ، وأغلب فهارسها مطبوعة . فهل يجد المطالع فيها المتتبِع مثل هذا أو بعضه للنصارى واليهود فى أنبيائهم أو للبوذية أو البراهمة فى زعمائهم؟ لا . . . لا . . .

ومعلومٌ أن القرآن المبين وحديث الرسول الصادق الأمين تحدثا عن الإسراء والمعراج كجزء من السيرة النبوية وعليهما يدور محْوَرَ كل ما ألَّفه علماء الإسلام فى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص الإسراء والمعراج وماشاهده أثناءهما من الأمور الخارقة التى لم يخص الله بها أحدا من الأنبياء والرسل(١) .

---

(١) مقدمة يواقيت التاج للسيد محمد الباقر الكتانى .

بيان بأسماء الكتب المؤلفة فى هذا الباب

ونذكر هنا أسماء الكتب التى أفردت بالحديث عن الإسراء والمعراج :

١ـ السراج الوهاج في حقائق المعراج ، للعلامة المشارك الشيخ أبى إسحاق محمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد الشافعى النُّعمانى المصرى تلميذ الحافظ ابن حجر المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد طبع بمصر بتحقيق وتعليق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا وهو رسالةٌ تقع فى سبعين صفحة .

٢ـ كتاب المعراج ، للإمام المفسر المحدث الأصولى الأديب أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيرى النيسابورى الشافعى المتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة وهو صاحب الرسالة القشيرية . ذكره الكتانى في مقدمة "يواقيت التاج" .

٣ـ رسالة فى المعراج، للعلامة الجليل المؤرخ الأثيل أبى الحسن علي بن محمد ابن خَلِيَّة اللخمى ساكن المرية ثم مراكش (ابن الأشبيلى) المتوفى بمراكش سنة سبع وستين وخمسمائة، قدم بالمعراج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدى وهو محاصر أغمات (وريكة) فى جمادى الأولى سنة إحدي وأربعين وخمسمائة فحظي عنده . ذكره الكتانى فى "اليواقيت" .

٤ـ كتاب الإسراء ، لمحدث الإسلام أحد الأئمة المبرزين الأعلام ، ذى الورع

والعبادة والتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقي الدين أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى الجماعيلى الحنبلى المتوفى سنة ستمائة .

قال الإمام أحمد القسطلانى رحمه الله تعالى فى "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" : أفاد الإمام الذهبى أن الحافظ عبد الغنى جمع أحاديث الإسراء فى جزأين ولم يتيسر لى الوقوف عليهما بعد الفحص الشديد . وأفاد الكتانى أنه مخطوط .

٥ـ الآية الكبرى فى شرح قصة الإسرا ، للحافظ المحدث جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة يشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : فى سرد الأحاديث الواردة فيه .

الفصل الثانى : فى حقيقته .

الفصل الثالث : فى تاريخه .

الفصل الرابع : فى نكت المعراج .

وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ محي الدين مستو .

٦ـ الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة ، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية ومسندها شمس الدين محمد بن يوسف ابن على الشامى ثم الدمشقى الصالحى نزيل البَرْقُوقيَّة بصحراء مصر القاهرة خارج باب مصر ، المتوفى بها سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، وقد

ظفرت بحمد الله بنسخة مخطوطة من هذا الكتاب واستفدت منها واعتمدتُ عليها ولخصت منها فوائد كثيرة في هذه الرسالة .

قال الحافظ الشامي في أول كتابه هذا :

أما بعد : فلمّا منَّ الله تعالى بفراغي من تأليف كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) المنتخب من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، الآتي من الفوائد بالعجب العجاب ، وقد زادت أبوابه على ألف وستمائة باب ، والله الموفق للصواب ، سنح ببالي أن أقتضب منه قصة المعراج وما أبداه العلماء فيها من محاسن الفوائد ونفائس الخرائد وألخّص الكلام على ذلك في سبعة عشر بابا :

الباب الأول : في بعض فوائد أوّل سورة الإسراء .

الباب الثاني : في بعض فوائد أوّل سورة النجم .

الباب الثالث : في اختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى ليلة المعراج .

الباب الرابع : في أي زمان ومكان وقع الإسراء به صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس : في كيفية الإسراء به صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس : في دفع شبه أهل الزيغ في استحالة الإسراء والمعراج .

الباب السابع : في الكلام على شق صدره الشريف تلك الليلة .

الباب الثامن : في الكلام على خاتم النبوة ومتى وُضِع .

الباب التاسع : في الكلام على بعض فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام

الباب العاشـــر : فى الكلام على البراق .

الباب الحادى عشر : فى الكلام على بعض فضائل بيت المقدس .

الباب الثانى عشـر : فى الكلام على رؤيته للأنبياء ليلة الإسراء .

الباب الثالث عشر : فى معرفة الصحابة الذين روَوا القصة .

الباب الرابع عشـر : فى سياق القصة .

الباب الخامس عشر : فى الكلام على بعض فوائدها وشرح مشكلها .

الباب السادس عشر : فى تخريج أحاديثها .

الباب السابع عشر : فى التنبيه على بعض أحاديثَ موضوعة افتراها فى المعراج من لاخَلاق له ، وتداولها جماعةٌ لاخِبْرة لهم بعلم الحديث فتعّين ذكرها لتُحذَر ، واعلم أنى لم أذكر فى هذا الكتاب حديثاً موضوعاً البتة ، إلا مانبهت عليه . وحيث أطلقت "القاضى" فالحافظ شيخ السنة أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى (بفتح التحتية وسكون الحاء وتثليث الصاد المهملتين وبالموحدة)، أو "الحافظ" فشيخ الإسلام وقدوة الحفاظ الأعلام أبو الفضل أحمد بن على بن حجر ، أو "الشيخ" فالحافظ شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ أبو الفضل جلال الدين بن أبى بكر السيوطى رحمهم الله تعالى وجعل مقرّهم دار السلام ، وسميتُ هذا الكتاب : (الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة) والله حسبى ونعم الوكيل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

قال الشيخ يوسف النبهانى فى "جواهر البحار" : لم أر فى المعاريج

أجمع وأنفع منه ، وكل من جاء بعده كالغيطى والأجهورى فإنما أخذوا جلّ فوائدهم عنه ، وقد اختصره كما سيأتى .

٧- الابتهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج ، للعلامة المحدث المسند نجم الدين أبى المواهب محمد بن أحمد بن على بن أبى بكر السكندرى ثم المصرى الغيطى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة .
وهو جزء كبير طبع بمطبعة بولاق المصرية ونَقل فيه فوائدَ كثيرةً من كتب الحافظ الشامى وزاد عليه ثم ساق قصة المعراج فى رواية واحدة ونسّقها ورتّبها ونظّمها ، ثم تكلّم على ماجاء فيها وأجاد وأفاد ، وقد استفدتُ منه كثيراً أيضا فى هذه الرسالة ، ومنه أخذ الدردير القصة وفصّلها فى رسالة مستقلة ، وكتب عليها حاشيته التى سأذكرها بعد هذا .

٨- الآيات البينات فى معراج سيد أهل الأرض والسموات ، للحافظ الشامى أيضا ، وقد أشار إليه فى السيرة ولعله هو السابق المسمى بالآيات العظيمة الباهرة فيكون له إسمان كما يحصل فى كثير من مصنَّفات العلماء السابقين .

٩- تأليف فى المعراج ، للعلامة المشارك و خصوصاً فى الأصول والأنساب والأدب ، جمال الدين محمد بن أبى بكر الأشخر اليمنى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة . ذكر الكتانى فى "يواقيت التاج" أنه مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط .

١٠- النور الوهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج ، للإمام العلامة الشيخ

علي الأجهوری المالکی . المتوفی سنة ست وستين وألف .

قال فيه الشيخ يوسف النبهاني فی "جواهر البحار" ٣/ ٤٢٩ : إنه اشتمل على فوائد كثيرةٍ متنوعة وإن أكثر تلك الفوائد نقلها من معراج الحافظ الشامی .

١١ - حاشية العلامة الكبير المشارك الصوفی الشيخ الجليل أبی البركات أحمد بن محمد بن أبی حامد العدوی المالكی الأزهری الخلوتی الشهير بالدردير ، المتوفی سنة إحدى ومائتين وألف ، على قصة المعراج التی جمعها الشيخ نجم الدين الغيطی فی كتابه الكبير ، وقد وضع الشيخ الدردير حاشيته هذه على قصة المعراج التی ذكرها الشيخ الغيطی فی كتابه الكبير فاقتصر بهذه الحاشية على القصة فقط التی ساقها الغيطی فی معراجه الكبير (الابتهاج) وهی حاشيةٌ مفيدةٌ جامعةٌ لخّص فيها كثيراً من الأقوال ، وجمع كثيرا من المسائل ، وقد اشتهرت وانتشرت هذه الحاشية مع القصة فی كثير من البلاد وصارت تقرأ فی المجالس والمجامع واستفدتُ منها كثيراً فی رسالتی هذه .

١٢ - النور الوهاج فی قصة الإسراء والمعراج ، للعلامة الإمام الفقيه المحقق الكاتب البليغ السيد زين العابدين بن محمد الهادی بن زين العابدين البرزنجی المدنی مفتی المدينة المنورة المتوفی سنة سبع وسبعين ومائة وألف .

قال عنه حفيده العلامة السيد جعفر البرزنجی : إنه جمع أحاديث

القصة الشريفة ورصعَّها أحسن ترصيع والتزم سردها على قافيتين من أنواع البديع ، يوقف في الأولى على تاء التأنيث قبلها تحتيةٌ مفتوحة مشدودة، وفي الثانية على الهاء قبلها ألفٌ ممدودة ، ناسقاً دراريها على نسق قصة المولد النبوي لجدّنا العارف بالله السيد جعفر بن حسن ، ناسجاً على منواله بنسجٍ رائق حسن . ونكتة الوقف في القافية الأخيرة على «آه» : التبركُ بذكر اسم الله والتأوه والتوجع من خشية الله والاتصاف بالصفة الإبراهيمية ﴿ إن إبراهيم لحليم أواه﴾(١) . وجعله على فصول بين كل فصل وفصل تعطيرة كتعطيرة المولد ، وهذا لفظها : «ضَوِّعِ اللهم معهده الشميم بنشرٍ غَوالٍ من صلاةٍ وتسليم ـ اللهم صل وسلم وبارك عليه» وقد نقله الشيخ يوسف النبهاني في «جواهر البحار» من (ص٤٤٨) إلى (ص٤٦١) من الجزء الثالث . طبع مستقلا بمصر والشام وإندونيسيا وسنغفوره وماليزيا مرات عديدة .

١٣ ـ تاج الابتهاج على النور الوهاج ، للعلامة الأديب المشارك السيد جعفر ابن إسماعيل بن زين العابدين المدني البرزنجي ، وهو شرحٌ لمعراج جده السابق المسمى "بالنور الوهاج" ، وقد طبع بمصر بالمطبعة الحميدية سنة ١٣١٤هـ وبهامشه قصة المعراج السابقة الذكر .

١٤ ـ قصة المعراج ، للعالم الفاضل الجليل اللوذعي النبيل قدوة المحققين العلامة المحقق العارف بالله الإمام السيد عثمان شطا بن العارف بالله تعالى السيد محمد شطا المكي رحمهما الله تعالى . طبع بمطبعة الشرقي

(١) هود : ٧٥

الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحمية سنة ١٣٣١هـ . وهو رسالةٌ مختصرة مسجوعة على طريقة الموالد ، اقتصر فيها على قصة المعراج فقط وكانت تقرأ فى المجالس بمكة .

١٥ ـ نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي المختار الرسول ، للعلامة الحافظ المحدث العارف بالله أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى الإدريسى الحسنى ، المتوفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف . ذكره الكتانى .

١٦ ـ المنهاج السامى مختصر المعراج الشامى ، للعلامة المشارك حسان زمانه وبوصيريه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى المتوفى بفلسطين سنة خمسين وثلاثمائة وألف ، اختصر فيه كتاب الحافظ الشامى ، فقال رحمه الله فى " جواهر البحار " (ج٣ ص ٣٧٤) : وقد اختصرته بإثبات فوائده وحذف مالاضرورة له فى شؤون المعراج سالكاً سبيل الاعتدال على أقرب طريق وأحسن منهاج ، وقد أثبته فى كتابه " جواهر البحار " ٣/ ٣٧٤ـ٤٢٩ .

١٧ ـ كتاب فى الإسراء والمعراج ، للعلامة الكبير الأصولى المحقق والمرجع فى الفقه الحنفى الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعى مفتى الديار المصرية المتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف بمصر .

١٨ ـ حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج ، معراجٌ نظمي للعلامة الأديب الشيخ محمد عارف أفندى الدمشقى الشهير بابن المنير ، يقول فيه بعد

الطالعة :

وبعدُ فالإيمانُ بالإسراء   وجوبُه حتمٌ بلا مراء
قد جاء فى القرآن نصا وضَّحاَ   وخبر المعراج أيضا صَحَّحَا

١٩ ـ المعراج النبوى ، للعلامة الجليل الشيخ حسن الشطى .

٢٠ ـ اختصار معراج الشطى ، للعلامة الصالح محمد الشطى ، اختصر فيه معراج والده المذكور .

٢١ ـ كتاب فى الإسراء والمعراج ، للعلامة الجليل المحدث الصوفى أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج السلمى المرداسى الكتانى طريقة ، المتوفى بفاس سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف .

٢٢ ـ رسالة فى المعراج ، لأبى العباس أحمد بن محمد العمرانى الحسنى الفاسى العلامة الجليل المؤلف المكثِر أحد كبار علماء جامعة القرويين الذين أفنوا أعمارهم فى التدريس المتوفى بفاس سنة سبعين وثلاثمائة وألف .

٢٣ ـ حلل الديباج المطروزة بقصة الإسراء والمعراج ، للفقيه العلامة المؤلف المجيد أبى العباس أحمد بن محمد الرهوانى التطوانى وزير العدل بشمال المغرب وشيخ الجماعة بتطوان ، المتوفى بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف .

٢٤ ـ ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج ، للإمام العلامة العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردى الإربلى وهى رسالةٌ تقع فى مائة

صفحة تقريباً ، اشتملت على مباحث متعددة فى فضل شهر رجب والعمل فيه ، ثم ذكر فصلاً فى قصة الإسراء والمعراج ، ثم ذكر فصلاً فى بعض مارآه فى تلك الرحلة من العجائب والغرائب ،ثم ذكر بحثاً مفيداً جامعاً عن رؤية الله سبحانه وتعالى ومايدور فى هذا الباب .

وقد طبعت سنة ١٣٤٠ تقريباً .

٢٥ - الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى لسيد الأنبياء ، تأليف الشيخ الفقيه العلامة الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى التلبانى الشافعى ، طبعت بتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى ، وهى رسالةٌ مختصرة تقع فى ستين صفحة .

٢٦ - يواقيت التاج الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج ، للإمام العلامة المشارك الداعية المجاهد فى سبيل الله أبى الهدى محمد الباقر بن الشيخ محمد الكتانى الشهيد المتوفى بسلا سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف . وهو كتابٌ قَيِمٌ جمع بين الطريقتين القديمة والحديثة حيث جعله على نسق الموالد التى تقرأ فى المجامع والنوادى والمحافل فى فصول قصيرة ، وبين كل فصل وفصل تعطيرة متضمنة الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا لفظها :

(عَمِّر اللهم قلوبنا بأنوار سيدنا الرسول وحَلِّنا ياوهاب ياكريم بتيجان القبول . وخذ بأيدى هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهدى والرشاد وبَوِّئها المكانة اللائقة بها فى مصافّ الدول إلى يوم التناد . وصل اللهم

وسلم عليه وعلى آله ووفّقْنا لاتّباع أقواله وأفعاله) مع أسلوبٍ رصين رائق وفهمٍ راق ذائق وإشارات عالية وحِكَم سامية وتحليل بديع وتصوير رفيع . وقد طبع باهتمام ولديه السيد عبد الرحمن والسيد محمد وهما من أفاضل علماء المغرب وكتبا له مقدمةً مفيدة سديدة استفدتُ منها ومن الكتاب فوائد عديدة .

٢٧ ـ درسٌ قيّم في الإسراء والمعراج ، للعلامة الكبير والداعية الشهير أبي سالم عبد الله بن عبد الصمد كنون المستاري الحسني الفاسي ثم الطنجي الأمين العام لرابطة علماء المغرب تحت عنوان "معجزة الإسراء والمعراج وماتضمنته من الآيات والعبر" ، ألقاه بالمسجد الأعظم بطنجة ثم نشره في عددين من مجلة لسان الدين .

٢٨ ـ السراج الوهاج في الإسراء والمعراج ، تأليف الشيخ الإمام الداعي إلى الله العلامة السيد محمد ماضي أبي العزائم أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم ، وهي رسالةٌ عظيمة مشتملة على تحليلات علمية وحقائق عقلية مع الرد على منكري المعراج ودفع شبههم وذكر بعض القصائد في هذا الباب . وقد نشره أخيراً أخونا الاستاذ السيد المرحوم عز الدين أبو العزائم حفيد المؤلف .

٢٩ ـ أفضل منهاج في إثبات الإسراء والمعراج ، لفضيلة الأستاذ العلامة المحقق الشيخ عبد الله مصطفى المراغي وهو رسالةٌ تقع في سبعين صفحة مشتملة على القصة مع الرد على بعض المنكرين ، وقد طبعت سنة ١٣٦٧هـ .

٣٠ - الإسراء والمعراج ، لفضيلة العلامة الداعي إلى الله حبيبنا شيخ الأزهر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود ، وهو مشتمل على ذكر القصة مع بعض التحليلات والحِكَم والفوائد المهمة ويقع فى مائة صفحة ، وقد طبع سنة ١٣٧٥هـ .

٣١ - السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج ، تأليف الشيخ محمد الأمير الصعيدى العمرانى ، وهى رسالة صغيرة تقع فى خمسين صفحة ، ومقسَّمة على فصول على طريقة الموالد المسجَّعة ، وبين كل فصل وفصل تعطيرة متضمنة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولفظها : (اللهم صل وسلم وبارك على خير الأنام الجامع بين الإسراء والمعراج فى اليقظة والمنام) .

٣٢ - الإسراء والمعراج ، مجموعة مقالات لجملة من العلماء أصدرتها مجلة منبر الإسلام التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة وطبعت سنة ١٣٩٢هـ رجب .

٣٣ - الجمانة اليتيمة فى ذكر معراج الذات العظيمة ، للإمام العارف بالله الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين المجذوب السودانى وهي رسالةٌ صغيرة اشتملت على قصة الإسراء والمعراج ومقسَّمة على فصول على طريقة الموالد ، وبين كل فصل وفصل تعطيرة وهى :

عَلّ يارب هذا القدر ما ارتفعت أعلام ألوِية المعراج فى رجب

٣٤ - مجموع مقالاتٍ فى الإسراء والمعراج ، للعلامة السيد عبد الله كنون

المتقدم ذكره ، نُشرت واحدة منها بمجلة الوعى الإسلامى الكويتية بعنوان «المعراج رحلة إلى السماء الحقيقية لا اللغوية ، وهى رحلةٌ فريدة فى تاريخ الإنسانية لم تقع لغير نبي الإسلام ولن تقع لأحد بعده» ، وثانية نشرت بمجلة دعوة الحق المغربية ، وثالثة نشرت بجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب بعنوان : «هل المعراج موسم شرعي؟» .

٣٥ـ إظهار السرور والابتهاج بقصة الإسراء والمعراج ، للعلامة الداعية أبى اليمن عبد الحفيظ بن عبد الصمد كنون المستارى الحسنى الفاسى ثم الطنجى خطيب المسجد الأعظم بطنجة ، اعتمد فيه على الأحاديث الواردة فى الصحاح عن هذه الآية الكبرى .

٣٦ـ الإسراء والمعراج ، لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، وهى رسالةٌ صغيرة تقع فى ثلاثين صفحة من الحجم الصغير ، طبعت سنة ١٣٧٥هـ .

٣٧ـ الإسراء والمعراج ، تأليف الأستاذ محي الدين الجراح وهى رسالة صغيرة موجزة تقع فى ثلاثين صفحة ومطبوعة بدمشق .

٣٨ـ الإسراء والمعراج ، لفضيلة العلامة المفسر الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وأصلها أحاديث تليفزيونية له ، قام بتقديمها الأستاذ أحمد فراج ، ثم طبعها في رسالة تقع في مائة صفحة ، طبعت بمصر .

٣٩ـ معجزة الإسراء والمعراج ، لفضيلة الشيخ أحمد قلاش والشيخ محمد

زينو ، وهى رسالة مختصرة تقع فى خمسين صفحة ، طبعت بحلب سنة ١٣٨٥هـ .

٤٠ ـ الإسراء والمعراج ، للأستاذ محمد أنس المراد ، وهى رسالةٌ علمية قُدّمت لكلية الشريعة بدمشق بإشراف الدكتور محمد أديب الصالح ، اشتملت على فوائد علمية وتحقيقات سنية ، أجاد فيها المؤلف وأفاد تقع فى مائة صفحة .

٤١ ـ الإسراء والمعراج ، تأليف الأستاذ موسى محمد الأسود وهو بحثٌ قيّم فيه دراسةٌ شاملة عن القصة ، يقع فى مائة وخمسين صفحة ، وطبع سنة ١٤٠٧هـ بالكويت .

هذا هو الذى اطلعت عليه من الكتب الخاصة بالمعراج المستقلة بذكره ولاشك أن هناك كتباً كثيرة مخطوطة ومطبوعة لم أظفر بها ولكن الظاهر أنه لم يفتنى بسببها علم كثير لأن العلماء من الحفاظ والمحدثين والمحققين قد اطلعوا على أكثرها ونقلوها إلينا والحمد لله على ذلك .

وهذه المباحث التى كتبتها فى موضوع الإسراء والمعراج نقلت فيها من الفوائد السابقة مافيه كفاية ، واخترت فيها مما كتبه العلماء ماترجحت عندى أهميته لحاجة الناس إليه ، وقد جمعت فيه بين الطريقتين القديمة والحديثة حيث بدأت بذكر آيات الإسراء والمعراج فى القرآن وشرحتها شرحاً مفصلا ، ثم ذكرت نصوص الروايات التى وردت فى هذا الباب كما جمعها السيوطى ، ثم زدت عليها بعض ما تيسر لى الاطلاع عليه من الروايات ، ثم

ذكرت بعض المباحث المهمة والمسائل المشكلة التى جرى فيها البحث بين العلماء والأخذ والرد والاعتراض والنقد ، وعمدتى فى ذلك ماكتبه الحافظ الشامى والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ أحمد الدردير المالكى والسيد يوسف بن إسماعيل النبهانى والسيد البرزنجى وغيرهم من العلماء ممن تقدم ذكرهم . ثم ذكرت قصة الإسراء والمعراج مرتبة منظمة جمعت فيها بين روايتى الشامى والغيطى فى سياق واحد فجاءت جامعة شاملة شافية وافية بفضل الله تعالى ، وعلقت عليها تعليقا خفيفا يوضح معانيها ويفسر غريبها ، ثم ذكرت بعض القصائد والمدائح النبوية التى تكلمت عن هذه المعجزة العظيمة الباهرة .

ثم رأيت أن أفصل قصة المعراج فى رسالة مستقلة وأضيف إليها معراج البرزنجى المسمى "بالسراج الوهاج" ليقرأ فى المجامع والمجالس وليكونا فى متناول أيدى العامة حفظاً لهم من أن يشتغلوا بالكتب المكذوبة الباطلة والروايات الواهية المخالفة للكتاب والسنة ، وسميت هذه الرسالة المختصرة : (الأنوار البهية من إسراء ومعراج خير البرية) أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ويجعلها خالصةً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه الغنى السيد محمد بن السيد علوى المالكى الحسنى ، عامله الله بلطفه السنى ، وغفر له ولوالديه ومشايخه ، آمين .

وكان ذلك فى شهر رجب الحرام من عام ١٤١٧هـ .

آية الإسراء فى القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم (سُبْحَانَ الَّذى أَسْرى بِعَبده لَيْلاً من الْمَسْجد الحَرَام إلى الْمَسجد الأَقْصى الَّذى بَارَكْنَا حَوله لنُريَهُ منْ آياتنَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصير) (١).

سبب النزول

سبب نزولها كما قاله الإمام أبوحيان: أن النبي ﷺ لما ذكر الإسراء به كذبوه فأنزلها الله تعالى . ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها لها أنه تعالى لما أمر النبى ﷺ بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم(٢) وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به ، أعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه وعلو منزلته عنده بذكر الإسراء فى أول هذه السورة ، وأيضا لمّا أمره بالصبر فى آخر السورة المتقدمة بقوله : ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾(٣) والصبر هو التحمل للمكاره ، والتحمل من جملة مايؤدى إلى التجمل ، ومنه ماذكره فى أول هذه السورة .

فضائل سورة الإسراء :

وقد روى البخارى عن ابن مسعود أنه قال فى سورة بنى إسرائيل

---

(١) الإسراء : ١
(٢) بقوله جل ذكره (واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . (النحل ١٢٧ - ١٢٨) .
(٣) النحل : ١٢٧

والكهف ومريم وطه والأنبياء : هُنّ من العتاق الأُوَل وهن من تلادي . والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق ، والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقا ، والأُوَل بضم الهمزة وفتح الواو المخففة ، والأولية باعتبار حفظها أو باعتبار نزولها لأنها مكيات ، وقوله من تلادي بكسر التاء الفوقية وتخفيف اللام وبعد الألف دال مهملة أي مما حفظته قديما وهو ضد الطارف ومراده أن لهن فضلاً باعتبار ماتقدم وماتتضمنه مفتتح كل منها من أمر غريب وقع في العالم خارق للعادة وهو الإسراء وقصة أصحاب الكهف وقصة مريم وهذا وجه في ترتيبها وهو اشتراكها في قدم النزول وكونها مكيات وكلها مشتملة على القصص . وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

افتتاح السورة بالتسبيح :

والحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما قاله في " زاد المسير " وجهان؛ أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر العجيب فكأن الله سبحانه وتعالى عجَّب خلقه بما أسدى إلى رسوله ﷺ من الإسراء به . الثاني أن يكون خرج مخرج الرد عليهم لأنه ﷺ لما حدثهم عن الإسراء كذبوه ، فيكون المعنى تنزه الله تعالى أن يتخذ رسولاً كذّابا ، فإن قلت : ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد؟ أجيب : بأن التسبيح حيث جاء قدّم على التحميد نحو (فسبح بحمد ربك) (سبحان الله والحمد لله) لأن التسبيح هو التنزيه والحمد هو الثناء فالأول من باب التخلية والثاني

من باب التحلية ، والتخلية مقدَّمة على التحلية ، وأجيب أيضا : بأن سورة "سبحان" لما اشتملت على الإسراء وكذّب المشركون به النبى ﷺ وتكذيبُه تكذيب لله تعالى ؛ أتى بسبحان لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به وينسب إليه من الكذب ، وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخُّر الوحي نزلت مبيِّنةً أن الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ﷺ ولا عن المؤمنين ، بل أتمّ عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

« **سبحان** »:

وأما سبحان فهو اسمٌ بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه فهو اسمٌ واقع موقع المصدر ولايكاد يستعمل إلا مضافا ، وقد يستعمل علَماً فيقطع عن الإضافة ويمنع من الصرف وانتصابه بفعل مضمر أي أسبح الله سبحان ، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسدّ مسده ودل على التنزيه البليغ لأن فى حذف العامل وإقامته مقامه الدلالة على أن المقصود بالذات هو المصدر ، والفعل تابع ، فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه .

وقد روى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال : تنزيه الله من كل سوء . وروى ابن أبى حاتم عن علي رضي الله تعالى عنه قال : سبحان الله كلمة أحبّها الله لنفسه ورضيَها وأحب أن تقال له .

فضل التسبيح :

وقد ورد فى فضل التسبيح مارواه مسلم وغيره عن أبى ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى ؛ إن أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى ؛ سبحان الله وبحمده . وفى رواية الترمذى : سبحان ربى وبحمده ، وفى رواية لمسلم : أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال : ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده ؛ سبحان الله وبحمده ، وهذا محمول على كلام الآدميين ، وإلا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق ، وأما المأثور فى وقت أو حال فالاشتغال به أفضل . وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال سبحان الله وبحمده فى يومٍ مائة مرة غُفرتْ ذنوبُه وإن كانت مثل زبد البحر . قال الطيبى : يوم مطلق لم يعلم فى أي وقت من أوقاته . وقال غيره : ظاهر الإطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الأجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة ، سواء أقالها متواليةً أو متفرقة فى مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها آخره . وقوله غفرت ذنوبه أي الصغائر من حقوق الله تعالى ، لأن حقوق الناس لاتغفر إلا باسترضاء الخصوم . وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة) ، وأخرج الطبرانى فى الأوسط والخرائطى وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من قال إذا أصبح

"سبحان الله وبحمده" ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله . قال الحافظ الهيثمى فى "مجمع الزوائد" بعد إيراده مارواه الطبرانى فى الأوسط : وفيه من لم أعرفه اهـ .

«**أسـرى**» :

وقوله تعالى "أسرى بعبده" قال أهل اللغة : أسرى وسرى لغتان زاد بعضهم أنهما مختصان بسير الليل وأسرى لازم كَسَرَى فيحتاج إلى التعدية ، والهمزة هنا ليست للتعدية خلافاً لابن عطية وإنما المعدى الباء فى بعَبْده ولاتقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل عند الجمهور خلافاً للمبرد والسهيلى ، والعبد فى اللغة المملوك من نوع من يعقل ، وقال فى "المحكم" : العبد الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مملوك لبارئه . وقال سيبويه : إنه فى الأصل صفةٌ ولكنه استعمل استعمال الأسماء .

«**بعبـده**» :

وأجمع المسلمون على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله ﷺ . قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله : وقال هنا بعبده دون نبيه أو حبيبه لئلا تضل أمته كالنصارى ، أو لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات . قال الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى : ليس للمؤمن صفةٌ أتمَّ ولا أشرف من العبودية ، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه فى أشرف المواطن كقوله : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾ (١) .

---

(١) الإسراء : ١

﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب﴾[1] . ﴿تبارك الذى نزّل الفرقانَ على عبده﴾[2] . ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[3] . قال الشيخ عبد الباسط البلقينى رحمه الله تعالى : ومن هنا يؤخذ الجواب عن وصفه ﷺ بالعبودية . ووصف يحيى عليه السلام بالسيادة فى قوله تعالى : ﴿وسيدا وحصورا﴾[4] .

أنشد الأستاذ أبو القاسم القشيرى :

ياقوم قلبى عند زهراء ... يعرفه السامع والرائى

لاتدعُنى إلا بياعبدها ... فإنه أشـرف أسـمائى

قال الطوفى رحمه الله تعالى : والسبب فى ذلك أن الإلهية والسيادة الحقيقية والربوبية إنما هى فى الحقيقة لله عز وجل لاغير والعبودية لمن دونه فإذا كان فى مقام العبودية فهو فى رتبته الحقيقية ، والرتبة الحقيقية أشرف المقامات ، إذ ليس بعد الحقيقة إلا المجاز ولابعد الحق إلا الضلال .

أقوال العلماء فى العبودية:

وأقوال العلماء فى العبد والعبودية كثيرةٌ ، وكل أحد تكلم بلسان قاله على قدر مقامه وحاله ، فقال ابن عطاء الله : العبد الذى لاملك له . وقال رويم أحد كبار الأئمة العارفين : يتحقق العبد بالعبودية إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم أن الكل له وبه . وقال عبد الله ابن محمد : حُزتَ صفة العبودية إن كنت لاترى لنفسك ملكاً وتعلم أنك لاتملك لها نفعاً ولاضراً . وما أحسن ماقيل فى هذا القبيل :

---

(١) الكهف : ١ (٢) الفرقان : ١ (٣) النجم : ١٠ (٤) آل عمران : ٣٩

وكنت قديما أطلب الوصـل منهمُ فلما أتانى العـلمُ وارتفع الجهل
تيقنـت أن العبـــد لا طلـب لـه فإن قرّبوا فضلٌ وإن أبعدوا عدلُ
وإن أظهروا لم يظهروا غير وَصْفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلُو

وقال أبو حفص النيسابورى رحمه الله تعالى : العبد هو القائم بأوامر سيده على حد النشاط حيث جعله محل أمره .

«ليـــلاً »:

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: قوله تعالى : "ليلاً" ، هو ظرف للإسراء واستشكل كثير من الناس كون ليلاً ظرفاً للإسراء لأنه تقدم أن الإسراء هو سير الليل فإذا أطلق الإسراء فُهم منه أنه واقع ليلاً فهو كالصَّبوح فى شرب الصباح لايحتاج إلى قوله شربت الصبوح صباحاً ، وجوابه أن الأمر وإن كان كذلك إلا أن العرب تفعل مثل ذلك فى بعض الأوقات إذا أرادت تأكيد الأمر ، والتأكيد نوع من أنواع كلامهم وأسلوب منه ، والعرب تقول: أخذ بيده وقال بلسانه ومشى برجليه . وقال بعضهم : فائدة التأكيد هنا رفع توهم المجاز لأنه قد يطلق على سير النهار أيضا . وقال الزمخشرى : أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه وقع السرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ، وقال : يشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة "من الليل" أي بعض الليل . وقال غيره : فكان المعنى سبحان الذى أسرى بعبده فى ليل

واحد من كذا إلى كذا وهو موضع التعجب ، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل لأنهم إذا قالوا سرى ليلةً كان ذلك فى الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى فقوله (ليلاً) أي بعض ليلة .

ما أكرم الله به نبيه ﷺ فى الليل :

قال ابن دحية : أُكرم نبيُنا ﷺ ليلاً بأمور : منها ، انشقاق القمر وإيمان الجن به ورأى أصحابه نيرانهم كما فى صحيح مسلم وخرج إلى الغار ليلا والليل أصلٌ ولهذا كان أول الشهر ، وسواده يجمع ضوء البصر ، ويحد كليل النظر ، ويستلذ فيه السمر . وكان أكثر أسفاره ﷺ ليلاً . وقال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل) ، والليل وقت الاجتهاد للعبادة ، وكان ﷺ يقوم حتى تورّمت قدماه ، وكان قيام الليل فى حقه واجباً فلما كانت عبادته ليلاً أُكرِم بالإسراء فيه وليكون أجر المصدْق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا ، وقدم الحق تبارك وتعالى ذكر الليل فى كتابه على ذكر النهار ، فقال عز وجل : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾(١) ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا﴾(٢) إلى غير ذلك من الآيات . وصح أنه ﷺ قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفرَ له) . . الحديث ، وهذه الخصيصة لم تجعل للنهار . نبه بها ﷺ لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة

---

(١) الإسراء : ١٢ (٢) الفرقان : ٦٢

ولإبطال كلام الفلاسفة أن الظُلمة من شأنها الإهانة والشر[1]، ولأن الله تعالى أكرم أقواماً فى الليل بأنواع الكرامات، كقوله فى قصة إبراهيم ﷺ ﴿ فلمَّا جَنَّ عليه الليل ﴾[2] الآية . وفى لوط ﷺ بقوله : ﴿ فأسرِ بأهلك بقطع من الليل ﴾[3] وفى موسى ﷺ ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلَةً ﴾[4] وناجاه ليلاً وأمره بإخراج قومه ليلا .

ليلة الإسراء وليلة القدر:

قال أبو أمامة بن النقاش رحمه الله تعالى : ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر فى حق النبى ﷺ ، وليلة القدر أفضلُ فى حق الأمة لأنها لهم خيرٌ من عمل أكثر من ثمانين سنةً ممن كان قبلهم ، وأما ليلة الإسراء فلم يأت فى أرجحية العمل فيها حديثٌ صحيح ولا ضعيف، ولذلك لم يبيّنها النبى ﷺ ، وقول الإمام البلقينى رحمه الله تعالى فى قصيدته التى مدح فيها النبىَّ ﷺ :

أوْلاك رؤيتَه فى ليلة فضلت ليالي القدر فيها الرب أرضاكا

يؤخذ منه أن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر ، ولعل الحكمة فى ذلك كما قاله فى " الاصطفاء " اشتمالها على رؤيته التى هي أفضل كل شيء ، ولذلك لم يجعلها ثواباً عن عمل من الأعمال مطلقاً ، بل مَنَّ بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تفضلاً منه تعالى . اهـ . وهذا يؤيد ماقدمناه آنفاً فى تفضيل الليل لكن يبقى النظر فى تحرير محل الخلاف ، وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر نقلاً عن المهدوى فقال : إن كان المراد أن

---

(١) وهو ما أشار إليه المتنبى بقوله : وكم لظلام الليل عنديَ من يد تخبر أن المانَويّة تكْذبُ
(٢) الأنعام : ٧٦ (٣) الحجر : ٦٥ (٤) الأعراف : ١٤٢

ليلة الإسراء ونظائرها من كل عام أفضل من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل من ليلة القدر ، فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار ، وإن أراد الليلة المعيَّنة التى أُسري فيها بالنبي ﷺ وحصل له فيها مالم يحصل له فى غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيامٍ ولاعبادة ، فهذا صحيح إن قام دليلٌ على أن إنعام الله تعالى على نبيه ﷺ ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر ، وهذا لا يعلم إلا بوحي ولايجوز لأحد أن يتكلم فيه بلا علم ، ولايعرف عن أحد من الصحابة أنه خص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ، ولهذا لايُعرف أيٌّ ليلةٍ كانت ، وإن كان الإسراء فى نفسه من أعظم فضائله ، كما أنه ﷺ لم يفضل غار حراء الذى أنزل عليه فيه الوحي ولاخص اليوم الذى ابتدئ فيه بالوحي بشيء اهـ . وظاهر هذا الكلام أن الخلاف بين الليلة المعيّنة التى أُسري فيها بالنبى ﷺ وبين ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن كما يدل عليه قوله إن قام دليل على أن إنعام الله تعالى على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر ، قلت : أما الليلة المعيَّنة التى أسري به ﷺ فيها وليلة القدر من كل عام فينبغى أن يكون فيها قول أبى أمامة بن النقاش المتقدم ، وأما نظائر الليلة المعيَّنة من كل عام فلاشك أن ليلة القدر من كل عام أفضل منها لما لايخفى(١) .

---

(١) وانظر مزيد تفصيل لهذه المفاضلة فى كتابنا «مفاهيم يجب أن تصحح» ص ٢٠١ وفيها فتوى للشيخ ابن تيمية وابن القيم ذكر فيها أفضلية ليلة الإسراء بعينها التى وقع فيها الإسراء على ليلة القدر لا على نظائرها من كل عام وهو الحق الذى ندين به وإن تقول علينا المفترون خلافه ونقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

«من المسجد الحرام»:

وقوله تعالى: ﴿من المسجد الحرام﴾ "من" لابتداء الغاية "والمسجد" لغة مفعل بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح اسم للمصدر، وأما شرعاً فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ: جُعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهورا. ولمّا كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، اشتق اسم المكان منه، فقيل مسجد ولم يقولوا، مركع ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه، وكذلك الرُّبط[1] والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك، والحرام أي المحرم وهو ضد الحلال، وذلك لما منع المحرم فيه مما يجوز لغيره ولما منع من الحرم مما يجوز فى غيره من البلاد. قال الماوردى: كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾[2] فإنه أراد به الكعبة[3]. وقال بعضهم: المراد بالمسجد الحرام فى قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾[4] مكة، لأنه ﷺ كان فى بيت أم هانئ، وأول مسجد وضع على الأرض المسجد الحرام وهو مسجد مكة شرفها الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إن أول بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركا﴾[5] وفى الصحيحين عن أبى ذر رضي الله تعالى عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض، قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال:

---

(١) جمع رباط. (٢) البقرة: ١٥٠ (٣) سيأتى مزيد تفصيل لهذه المسألة
(٤) الإسراء: ١ (٥) آل عمران: ٩٦

المسجد الأقصى . قلت : وكم بينهما؟ قال : أربعون عاماً . . الحديث ، وقد أشكل هذا الحديث على بعضهم فقال : معلومٌ أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثا . . الحديث الآتى إن شاء الله تعالى وهو بعد إبراهيم ﷺ كما قاله أهل التاريخ بأكثر من ألف عام ، وهذا القائل جهل التاريخ فإن سليمان عليه الصلاة والسلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديدُه لا تأسيسه والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق ﷺ بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر . وقال بعضهم : إن هذين المسجدين وُضعا قديماً ثم خربا ثم بنيا . اهـ . وزعم بعضهم أن أول من بنى البيت آدم ، وأن غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاماً ، حكاه ابن الجوزى وغيره . وذكر ابن هشام فى "التيجان" أن آدم عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت أمره جبريل بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه أى ذبح .

« إلى المسجد الأقصى » :

وقوله تعالى : ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ كلمة "إلى" لانتهاء الغاية ، ومدلولها هنا أنه وصل إلى حد ذلك المسجد ، ولا دلالة فى اللفظ على أنه دخله ، لكن القرينة تدل على دخوله وهي العلم بأنه إنما أُسريَ به إلى بيت المقدس ليدخله ، ويبعد أن يسرى به إلى بيت المقدس ولايدخله ، وصرحت السنة الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله ﷺ المسجد الأقصى وهوالذى عمّره نبي الله سليمان ﷺ بأمر الله عز وجل كما تقدم ، ومازال مكرماً محترماً ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لاتشد الرحال شرعا إلى مسجدٍ إلا إليها .

وقد روى النسائى وابن ماجه وغيرهما أن نبّي الله سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثاً، سأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله حكماً يواطئ حكمه فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس لايريد إلا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله ﷺ : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة. وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت : قلت يارسول الله! أَفْتِنَا فى بيت المقدس، قال : (أرض المَحْشر والمَنْشر، ائتوه فصلُّوا فيه فإن صلاةً فيه كألف صلاة فى غيره)، قلت : أرأيت إن لم أستطع أن أتحمَّل إليه، قال : (فتهدى له زيتاً يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه).. الحديث[1]، وهو معدن الأنبياء من لدن الخليل ﷺ. ولذا اجتمعوا له هناك كلُّهم وأَمَّهم فى مَحلّهم ودارهم ليدل ذلك على أنه الرئيس المقدَّم والإمام الأعظم ﷺ.

«الأقصى»:

والأقصى أفعل من القصى، والقاصى هو البعيد، وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، فبينهما مسافة ثلاثين يوماً بالسير عادة، أو لأنه لم يكن وراءه مسجد فثبت له هذا النعت وإن كان وراءه بعدُ مساجد هي أقصى منه، لأن العلمية إذا ثبتت لسبب لم يضر زوال ذلك

(١) وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٧ باب الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ وبيت المقدس وقال : روى أبو داود قطعة منه من حديث ميمونه مولاة النبى ﷺ ورواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبى ﷺ - والله أعلم - ورجاله ثقات.

السبب ، ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة ، فأفعل التفضيل ليس على بابه وكان أقصى أي أبعد مسجد عن أهل مكة يعظم بالزيارة ، وقيل وصفه بالأقصى منهم أي من العرب أو من الكعبة أو من أهل مكة أو من النبى ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ البركة : الزيادة والنماء ، قال الراغب : البركة ثبوت الخير الإلهى فى الشيء ، والمبارك مافيه ذلك الخير ، فإن قيل : كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه أو فيه مع أن البركة فى المسجد أكثر من خارج المسجد وحوله ، خصوصاً المسجد الأقصى ، قلنا : أراد البركة الدنيوية كالأنهار الجارية والأشجار المثمرة وذلك حوله لافيه ، وقيل أراد البركة الدينية فإنه مقر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومُتَعَبَّدُهم ومهبطُ الوحى والملائكة ، وإنما قال باركنا حوله لتكون بركته أعم وأشمل ، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس ، ولأنه إذا كان هو الأصل وقد بارك فى لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الأولى بخلاف العكس ، وقيل : أراد البركتين الدنيوية والدينية وفيه مامرَّ من التوجيه ، وقيل : المراد باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمَّتْ جميعَ الأرض . فإن قيل : إذا كانت البركة حول المسجد الأقصى كما ذكر فبماذا يتميز عليه المسجد الحرام ؟ أجيب : بأن البركة حول المسجد الأقصى إما باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين

والعاكفين والمتوطنين والوافدين ، لأن الأجر يكون على قدر النصب وهو واد غير ذى زرع ، نزهه الله تعالى عن خصب الدنيا وسعتها لئلا يكون القصد إليه ممزوجاً بقصد الدنيا ، وهذه البركة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية . وإما أن يكون المراد بالبركة فى المسجد الأقصى البركتين الدنيوية والدينية فالبركة الدينية التى فى المسجد الحرام تفضلها باعتبار ماتقدم .

«**لِنُرِيَهُ من آياتنا**» :

معنى الرؤية هو مارأى تلك الليلة من عجائب السموات والأرض والآيات الدالة على قدرة الله تعالى ، ومنها ماذكر فى القصة من ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم ، " ومن " هنا للتبعيض وإنما أتى بها هنا تعظيماً لآيات الله تعالى ، فإن هذا الذى رآه محمدﷺ وإن كان جليلاً عظيماً ، فهو بعضٌ بالنسبة إلى جملة آيات الله تعالى وعجائب قدرته وجليل حكمته .

«**إنه هو السميع البصير**» :

وقوله تعالى : ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ الصحيح أن الضمير فى " إنه " لله تبارك وتعالى أي " إنه هو السميع " لأقوال محمد " البصير " بأفعاله . وقال بعض المحققين : ولا يبعد أن يرجع الضمير إلى العبد وهو النبي ﷺ كما نقله أبو البقاء عن بعضهم ، قال : " إنه هو السميع " لكلامنا " البصير " لذاتنا ، وأما توسط ضمير الفصل فللإشعار باختصاصه بهذه

الكرامة وحده ، ولعل السر فى مجيئ الضمير محتملاً للأمرين : الإشارة إلى المطلوب ، وأنه ﷺ إنما رأى رب العزة به وسمع كلامه به . قال الماوردى : فى الحكمة فى الإتيان بالسميع البصير هنا وجهان ، أحدهما : أنه تعالى وصف نفسه بهما وإن كانا من صفاته اللازمة لذاته فى الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند الإسراء به فى ظلمة الليل فلم يضره أن لايبصر فيها وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، الثانى أن قومه لمّا كذبوه حين أخبرهم بإسرائه فقال " السميع " يعنى لما يقولون من تصديق أو تكذيب " البصير " فيما يفعله من الإسراء والمعراج . اهـ . وهذا بناء على أن الضمير لله تعالى وعليه فالسميع هو الذى لايعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى ، بل ماهو أدق وأخفى ، يدرك دبيب النملة السوداء ، فى الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء ، يسمع بغير أصمخة وآذان ، وسمعُه منزهٌ أن يتطرق إليه الحدثان ، فالسمع فى حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات ، والبصير هو الذى يشاهد ويرى ولايعزب عنه ماتحت الثرى ، إبصاره منزه عن أن يكون بحدَقة وأجفان ، مقدس عن انطباع الصور والألوان ، فى ذاته تعالى كما ينطبع فى حدقة الإنسان ، فالبصر فى حقه تعالى عبارةٌ عن الصفة التى ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات ، وقد ختم الله تعالى وتقدس الآيةَ الدالة على إسرائه ﷺ ومايتعلق به بهاتَين الصفتين العظيمتين لما ذكرنا ، والحكمة فى تأخير الكلام عن المعراج فى آية الإسراء هو استدراجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أوّلاً ، فلما ظهرت أمارات

صدقه ووضحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بتلك الآية الخارقة ، أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبى ﷺ به وأنزله الله تعالى فى كتابه فى سورة النجم :

آياتُ المعرَاج فى القُرآن

قـال الله تعـالى : ﴿بسـم الله الرحـمن الرحـيم . والنجـم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . ومـاينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذُو مرَّةٍ فاستوَى . و هو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . مـاكذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على مايرى . ولقد رآه نزلةً أُخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوَى . إذ يغشى السدرة مايغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[١] .

القسم في الآية:

أقسم سبحانه وتعالى بالنجم على عدم ضلال سيدنا محمَّد ، فقال : " والنجم " وذلك ردًا على الكفار حين نسبوه صلى الله عليه وسلم إلى الجنون والشعر والكهانة .

قال الإمام القشيرى:

فـإن قـيل : كـيف أقسم بالخَلْق وقـد ورد النهى عن القسم بغير الله تعـالى؟ قلنا : أجيبَ عنه بأوجه : الأول أنه على حذف مضاف أى وربّ النَّجْم ، وكذا الباقي[٢] . الثاني : أن العرب كانت تُعَظِّم هذه الأشياء وتُقْسِم بها فنزل القرآن على مايعرفونه . الثالث : أن الأقسام إنما تكون بِمَا يعَظمه المُقْسِم و يُجِلُّه وهو فوقه . والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء،

(١) النجم : ١ ـ ١٨ (٢) أي مما أقسم به كالليل والنهار والشمس والقمر .

فأقسم تارةً بنفسه وتارة بمخلوقاته لأنها تدل على بارئٍ وصانع .

وروى ابن أبى حاتم عن الحسن قال : إن الله تعالى يقسم بما شاء من خَلْقِه وليس لأحد أن يُقسِم إلا بالله تعالى .

قال ابن القيم : اعلم أن الله سبحانه وتعالى يُقْسم بأُمور على أمور وإنما يُقْسِم بنفسه المَوْصُوفَة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه ببعض المخلوقات دليلٌ على أنه من عظيم آياته ، فالقَسَم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء والأرض إنه لَحَقٌ﴾[1] وإما على جملةطلبية كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنسألَنَّهُم أجمَعين. عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُون﴾[2] ، مع أن هذا القَسَم قد يُراد به تحقيق المُقْسَم عليه ، فيكون من باب الخَبَر ، وقد يُراد به تحقيق القَسَم ، فالمقْسَم عليه يُراد بالقَسَم توكيده وتحقيقه ، فلابُدّ أن يكون مما يَحْسُن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أُقْسِم على ثبوتها ، فأما الأمور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يُقْسَم بها ولا يُقْسَم عليها ، وأما ما أقْسَم عليه الرَّبُّ فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مُقسماً به ولا ينعكس .

والنجــم» :

النجم هو الكوكب الطالع ، والنجم أيضا الثريا ، والنجم من النبات مانجم على غير ساق ، والنجم الوقت المضروب .

قال ابن القيم : اختلف الناس فى المراد بالنجم ، فقال الكلبى عن ابن عباس : أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً على رسول الله ﷺ أربع آيات وثلاث

(١) الذاريات : ٢٣ (٢) الحجر : ٩٢ ـ ٩٣

آيات والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه ، وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره الفراء .

والهوي على هذا القول النزول من أعلى إلى أسفل ، وعلى هذا سمّي القرآن نجما لتفرقه فى النزول ، والعرب تسمي التفرق تنجماً والمتفرق منجَّماً ، ونجوم الكتابة أقساطها ، وتقول : جعلتُ مالى على فلان نجوماً منجَّمة كل نجم كذا وكذا ، وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها فيقولون : إذا طلع النجم - يريدون الثريا - حَلَّ عليك كذا ، ثم جعل كلمة نجم تفريقا وإن لم يكن مؤقَّتاً بطلوع نجم .

قال الإمام جعفر بن محمد رضى الله عنهما كما نقله القاضى : أراد به النبى ﷺ إذ نزل ليلة المعراج ، والهوىُّ النزول .

وقال صاحب السراج : ويعجبنى هذا التفسير لملائمته من وجوه فإنه ﷺ نجم هداية ، خصوصا لما هدى إليه من فرض الصلاة تلك الليلة ، وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ، ومنها أنه أضاء فى السماء والأرض ، ومنها التشبيه بسرعة السير ، ومنها أنه كان ليلا ، وهو وقت ظهور النجم ، فهو لا يخفى على ذى بصر ، وأما أرباب البصائر فلا يمترون كأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، انتهى .

وقال ابن عباس فى رواية عكرمة : أراد النجوم التى ترمى بها الشياطين إذا سقطت فى آثارها عند استراق السمع ، وهذا قول أبى الحسن

الماوردى وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ، فذعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها ، فقال : انظروا إلى البروج الاثنى عشر فإن انقض منها شيئ فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقضّ منها شيئ فسيحدث فى الدنيا أمر عظيم ، فاستشعروا ذلك ، فلما بعث النبى ﷺ كان هو الأمر العظيم الذى استشعروه فأنزل الله تعالى : ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، أى ذلك النجم الذى هوى هوى لهذه النبوة التى حدثت .

قال ابن القيم : وهذه الرواية عن ابن عباس أظهر الأقوال ، ويكون الحق سبحانه وتعالى قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التى تصيبها آيةً وحفظاً للوحى من استراق الشياطين له ، على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى رصداً بين يدى الوحى وحرساً له ، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه فى غاية الظهور ، وفى المقسم به دليل على المقسم عليه ، فإن النجوم التى ترمى بها الشياطين آية من آيات الله تعالى ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسله التى بها ظهر دينه وشرعه وأسماؤه وصفاته ، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خَدَماً وحَرَساً لهذه النجوم الهادية ، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هوياً ولا عهد فى القرآن بذلك ، فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين أيضا تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت ، وليس بالبين القسم

(١) إضافة من تفسير القرطبى (ج ١٧ ص ٨٣) لضبط السياق .

بالنجوم عند تناثرها يوم القيامة ، بل هذا مما يقسم الرب عليه ، ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمخاطبين ولاسيما منكرى البعث ، فإنه سبحانه وتعالى إنما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه .

«ماضَلَّ صاحبكم وماغوى» :

هذا جواب القَسَم «ماضَلَّ» أى ماكفر ، ويحتمل أن يكون معنى «ماضَلَّ» أى ماجُنَّ ، فإن المجنون ضالّ ، وعلى هذا فهو كقوله تعالى : ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (١) إشارة إلى إنه ماغَوَى بل هو رشيدٌ مُرْشِدٌ إلى حضرة الله تعالى ، وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢) إشارة إلى قوله هنا : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى﴾(٣) ، فإن هذا خُلُقٌ عَظيم ، وقد أشار قوله تعالى «مَا ضَلَّ» إلى أنه على الطريق «وماغَوَى» إشارة إلى أنه على الطريق المستقيم ﴿ومايَنطق عَنِ الهَوَى﴾ إلى أنه مسلك الجَادَّة .

قال ابن القيم : نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المُنَافي للهدى والغيّ المنافى للرشد ، ففى ضمن هذا النفى الشهادة له بأنه على الهدى والرشد ، فالهدى فى علمه والرشد فى عمله ، وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد ، وهما سعادته وصلاحه ، وبهما وصف النبى ﷺ خلفاءه فقال (عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) .

فالرَّاشد ضد الغاوى ، والمهدى ضد الضال وهو الذى زكَتْ نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ، ولا يشتبه الراشد المهدي بالضالّ الغاوي إلا على أجهل الخَلْق وأعماهم قلباً وأبعدهم

---

(١) القلم : ٢ (٢) القلم : ٤ (٣) النجم : ٣

من حقيقة الإنسانية ، ورحم الله القائل :

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره   إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ

وتأمل كيف قال تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم﴾ ولم يقل : محمداً . تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخَلْق به وبحاله وأقواله وأعماله ، وأنهم لايعرفونه بكذب ولاغي ولا ضلال ، ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط ، وقد نَبَّه تعالى على ذلك بقوله : ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾(١) وبقوله ﴿وماصاحبكم بمجنون﴾(٢) .

« ومايـنطق عن الهوى »

قال تعالى أولاً : (ماضَلَّ) و (ماغوى) بصيغة الماضي ، وعبَّر هنا بصيغة المستقبل ، وهو ترتيب في غاية الحُسْن ، أي ماضَلَّ حين اعتزلكم وماتعبدون حين اختلى بنفسه . ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ الآن حيث أُرْسل إليكم وجُعل شاهداً عليكم ، فلم يكُنْ أوَّلاً ضالاً ولا غاوياً ، وصار الآن مُنْقذاً من الضَّلالة ومُرْشداً وهادياً ، والله سبحانه وتعالى يصون من يريد إرساله في صغَره عن الكفر والمعايب ، فقال تعالى : ﴿ماضَلَّ﴾ أي في صغره لأنه لا ينطق عن الهوى .

قال ابن القيم : نزه تعالى نطق رسوله ﷺ عن أن يَصْدُر عن هوًى ، وبهذا الكمال هداه وأرشده ، ولم يَقُلْ : وما ينطق بالهوى ، لأن نَفْيَ نُطْقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضَمَّن أن نُطْقَه لايصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن

---

(١) المؤمنون : ٦٩   (٢) التكوير : ٢٢

هوى فكيف ينطق به؟ فتَضَمَّن نفى الأمرين : نفي الهوى عن مصدر النُطْق ونَفْيَه عن النطق نفسه ، فَنُطْقُه بالحق ، ومصدره الهُدَى والرشاد ، لا الغَيّ والضلال .

«الهــوَى» :

قال الشعبى : «إنما سُمِّي الهوى هَوًى لأنه يَهْوِى بصاحبه» . وقال بعض الحكماء : «الهوى إله معبود ، له شيطان شديد ، يخدمه شيطانٌ مريد ، فمن عَبَد أوثانه ، وأطاع سلطانه واتبع شيطانه ، ختم الله تعالى على قلبه ، وحرم الرشاد من ربِّه ، فأصبح صريع غَيِّه غريق ذنبه ، وقال عزّ من قائل : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه اللهُ على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾(٢) .

وقال النبى ﷺ : (ثلاثٌ منجيات : خشية الله فى السر والعلانية والحكم بالعدل فى الرضا والغضب ، والاقتصاد فى الفقر والغنى . وثلاثٌ مهلكات : شُحٌّ مطاع ، وهوىً متبع ، وإعجاب المرء برأيه» رواه البزار وأبونعيم والبيهقى عن أنس . قال الحافظ العراقى : سنده ضعيف .

وقال ﷺ : (ماتحت ظل السماء من إله يُعبد من دون الله أعظم عند الله من هوىً متبع) رواه الطبرانى عن أبى أمامة . وقال بعض الحكماء : الهوى خادع الألباب ، صَادٌّ عن الصواب ، يخرج صاحبه من الصحيح إلى

---

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) القصص : ٥٠

المعتل، ومن الصريح إلى المحتمل ، فهو أعمى يبصر وأصم يسمع ، كما قال النبي ﷺ : (حُبّك الشيء يُعمي ويُصمّ) رواه أحمد في المسند . قال الحافظ العراقي : إسناده ضعيف .

قال آخر : على قدر بصيرة العقل يرى الإنسان الأشياء ، فمن سلم عقله من الهوى يراها على حقيقتها ، والنفس الكدرة المتبعة لهواها ترى الأشياء على طبعها . وقيل : كان على خاتم بعض الحكماء : من غلب على عقله افتضح . وقال ابن دُريد في مقصورته :

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هوى عقله فقد نجا

« إن هو إلا وحيٌ يوحى » :

قال الإمام الرازي : هذا تكملة للبيان ، وذلك أن الله تعالى لما قال : ﴿وماينطق عن الهوى﴾ كأن قائلا يقول فَعَمَّ ذا ينطق أعَن الدليل والاجتهاد؟ فقال : لا ، إنما ينطق عن حضرته تعالى بالوحي ، وهذا اللفظ أبلغ من أن لو قيل : هو وحيٌ يوحى .

قال ابن القيم : أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أي مانطقه إلا وحي يوحى ، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائدا إلى القرآن فإنه يعم نطقَهُ بالقرآن والسنة ، وأن كليهما وَحْيٌ . قال الله تعالى : ﴿وأنزل الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] وهما القرآن والسنة .

وروى الدارمي عن يحيى بن أبي كثير قال : كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن . قلت : وفي الصحيحين أن رجلا

---

(١) النساء : ١١٣

سأل النبى ﷺ وهو بالجِعْرَانَة ، فقال : يارسول الله! كيف ترى فى رجل أَحْرَمَ بعمرة بعدما تضمخ بالخلوق؟ فنظر إليه رسول الله ﷺ ساعةً ثم سكت ، فجاءه الوحى ، ثم سُرِىَ عنه ، فقال : أين السائل؟ فجئ به ، فقال : انزع عنك الجُبَّة واغسل أثر الطيب واصنع فى عمرتك ماتصنع فى حَجَّتك .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كنتُ أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتنى قريشٌ وقالوا : تكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلم فى الرضا والغضب ؟ فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : (اكتُبْ فوالذى نفسى بيده مايخرج مِنّى إلا حقّاً) .

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إنى لا أقول إلا حقاً) وقال بعض أصحابه : إنك تداعبنا يارسول الله ، قال : (إنى لا أقول إلا حقاً) .

وروى الإمام أحمد والطبرانى والضيآء فى "المجموعة المختارة" عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لَيَدخُلَنَّ الجنة بشفاعة رجل مثل الحَيَّيْن أو مثل أحد الحَيَّيْن ربيعة ومضر . فقال رجل : يارسول الله وماربيعة ومضر؟ قال : (إنى ما أقول إلا ما أُقَوَّله ـ بضم الهمزة وفتح القاف والواو المشددة ـ أى مايقُولُه الله لىِ من الوحي) .

«علّمه شديدُ القُوَى» :

أخبر تعالى عن وصف من عَلَّمَه بالوحي أنه مضادٌ لأوصاف الشيطان معلِّم الضَّلالَة والغَوَاية ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾[1] وفي وصفه بذلك تنبيهٌ عَلَى أمور :

الأول : أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنو منه وأن ينالوا منه شيئاً أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربْه .

الثاني : أنه مُوال لهذا الرسول الذى كَذَّبتموه ومعاضدٌ له وناصر ، كما قَال تعالى : (فإنَّ الله هو مولاه وجبَريل وصالح المؤمنين)[2] الآية . ومن كان هذا القَوِيُّ وليَّه ومعلّمَه ومن أنصاره وأعوانه فهو المهدىُّ المنصور ، والله هاديه وناصرُهُ .

الثالث : أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبَه ووَلِيَّه جبريل ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عرضة للهلاك .

الرابع : أنه قادر على تنفيذ ما أُمِر به بقوته فلا يعجز عن ذلك بل هو مُؤدّ له كما أُمِر» .

ثم فى قوله : (شديد القُوَى) فوائد :

الأولى : أن مدح المُعَلِّم مَدْح للمتعلم ، فلو قال : عَلَّمه جبريل ولم يصفه ، ما كان يحصل للنبى ﷺ فضيلةٌ ظاهرة .

---

(١) التكوير : ٢٠ (٢) التحريم : ٤

الثانية : أن فيه رَدّاً عليهم بحيث قالوا : أساطير الأولين ، فقال : لم يُعَلِّمه أحَدٌ من الناسِ بل علَّمه شديد القوى .

الثالثة : فيه الوثوق بقَول جبريل عليه السلام ، ففى قوله تعالى : «شديد القُوَى» جَميع مايوجب الوثوق ، لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل على ماعرف ، وكذلك قوة الحفظ فقال : (شديد القُوى) ليجمع هذه الشرائط ، فيصير كقوله تعالى : (ذي قوة عند ذي العرش مكِين ، مُطَاعٍ ثَمَّ أمِين)(١) .

«ذُو مِـرَّةٍ» :

قال قطرب : تقول العرب لكل جَزْلِ الرأي حصيف العقل ذو مِرَّة ، قال الشاعر :

قد كُنْتُ قبل لِقَاكُم ذا مِرَّة　　　عندى لكل مُخاصِمٍ ميزانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى ائتمنه على وحيه إلى جميع رُسُله .

قال الجوهري : «والمِرَّة القوّة وشدة العقل ، ورجلٌ مَرِير أى قويٌ ذو مِرَّة . قال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه　　　وحشو ثيابه أسَدٌ مَرِير

قال ابن القيم : أي جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة ، ليس شيطاناً أقبح خلق الله تعالى وأشوههم صورة ، بل هو من أجمل الخَلق

---

(١) التكوير : ٢٠ ـ ٢١

وأقواهم وأعظمهم أمانةً ومكانةً عند الله ، وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له ، كما ذُكر نظيره في سورة التكوير ، فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته . وهذه كانت أوصاف الرسول البشري والملكي ، وكان رسول الله ﷺ أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأصفاهم نفساً .

«**فَاستَوىَ. وَهُوَ بالأفُقُ الأعلى**»:

«فاستوى» يعنى جبْريل أى ارتفع وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن علَّم محمداً ﷺ ، قاله ابن المُسَيِّب وابن جُبير .

وقيل «فاستوى» أى ظهر فى صورته التى خلقه الله تعالى عَلَيهَا ، لأنه كان يأتى النبى ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء ، فسأله رسول الله ﷺ أن يُريَه نفسه التى خلقه الله عليها ، فأراه نَفْسَه مَرَّتَين : مَرَّةً فى الأرض ومرة في السماء ، فأما فى الأرض فقد كانت والنبى ﷺ بحراء فى أوائل البعث بعد فترة الوحى كما قال ابن كثير .

وروى الإمام أحمد وعَبْد بن حُمَيْد وابن المنذر والبيهقي وأبو نُعَيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته ، له ستمائة جَنَاحٍ ، كل جَنَاح منها قد سَدَّ الأفُق وتسقط من أجنحته التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم .

وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى .

«ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» :

قال الإمام الرازى : فيه وجوه : الأول ـ وهو أشهرها ـ : أن جبريل دنا من النبى ﷺ ، أى بعد ما مدّ جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها ، وقرب من النبى ﷺ .

الوجه الثانى : أن المراد دنا من ربه تبارك وتعالى ، والمراد بالدنوّ هنا المنزلة كما فى قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل : مَن تَقَرَّبَ مِنّي شِبْراً تَقَرَبْتُ مِنْهُ ذِراعاً وَمَن أَتَاني يَمشى أَتيتُهُ هَروَلَة . وهَذَا إشَارَة إلَى المعنى ، ولهذا مزيد بيان فى شرح القصة .

الوجه الثالث : دنا جبريل من ربه ، قاله مجاهد .

الوجه الرابع : أنه ﷺ دنا من ربه ، ويحمل هو والذى قبله كما قال الإمام الرازى على القرب من المنزلة .

«فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أَو أَدْنَى» :

قال الإمام الرازى : أى فكان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين أو أقل ، فهذا على استعمال العرب وعادتهم ، فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما وجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرعية يكون كَفُّه بكفّ صاحبه فيمدان باعيهما لذلك فسُمّي مبايعة ، وعلى هذا ففيه مقدار قوسين أو كان جبريل سفيرًا بين حضرة الله تعالى ومحمد ﷺ فكان كالتبع لمحمد ﷺ ، فصار

كالمبايع الذى يَمُدُّ الباع لا القوس .

وقال القرطبى : وقال سعيد بن جبير وعطاء و أبو إسحق الهمدانى وأبو وائل شقيق بن سلمة «فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أى قدر ذراعين ، والقوس الذراع يقاس بها كل شئ ، وهى لغة بعض الحجازيين .

قال الحافظ : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح ، فقد روى الطبراني وابن مردويه والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال : القاب القيد والقوسان الذراعان .

«أَوْ أَدْنَى» .

«أو» هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وأنها لاتزيد على قوسين البتة ، كما قال تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] ، تحقيقا لهذا القدر ، وأنهم لاينقصون عن مائة ألف أو يزيدون رجلاً واحداً .

«فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى» :

أى أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى إليه به ، أبهمه للتفخيم والتعظيم .

وفى «ما أوحى» وجوه : الأول : فضل الصلاة ، الثاني : أن أحداً من الأنبياء لايدخل الجنة قبلك ولا قبل أمَّتك ، الثالث : أن «ما» للعموم ، والمراد كل ما جاء به جبريل .

---

(١) الصافات : ١٤٧

«مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى» :

قال ابن القيم : أخبر الله تعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه ، وأن القلب صَدَّق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ماهو به ، فكذّبَ فُؤادُه بَصَرَهُ ، بل ماراه ببصره صَدَّقه الفؤاد وعلم أنه كذلك . يُقال كَذَبَتْهُ عَيْنُه وكَذَبَه قَلْبُه وكَذَبَه جَسَدُه إذا أخْلَفَ مَا ظَنَّه وَحَدَسَهُ . قال الشاعر :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِواسطٍ ... غَلَسَ الظلاَمِ منَ الرَّباب خَيَالا

أى أرَتْكَ مالا حقيقة له . فنفى الله تعالى هذا عن رسول الله ﷺ ، وأخبر أن فؤاده لم يكذب ماراه .

قال الماوردى : فى الفؤاد قولان : أحدهما : أنه أراد صاحب الفؤاد فعبر عنه بالفؤاد ، لأنه قطب الجسد وبه قوام الحياة ، الثانى : أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد .

« ماكذب الفؤاد ما رأى» وقراءة أخرى:

قرأ الجمهور بتخفيف الذال من كذب والمعنى : ماكذب قلب محمد ﷺ ماراه محمد ﷺ بعينه ، وإن القلب صدق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ماهو به فكذب فؤاده بصره ، وقرأ هشام وأبو جعفر بتشديد الذال من كذّب أي ماكذّب الفؤاد ماراه البصر ، ولم يقل إنّ ما راه البصر خيالٌ لا حقيقة له بل صدقه على ماراه ، وهذا بناء على أن الرائى البصر ، وأما على القول بأن الرائى الفؤاد فالمعنى ماكذب الفؤاد ماراه الفؤاد ، أي لم

يقل إنه جني أو شيطان بل تيقن أنّ ما رآه بفؤاده صدقٌ صحيح .

من هو المرئى :

واختلفوا فى المرئى من هو ؟ ، فقيل جبريل ، رآه وله ستمائة جناح كما ثبت عن ابن مسعود فى الصحيح فى تفسير هذه الآية ، وفى رواية عنه : رأى جبريل عليه حلتان على رفرفٍ أخضر قد ملأ مابين السماء والأرض كما رواه الفريابى والترمذى وصححاه ، وقيل المرئى الآيات العجيبة ، وقيل المرئى هو الله سبحانه وتعالى ، وهو قول ابن عباس وأنس وأبى أمامة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ثم منهم من يقول رآه بعينه من غير كيف ولا انحصار رؤيا لائقة بجلاله وكماله وهو المشهور عن ابن عباس ، ومنهم من يقول رآه بقلبه وهو مروي عن ابن عباس أيضا وعن غيره .

« أفتمارونه على مايرى » :

قوله تعالى : ﴿ أفتمارونه على مايرى ﴾ أنكر تعالى عليهم مكابرتهم وجحدهم له على مايراه كما ينكر على الجاهل مكابرته لعالم ومماراته على ما علمه ، فقال مبتدئاً بهمزة الاستفهام الإنكارى " أفتمارونه " أي أفتجادلونه من المِراء وهو الملاحاة والمجادلة ، واشتقاقه من مَريتُ الناقة مرياً إذا مسحت ضرعها لتدر ، وعبر بالمفاعلة فى هذه القراءة إشارة إلى اجتهادهم فى تشكيكه ، لأن كلاً من المتجادلين يمري ماعند صاحبه أي يستخرجه ، من مَرَى الشيء استخرجه ، ومريت الفرس إذا استخرجت ماعنده من الجري بسوط أو غيره .

وقال الزمخشري وتبعه البيضاوى معنى "أفتمارونه" أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ، قال السبكى : وهو معنًى جيد وورود مريت بمعنى جحدت فى كلام العرب لايدفع هذا لثبوت المعنيين لغة(١) ، والتعدية بعلى على معنى الغلبة واضحةٌ ، وأما على معنى الجحد فلتضمنه معنى الغلبة فإن الممارى والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم .

« **ولقد رآه نزلة أخرى** » :

قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال ابن القيم : أخبر الله تعالى عن رؤيته لجبريل مرةً بعد أخرى ، فالمرة الأولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى ، والثانية هذه كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى . قال الحافظ ابن كثير : هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التى خلقه الله تعالى عليها وكانت ليلة الإسراء ، وقد روى الإمام أحمد بسند جيد كما قال الحافظ المذكور عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل على سدرة المنتهى له ستمائة جناح ، كلُّ جناح منها قد سدّ الأفق تسقط من أجنحته التهاويل من الدرّ والياقوت ما الله به عليم ، وأصل الحديث رواه مسلم اهـ . وأما المرة الأولى فكانت فى حراء فى أوائل البعثة كما تقدم .

« **عند سدرة المنتهى** »

قوله تعالى : ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ والسدرة شجرة النبق رآها النبى ﷺ ليلة الإسراء ، رأى عندها جبريل فى صورته الأصلية وهي فى السماء

---

(١) قال القرطبى : والمعنيان متداخلان لأن مجادلتهم جحود ا هـ

السابعة كما فى حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، ووقع فى حديث ابن مسعود أنها فى السادسة ، وحديث أنس هو قول الأكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهى إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرّب ، وماخلفها غيبٌ لايعلمه إلا الله تعالى أو مَن أعلمه ، ويترجح حديث أنس بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود بأنه موقوف[1] ، وقد جمع بينهما بأن أصلها فى السادسة ، وأغصانها وفروعها فى السابعة ، وليس فى السادسة منها إلا أصل ساقها . قال مقاتل : وهى عن يمين العرش . قال الخليل : قد أظلت السموات والجنة . قال بعضهم : وهى طوبى التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد بقوله : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾[2] وهى شجرةٌ يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، وفى "الكشاف" سبعين عاما لايقطعها ، ويستظل فى الغصن منها مائة ألف راكب ، ولو وضعت ورقةٌ منها فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض ، ورقها كآذان الفيَلة ، ونبقها كقلال هجر ، يخرج من أصلها أربعة أنهار ، نهران ظاهران : النيل والفرات ، ونهران باطنان فى الجنة[3] فيها فراشٌ من ذهب ، وإنما قيل لها سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى عندها لايجاوزها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ ، وقيل لأنه ينتهى إليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من أمر الله تعالى لايعدوها ، وقيل ينتهى إليها علم الخلائق وعلم كل عالم ، لايعلم ماوراءها صعدا إلا الله تعالى ، وقيل لأنه ينتهى إليها من

---

(١) قلت وكلاهما صحيح أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان فى باب الإسراء برسول الله ﷺ.
(٢) الرعد : ٢٨
(٣) قال مقاتل : وهما السلسبيل والكوثر . كذا فى شرح النووى على مسلم ٢/ ٢٢٤ .

مات على سنة محمد ﷺ وهم المؤمنون حقاً ، وقيل غير ذلك .

«المنتهى»:

"والمنتهى" اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء أو مصدر ميمى بمعنى الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها ، وإضافة السدرة إلى المنتهى إما من إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا ، فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملَكٌ ولا روحٌ من الأرواح ، أو من إضافة المحل إلى الحالّ فيه كقولك كتاب الفقه ، وعلى هذا فالتقدير سدرةٌ عندها أو فيها منتهى العلوم، أو المراد بالمنتهى هو الله تعالى ، وحينئذ يكون التقدير المنتهى إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾(١) فإضافة السدرة إلى المنتهى من إضافة الملك إلى مالكه ، فالإضافة إليه كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم .

«عندها جنة المأوى»:

قوله تعالى : ﴿عندها جنة المأوى ﴾أي عند سدرة المنتهى جنة المأوى ، وهذه الجملة تحتمل الحال والاستئناف ، والحال أظهر ، كما قاله السبكى وهو تعريف لموضع جنة المأوى وأنها عندها سدرة المنتهى وهي عن يمين العرش كما تقدم ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : جنة المأوى التى تأوي إليها أرواح الشهداء ، وقيل أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن خرج منها ، وقيل إن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها ، وقيل إن أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وهي تحت العرش ينعمون بنعيمها ، وقالت

---

(١) النجم : ٤٢

عائشة وزر بن حبيش : جنة من الجنان ، ومال إليه ابن عطية ، والجنات كلها يأوي إليها المتقون ، أراد الله تعالى أن يعظم مكان سدرة المنتهى بأن جعل الجنة عندها ، وفي ذلك تعظيمٌ لمكانها وتشريف له ، وقرأ علي بن أبي طالب وأبو الدرداء وجماعة من الصحابة والتابعين جَنَّهُ المأوى بالهاء في جنه فعلاً ماضياً ، والهاء ضمير المفعول يعود للنبي ﷺ والمأوى فاعل أي ضمه وستره إيواء الله تعالى وجميل صنعه تعالى ، وقد أنكرت عائشة رضي الله تعالى عنها وجماعة معها هذه القراءة وقالوا : أجن الله تعالى من قرأها ، وإذا ثبت قراءة هؤلاء فلا سبيل إلى ردها ، ولكن المستعمل إنما هو أجَنَّهُ رباعياً فإن استعمل ثلاثياً تعدى بعلى كقوله تعالى : ﴿فلما جن عليه الليل﴾(١) وقال أبو البقاء : هو شاذ والمستعمل أجَنَّهُ .

« **إذ يغشى السدرة مايغشى** » :

قوله تعالى ﴿ إذ يغشى السدرة مايغشى ﴾ قال ابن القيم : لما ذكر الله سبحانه وتعالى رؤية محمد لجبريل صلى الله عليهما وسلم عند سدرة المنتهى ؛ استطرد منها وذكر أن جنة المأوى عندها وأنها يغشاها من أمره وخلقه مايغشى ، وهذا من أحسن الاستطراد وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن ، وفي التعبير (بِمَا) تعظيمٌ وتكثير لما يُغشاها ، وقد علم بهذه العبارة أن مايغشاها من الدال على عظمة الله وجلاله مالا يحدّه النعت ولايحيط به الوصف ، وقد جاء بيانه ففي صحيح مسلم وغيره كما رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (رأيت السدرة يغشاها فراشٌ من

---

(١) الأنعام : ٧٦

ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكاً يسبح الله تعالى) ، وقيل (ملائكةٌ يغشونها كأنهم طيورٌ يرتقون إليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة . وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران قال:[1] "إذ يغشى السدرة مايغشى" قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبى ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إلى النبى ﷺ ، وروي مرفوعاً غشيها من نور الله عز وجل حتى مايستطيع أحد ينظر إليها ، وقيل لما غشيها ماغشيها تحولت ياقوتاً وزمردا ، وإنما اختيرت السدرة لهذا الأمر دون سائر الأشجار لأنها تختص بثلاثة أوصاف ، ظل مديد ، وطعم لذيذ ، ورائحة ذكية ، فشابهت الإيمان الذى جمع قولاً وعملاً ونية ، فظلها كالعمل ، وطعمها كالنية ، ورائحتها كالقول ، وأما ما جاء من الأحاديث فى النهي عن قطع السدر من قوله ﷺ الذي رواه أبو داود وغيره : (من قطع سدرة صوّب الله برأسه فى النار) ، فمحمولٌ على سدر الحرم كما زاده الطبرانى فى روايته فى قوله يعنى من سدر الحرم ، أو على من قطعه من فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيه على ماقاله أبو داود ، وقد روى البيهقى أن أباثور سأل الشافعي رضي الله عنه عن قطع السدر فقال : لابأس به ، وقد رُوي أن النبى ﷺ قال (اغسلنها بماء وسدر) ، وقد احتجّ المزنى بما احتج به الشافعى من إجازة النبى ﷺ أن يغسل الميت بالسدر ، ولو كان حراماً لم يجز الانتفاع به ، والورقُ من السدر كالغصن ، وقد سوّى رسول الله ﷺ فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره ، فلما لم يمنع من السدر دل على جواز قطع السدر .

---

(١) هذا الأثر ليس بمرفوع .

« مازاغ البصر وماطغى » :

قوله تعالى : ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ وصف الله تعالى وتقدس فى هذه الآية أدب النبى ﷺ فى ذلك المقام وثبوته ، ونفى عنه مايعرض للرائى الذى لا أدب له بين يدي العظماء إذا ورد على مقام يدهش فيه من التفاته يميناً وشمالاً ، ومجاوزة بصره إلى مابين يديه بقوله ﴿ مازاغ البصر ﴾ أي ما مال، والزيغ ميل البصر أي بصر النبى ﷺ ﴿وماطغى﴾ أي بصره أي ما تجاوز وامتد أمامه إلى حيث ينتهى . قال ابن عباس : مازاغ البصر يميناً ولاشمالاً ولاجاوز ما أمربه وكما أن معنى الآية وصف أدب النبى ﷺ ، فهي متضمنةٌ أيضًا لوصف قوة نظره ويقينه وقلبه لتحقيق الأمر ونفي وجوه الريب عنه ، فلم يلتفت جانباً يمينا ولاشمالا ، ولاقصر عن كشف الأمر وحقيقته ، ولاجاوزه ولامد بصره إلى شيء غير المقصود مما رآه من الآيات ، واستقبله من العجائب ، وأثبت ما رآه إثباتاً مستقيماً صحيحاً وذلك غاية القوة والأدب ، أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوز ما أمر برؤيته ، بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبه وإطراقه وإقباله على ما أُرِيَه دون التفاته إلى غيره ، ودون تطلعه إلى مالم يره مع مافى ذلك من ثبات الجَأش وسكون القلب وطمأنينته ، وهذا غاية الكمال ، وقد نزه الله تعالى فى هذه السورة علمه عن الضلال ، وقصده وعمله عن الغي ، ونطقه عن الهوى ، وفؤاده عن تكذيب بصره ، وبصره عن الزيغ والطغيان ، وهكذا يكون المدح . .

« لقد رآى من آيات ربه الكبرى » :

قوله تعالى : ﴿ لقد رآى من آيات ربه الكبرى ﴾ قد أكد سبحانه وتعالى ماذكره فى هذه الآية بالقسم فقال ﴿لقد رأى﴾ أي والله لقد رآى أي أبصر من آيات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج أو من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرته وعظمته ، والآيات جمع آية وهي العلامة ، ووصفها بالكبرى لتمييزها عن غيرها ولبيان نوعها ، وآيات الله تعالى لاتحصى ، أو لعظم الآيات الكبرى فلا يحاط بها ، والشيء إذا لم يحط به فلا يدرك تعيينه .

تعيين ماراه من تلك الآية الكبرى :

واختلفوا فى تعيين ماراه من تلك الآية الكبرى ، فقيل جبريل فى صورته . قال الإمام الرازى : والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل وإن كان عظيماً لكن ورد فى الأخبار أن لله ملائكةً أعظم منه ، والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه تعالى قال : لقد رآى من آيات ربه الكبرى آيات هي أكبر الآيات ، وقيل : المرئى السدرة ، وقيل : ما رآه حين رقى به إلى السموات ومافوقها من عجائب الملكوت وغير ذلك . وأما قول القرطبى : وقيل هو ما رآه تلك الليلة فى مسْراه وعوده وبدئه وهذا أحسن ؛ فلا يناسب قوله فى آية الإسراء ﴿ لنريه من آياتنا ﴾[1] .

---

(١) الإسراء : ١

خاتمة البحث

قال الحافظ الشامي : اشتملت هذه الآيات على قَسَمه تعالى على هداية نبيه محمد ﷺ وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا ، وأنه وَحيٌ يُوْحَى، يُوَصّله إليه جبريل الشديد القوى عن الله تبارك وتعالى العَلِيِّ الأعلى ، واحتوت أيضا على تزكية جملته ﷺ وعصمته من الارتياب في هذا المسرَى ، ثم أخبر تعالى فيها عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سِدْرَةِ المنتهى ، وتصديق بصره فيما رآه من آيات ربه الكبرى .

الصحابة الذين رووا قصة الإسراء والمعراج :

روى قصة الإسراء والمعراج عددٌ كبير من الصحابة وهم أبي بن كعب وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وبريدة وبلال بن حمامة وبلال بن سعد وجابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب وسهل بن سعد وشداد بن أوس وصهيب بن سنان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبى أوفى وعبد الله بن أسعد بن زرارة وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عابس والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبوبكر الصديق وأبو الحمراء وأبو أيوب الأنصارى وأبو الدرداء وأبو ذر الغفارى وأبو سعيد الخدرى وأبو سفيان بن حرب وأبو سلمة وأبو سلمى الراعى وأبو ليلى الأنصارى وأسماء بنت أبى بكر وعائشة أم المؤمنين وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنهم .

نصوص الأحاديث المروية

فى هذا الباب[1]

(الحديث الأول)

١ ـ قال السيوطى : ولْنبدأ بأجودها وأتقنها ، وهو حديثُ حماد بن سلَمة عن ثابت ، عن أنس فإنه جوّده وأتقنه فسَلم مما في غيره من التَّعارُض .

قال مُسلم : حدَّثنا شَيبان بن فرُّوخ ، عن حَمَّاد بن سلَمة ، عَن ثابت البُنَاني ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (أُتيتُ بالْبُراق وَهُوَ دابَّةٌ أبْيَضُ طَويلٌ فَوْقَ الْحمَار وَدُونَ الْبَغْل ، يَضَعُ حَافِرَهُ عنْدَ مُنْتَهَى طَرْفه ، قال : فَركَبْتُهُ حَتَّى أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدس ، فَرَبَطْتُهُ بالْحَلْقَة الَّتي يَرْبطُ بهَا الأنْبيَاءُ ، ثُمَّ دَخلتُ الْمَسْجدَ فَصلَّيْتُ فيه ركْعَتَيْن ، ثُمَّ خرَجْتُ ، فَجَاءَني جبْريلُ (عليه السلام) بإنَاء منْ خَمْرٍ وَإنَاء منْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جبْريلُ : اخْتَرْتَ الْفطْرَةَ .

ثُمَّ عرجَ بنَا إلى السَّمَاء الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جبْريلُ ؛ فَقيلَ مَنْ أنْتَ؟ قَالَ : جبْريلُ . قيلَ : وَمَنْ مَعكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ . قيلَ : وَقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قَالَ : بُعثَ إلَيْه . فَفُتحَ لَنَا فَإذَا أنَا بآدَمَ ، فَرَحَّبَ بي ودَعَا لي بخَيْر .

ثُم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت؟ فقال : جبريل . قيل ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : بعث

(١) انظر هذه الأحاديث فى كتاب « الأية الكبرى فى شرح قصة الإسرا » للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ، بتحقيق الأستاذ الجليل الفاضل محى الدين مستو .

إليه . ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، فرحَّبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير . قال الله تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً) (١) .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال :

---

(١) مريم : ٥٧

قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، قال : فأوحى إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب خفف عن أمتي . فحط عني خمساً . فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عني خمساً . قال : إن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال : يامحمد! إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة ، لكل صلاة عشرٌ فتلك خمسون صلاة ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنةً ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه) .

(الحديث الثاني)

٢ ـ قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله بماءْ زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئٍ حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه .

ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئت إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال : من هذا؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد؟ قال : نعم ، معي محمد . فقال : أأرسل إليه؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد ، على يمينه أسْودة ، وعلى يساره أسْوِدَة ، إذا نظر قِبَل يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبلَ شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . حتى عرج بي إلى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح) .

قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى ، وعيسى وإبراهيم ـ صلوات الله عليهم ـ ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه

ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام بالنبى ﷺ بإدريس قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت : (من هذا؟ قال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قلت : من هذا؟ قال عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا؟ قال : إبراهيم .

ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله على أمتك؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لاتطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها ، قال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لاتطيق ، فرجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لاتطيق ذلك . فراجعته فقال : هي خمسٌ وهي خمسون لايبدل القول لديّ ، فرجعت إلى موسى قال : ارجع إلى ربك . قلت : قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ماهي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك) .

(الحديث الثالث)

٣ـ قال البخاري أيضاً : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان ـ وهو ابن بلال ـ عن شريك بن عبد الله ـ يعني ابن أبي نمر ـ قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، وكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتي بطست من ذهب محشو إيماناً وحكمةً فحشا به صدره ولناديده ـ يعنى عروق حلقه ـ ثم أطبقه ..

ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : معي محمد . قالوا : وقد بعث؟ ، قال : نعم . قالوا : مرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء ، لايعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يُعلمهم . ووجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلّم عليه ، فسلّم عليه ، وردّ عليه آدم وقال : مرحباً وأهلاً بابني ، نعم الابن أنت .

فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : ما هذان النهران يا جبريل؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما . ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر ، فقال : ماهذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك .

ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً وأهلاً .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها أنبياء قد سمَّاهم ، فأوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع علي أحد .

ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاةً كل يومٍ وليلة ، ثم هبط به حتى بلغ موسى ، فاحتبسه موسى فقال : يامحمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال : عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لاتستطيع ذلك ، فارجع

فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فذكر نحو ماتقدم .

قال العلماء : اضطرب شريك في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه

(الحديث الرابع)

٤ ـ قال البزار : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز[1] بين كتفي ، فقمت إلى شجرة فيها كوكَرَي[2] الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعدت في الآخر ، فنمت وارتفعت حتى[3] سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت فإذا جبريلُ كأنه حلْسٌ لاَطئٌ[4] ، فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ، وأوحى إلي ما شاء أن يوحِي»[5] .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : إن صح هذا الحديث فهي واقعة غير واقعة الإسراء لأنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء[6] .

---

(١) «فوكز بين كتفي» : الوكز : الضرب بجمع الكف برفق .

(٢) «كوكري الطير» : تثنية وكر : وهو عش الطائر إن كان في جبل أو شجر ، والمراد هنا : بيتان شبيهان بعشه في الهيئة والوضع لا في المقدار .

(٣) في سبل الهدى والرشاد ؛ للشامي ص ١٠٥ : «فنمت وارتفعت حتى سدت الخافقين» : أي زادت الشجرة وارتفعت . وفي تفسير ابن كثير ٥/ ٩ «فنشأت» أي : ارتفعت . وفي مجمع الزوائد ١/ ٧٥ «فسمت وارتفعت» .

(٤) «حلس لاطئ» : الحلس : الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، ولاطئ : أي لاصق والمراد أن جبريل عليه السلام لزم مكانه ، وكان مثله مثل الكساء الذي يلي ظهر البعير ، فهو ملتصق لا يفارقه .

(٥) مجمع الزوائد ١/ ٧٥ وقال الحافظ الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . وفي الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٣٩١ : أخرج الحديث ابن سعد ، وسعيد بن منصور في سننه ، والبزار ، والبيهقي ، وابن مردويه ، وابن عساكر

(٦) تفسير ابن كثير ٥/ ٧٥ . وقال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ١٩٨ بعد أن ساق الحديث : «ورجاله لا بأس بهم إلا أن الدارقطني ذكر له علة تقتضي إرساله ، وعلى كل حال فهي قصة أخرى الظاهر أنها وقعت بالمدينة . . .» قلت : ولعل السبب في قول الحافظ ابن كثير : «إن صح» هو وجود الحارث بن عبيد في سند الحديث ، وهو كما قال : أبو قدامه الإيادي ، أخرج له مسلم في صحيحه ، إلا أنَ ابن معين ضعفه ، وقال : ليس هو بشيء . وقال الإمام أحمد : مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان : كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد وهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقاً عجيباً ، ولعله منام ، والله أعلم . اهـ مستو .

(الحديث الخامس)

٥ ـ قال البيهقي في "الدلائل" : أخبرنا أبو الحسن بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي ، حدثنا أبو علي بن مقلاص ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه عبد الرحمن ، عن هاشم بن هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل بالبراق إلى الرسول ﷺ فكأنها أصرت[1] أذنيها ، فقال لها جبريل : مه يابراق فو الله إن ركبك[2] مثله ، فسار رسول الله ﷺ فإذا هو بعجوز على جنب الطريق ، فقال : ماهذه ياجبريل؟ قال جبريل : سر يامحمد . فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول : هلم يامحمد ، فقال له جبريل : سر يامحمد فسار ما شاء الله أن يسير . قال : فلقيه خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر . فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد . فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما

---

(١) «أصَرَّتْ أُذنيها» : نصبتهما وسوتهما ، وأصل الصَّر : الجمع والشد .

(٢) «إنْ ركبك مثلُه» ما ركبك مثله .

العجوز التي رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا مابقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام) .

قال الحافظ ابن كثير : في بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

(الحديث السادس)

٦ ـ قال ابن أبي حاتم في "تفسيره" : حدثني أبي ، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، حمله جبريل عليها ، ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له «باب محمد» أتى إلى الحجر الذي ثَمَّةَ ، فغمزه جبريل بأصبعه فنقبه(١) ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا في صرحة(٢) المسجد ، قال جبريل : يامحمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ قال : نعم ، فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة . قال : (فأتيتهن فسلمت عليهن فردَدْنَ عليَّ السلام ، فقلت : مَن أنتُنَّ؟ فقلن : نحن خيراتٌ حسان ،نساء قومٍ أبرار ، نُقُّوا فلم يدرنوا(٣) ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخُلِّدوا فلم يموتوا .

ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناسٌ كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمُّنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدّمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : يامحمد أتدري من صلى خلفك؟ قال : قلت : لا . قال : صلى خلفك كل نبي بعثه الله .

قال : ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن كثير ٥/ ١١ (فثقبه)

(٢) « صرحة المسجد » : ساحته (٣) «نقوا فلم يدرنوا» : أي طَهُرُوا فلم يتسخوا .

استفتح[1] فقالوا : من أنت؟ قال : أنا جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك . قال : فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل : يامحمد ألا تسلّم على أبيك آدم؟ قال : قلت : بلى فأتيته فسلمت عليه ، فرد عليّ وقال : مرحباً بابني والنبي الصالح .

قال : ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك ، فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام .

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها يوسف ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك . فإذا فيها هارون ، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا : من؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا :

---

(١) أي استفتح جبريل

وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا ، ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، فقال جبريل : يامحمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم؟ فقلت : بلى ، فأتيته فسلمت عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بابني والنبي الصالح .

قال : ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه جام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طيرٌ خضراء نعم طير رأيت ، فقلت : ياجبريل إن هذا الطير لناعم ، فقال : يامحمد آكله أنعم منه ، ثم قال : يامحمد أتدري أي نهر هذا؟ قلت : لا ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض[1] من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن . قال : فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحةً من المسك ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لونٍ فرفعني[2] جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال الله : يامحمد إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاةً فقم بها أنت وأمتك . قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أتيت على موسى

---

(١) «رضراض» : الحصى الصغار .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن كثير ٥/ ١٢ «فرفضني» : أي تركني

فقال : ماصنعت يامحمد؟ فقلت : فرض ربي عليّ وعلى أمتى خمسين صلاةً . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك . فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفعني جبريل وخررت ساجداً وقلت : رب إنك فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاةً وإني لا أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا ، قال : قد وضعت عنكم عشراً ، قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل وانصرفت سريعًا حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل شيئًا ، ثم أتيت على موسى فقال لي : ماصنعت يامحمد؟ فقلت : وضع عني ربي عشراً قال : أربعون صلاةً، قال : لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم) ، فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ، ثم أمره موسى أن يرجع فيسأل التخفيف . فقلت : (إني قد استحييت منه تعالى) .

قال: ثم انحدر فقال رسول الله ﷺ لجبريل : (ما لي لم آت أهل سماء إلا رحّبوا بي وضحكوا إليّ غير رجلٍ واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك إليّ؟ قال : يامحمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خُلقَتْ[1] ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك .

قال : ثم ركبت منصرفاً) ، فبينا هو في بعض طريقه مرّ بعير لقريش تحمل طعاماً ، منها جمل عليه غِرارتان : غِرارةٌ[2] سوداء وغِرارةٌ بيضاء ،

(١) أي منذ خُلِقَت النار (٢) «غِرارة» : قِرْبة .

فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبابكر فقالوا : يا أبابكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع في ليلته ، فقال أبوبكر : إن كان قاله فقد صدق ، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خبر السماء .

فقال المشركون لرسول الله ﷺ : ما علامة ما تقول؟ قال : مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا ، فنفرت الإبل واستدارت ، وفيها بعيرٌ عليه غرارتان : غرارةٌ سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر ، فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ماحدثهم عليه رسول الله ﷺ ، ومن ذلك سمي أبو بكرٍ الصديق .

وسألوه فقالوا : هل كان فيمن حضر معك عيسى وموسى؟ قال : نعم ، قالوا : فصفْهم؟ قال : نعم ، أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجلٌ ربعة يعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان»(١) .

قال ابن كثير : هذا سياق فيه غرائب عجيبة .

---

(١) «الجُمَان» : اللؤلؤ .

(الحديث السابع)

٧ ـ قال أحمد في "مسنده" : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، أن مالك بن صعصعة حدثه ، أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينا أنا في الحطيم ـ وربما قال قتادة في الحِجْر ـ مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه : الأوسط[(١)] من الثلاثة قال : فأتى : فقدَّ (وسمعت قتادة يقول : فشق)[(٢)] مابين هذه إلى هذه . (وقال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : مايعني؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول : من قصته[(٣)] إلى شعرته) . قال : فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم جشي ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض (قال : فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال : نعم) يضع[(٤)] خطوه عند أقصى طرفه . قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوَقد أُرسل إليه؟ قال : نعم ، فقيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال : هذا أبوك

---

(١) في تفسير ابن كثير ٥/ ١٣ «الأوسطُ بين الثلاثة» .

(٢) مابين القوسين سقط من النسخ المخطوطة ، وأثبته من المسند ٤/ ٢٠٨ ـ ٢١٠ .

(٣) «قصته» كذا في المسند ٤/ ٢٠٨ ولعلها «قصّه» والقصّ : عظم الصدر ، وفي النهاية ؛ لابن الأثير ٣/ ٣٩٠ : «أتاني آت فقدَّ من قصي إلى شعرتي» .

(٤) في «ب» والمسند ٤/ ٢٠٨ «يقع» .

آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال: فسلمت ، فردا السلام ، ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أوَقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف عليه السلام فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ قال :

جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوَقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا هارون . قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا أنا بموسى . قال : هذا موسى فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، قال : فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : مايبكيك؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد حتى انتهى إلى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا بإبراهيم قال : هذا إبراهيم فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : وماهذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لي البيت المعمور . (قال قتادة : وحدثني الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون فيه . ثم رجع إلى حديث أنس قال :) ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل قال : فأخذت اللبن ، قال : (هذه الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة) فذكر نحو ماتقدم أخرجه الشيخان .

(الحديث الثامن)

٨ ـ قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ ، حدثنا أبو العباس (محمد بن يعقوب) حدثنا أبوبكر يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو محمد الحماني ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «بينا أنا نائمٌ عشاءً في المسجد الحرام ، إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً ، وإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد ، فإذا أنا بدابة أدنى شبهةً بدوابكم هذه . بغالكم هذه مضطرب الأذنين يقال له : البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي ، يضع حافره عند مد بصره ، فركبته . فبينا أنا أسير عليه ، إذ دعاني داعٍ عن يميني : يامحمد ، انظرني أسألك ، فلم أجبه (ولم أقم عليه) . فبينما أنا أسير عليه ، إذ دعاني داعٍ عن يساري : يامحمد ، انظرني أسألك . فلم أجبه (ولم أقم عليه) . فينما أنا أسير عليه إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، وعليها من كل زينة خلقها الله ، فقالت : يامحمد ، انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليها ، ولم أقم عليها ، حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها به . أتاني جبريل بإناءين : أحدهما خمر ، والآخر لبن ، فشربت اللبن وتركت الخمر ، فقال جبريل : أصبت الفطرة . فقلت : الله أكبر ، الله أكبر . فقال جبريل : مارأيتَ في وجهك هذا؟[1] فقلت : بينما أنا أسير إذ دعاني داعٍ عن يميني : يامحمد ، انظرني أسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه قال : ذاك داعي

(١) يعنى : ماذا رأيت فى هذه الجهة والناحية ؟ .

اليهود ، أمَا إنك لو أجبته لتهوَّدتْ أمتك . قال : وبينما أنا أسير إذ دعاني داعٍ عن يساري ، فقال : يامحمد ، انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليه ولم أقم عليه قال : ذاك داعي النصارى ، أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك . وبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، عليها من كل زينة خلقها الله ، تقول : يا محمد ، انظرني حتى أسألك ، فلم أجبها ولم أقم عليها قال : تلك الدنيا ، أمَا إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين .

ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج ، أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء فإن ذلك عجَبُه بالمعراج . قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملَك يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب سماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك ، قال : وقال الله تعالى : (ومايعلم جنودَ ربك إلا هو)[1] . قال : فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد بعث إليه؟ قال : نعم . فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين ، فيقول : روحٌ طيّبة ونفسٌ طيبة اجعلوها في علّيين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجّار ، فيقول : روحٌ خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجّين .

ثم مضيت هُنيهةً فإذا أنا بأخونة[2] عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد ،

---

(١) المدثر : ٣١

(٢) «اخوِنة» : جمع خِوان ، وهو المائدة التي يؤكل عليها .

وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أرْوَح ونَتِن ، عندها أناسٌ يأكلون منها ، فقلت : ياجبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء قوم من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام .

قال: ثم مضيت هنيهةً فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرَّ يقول : اللهم لاتُقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطؤهم ، فسمعتُهم يضجّون إلى الله تعالى ، قال: قلت : ياجبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (١) .

قال : ثم مضيت هنيهةً فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل ، فَيُفتح على أفواههم ، ويلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم . فسمعتهم يضجّون إلى الله تعالى ، قلت : ياجبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ (١) .

قال : ثم مضيت هنيهةً ، فإذا أنا بنساء معلقات بثُديّهن فسمعتهن يضججْن إلى الله تعالى ، قلت : ياجبريل ، من هؤلاء النساء؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك .

قال : ثم مضيت هنيهةً ، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه ، فيقال له : كُلْ كما كنت تأكل من لحم أخيك . قلت : ياجبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الهمّازون من أمتك اللمّازون .

---

(١) البقره : ٢٧٥ (٢) النساء : ١٠

قال : ثم صعدنا إلى السماء الثانية ، فإذا برجلٍ أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قلت : ياجبريل من هذا؟ قال : هذا أخوك يوسف ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلّم علي .

ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيى وعيسى ابنَي الخالة ، ومعهما نفرٌ من قومهما ، فسلمت عليهما وسلما علي .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً عليًّا فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء ، تكاد لحيته تصيب سُرّته من طولها ، قلت : يا جبريل من هذا؟ قال : هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى بن عمران رجلٌ آدم كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص ، وإذا هو يقول : يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا أكرم على الله مني . قال : قلت : ياجبريل من هذا؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ، سانداً ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت : ياجبريل من هذا؟

قال : هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليَّ ، وإذا أنا بأمتي شطرين : شطر عليهم ثيابٌ بِيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثيابٌ رُمْدٌ ، قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض ، وحُجِّب الآخرون الذين عليهم ثيابٌ رُمد ، وهم على خيرٍ ، وصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي ، قال : والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رُفعت إلى سِدرة المنتهى ، فإذا كل ورقة منها يكاد تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عينٌ تجري يقال لها : سلسبيل ، فيُشق منها نهران : أحدهما الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ماتقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إني رُفعت إلى الجنة فاستقبلتني جاريةٌ ، فقلت : لمن أنتِ يا جارية؟ قالت : لزيد بن حارثة ، وإذا أنا بأنهار من ماءٍ غير آسِن ، وأنهارٍ من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفًّى ، وإذا رمانها كأنها الدلاء عظمًا ، وإذا بطيرها كأنها بُختيكم[(١)] هذه ، فقال عندها ﷺ : إن الله قد أعد لعباده الصالحين مالا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشرٍ .

قال : ثم عُرضت علي النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو

(١) «بُخْتِيكُم» : البختي : جمل طويل العنق ، ويقال أيضا للبعير الخرساني ذي السنامين .

طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ، ثم أغلقت دوني .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فغشّاني[1] فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ، قال : ونزل على كل ورقة ملكٌ من الملائكة ، وفُرضَتْ علي خمسون) .

فذكر مراجعته بين موسى وربه ، ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب ، إني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل - يعني ابن هشام - : ألا تعجبون مما يقول محمد؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطِيَّته مصعده شهراً ومنقلبه شهراً ، فهذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة! قال : فأخبرهم بعير لقريش لما كانت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجلٍ وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ، قال : فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته ، بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا ، فقال : صدقت[2] .

---

(١) هكذا في الأصل ولعله سقطت كلمة (نورها) .
(٢) في سنده أبوهارون العبدي وهو تابعي متكلم فيه وهو متروك الحديث ، لذلك قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وإنما سقناه ههنا لما في حديثه من الشواهد لغيره .

(الحديث التاسع)

٩ ـ قال البيهقي : حدثنا أبو سعد الماليني ، حدثنا ابن عدي ، حدثنا محمد بن الحسن السكوني ، حدثنا علي بن سهل ، حدثنا حجاج ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، أو غيره ، عن أبي هريرة ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، وأشرح له صدره ، قال : فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس[١] من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غل ، وملأه حلماً وعلماً ، وإيماناً ويقيناً وإسلاماً ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرسٍ فحمل عليه ، كل خطوة منه منتهى بصره ، أو أقصى بصره ، فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قومٍ يزرعون في يومٍ ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : ياجبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ثم أتى على قومٍ ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتّر عنهم من ذلك شيء ، قال : ياجبريل : من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

(١) «طساس» : جمع طَسْت .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاعٌ، وعلى أدبارهم رقاعٌ، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقّوم ورضف جهنم وحجارتها، قال: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدُّون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً، وما الله بظلامٍ للعبيد.

ثم أتى على قومٍ بين أيديهم لحمٌ نضيج في قدورٍ، ولحم آخر نَيِّء خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب، قال: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالاً فيأتي المرأة الخبيثة، فيبيت معها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح.

ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمرّ بها ثوبٌ إلا شقته، ولا شيء إلا خرقته، قال: ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا مثل أقوامٍ من أمتك، يقعدون على الطريق فيقطعونه، ثم تلا: (ولا تقعدوا بكل صراطٍ توعدون) (١).

ثم أتى على رجل قد جمع حزمةً عظيمةً لايستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ماهذا ياجبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لايقدر على أدائها، وهو يريد أن يحمل عليها.

ثم أتى على قومٍ تُقرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لايفتّر عنهم من ذلك شيء قال: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: خطباء الفتنة.

---

(١) الأعراف: ٨٦

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ماهذا ياجبريل؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها ، فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبةً باردةً، وريحَ مسك ، وسمع صوتاً ، فقال : ياجبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وريح المسك وما هذا الصوت؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقريِّي ومَرجاني وفضّتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وعسلي ومائي وخمري ولبني ، فأتني ما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني أنداداً ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل علي كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : رضيت .

ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ، ووجد ريحا منتنةً ، فقال : ماهذه الريح ياجبريل : وما هذا الصوت؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ائتني بما وعدتني ، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي ، وقد بَعُد قعري ، واشتد حَرّي ، فأتني ما وعدتني ، قال : لك كل مشرك ومشركة ، وخبيث وخبيثة ، وكل جبار لايؤمن بيوم الحساب ، قالت : رضيت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل ، فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا معك؟ قال : هذا محمد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخٍ وخليفةٍ فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء .

ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد الله الذي اتخذني خليلاً ، وأعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمةً قانتاً يؤتَمُّ بي وأنقذني من النار ، وجعلها عليَّ برداً وسلاماً . ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليماً ، واصطفاني وأنزل عليّ التوراة ، وجعل هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور ، وألانَ لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخّر لي الريح ، وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب[1] وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء فضلاً ، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضَّلني على كثيرٍ من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكاً عظيماً لاينبغي لأحدٍ من بعدي ،

---

(١) «الجوابي» : الحياض الكبيرة ؛ سميت بذلك ، لأن الماء يُجبى فيها ، أي : يُجمع .

وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعلني كَلِمَتَهُ ، وجعل مثَلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلني أبرئ الأَكْمَه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، ورفعني وطهّرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

قال : ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه ، وإني مُثْنٍ على ربي ، الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليَّ الفرقان فيه بيان لكل شيء ، وجعل أمتي خير أمة أخرجَتْ للناس ، وجعل أمتي أمةً وسطاً ، وجعل أُمتي هم الأولين ، وهم الآخرين ، وشرح لي صدري ، ووضع عنّي وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً . قال أبو جعفر الرازي : خاتم للنبوة ، فاتح للشفاعة يوم القيامة .

ثم أتي بآنية ثلاثة مغطّاة أفواهها ، فأُتي بإناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب منه ، فشرب منه يسيرًا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له : اشرب منه ، فشرب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لا أريده قد رَويت ، فقال له جبريل : أما إنها ستحرم على أمتك ، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل .

ثم صعد به إلى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخٍ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، فدخل فإذا هو برجلٍ تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس ، على يمينه بابٌ يخرج منه ريح طيبة ، وعلى شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الذي عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن ، فقال : من هذا الشيخ؟ وما هذان البابان؟ قال : هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر ، وهذا الباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريّته بكى وحزن .

ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا؟ فقال: جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد رسول الله ، قالوا : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخٍ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، فدخل فإذا هو بشابَّين ، فقال : يا جبريل ، من هذان الشابَّان؟ قال : عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة .

فصعد به إلى السماء الثالثة فذكر مثل ذلك وقولهم له : نعم الأخ ونعم الخليفة ، وأنه لقي في الثالثة يوسف ، والرابعة إدريس ، والخامسة هارون ، والسادسة موسى .

ثم صعد به إلى السماء السابعة ، فإذا برجلٍ أشْمَطَ[١] جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قومٌ جلوس ، بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا مثل ألوان أصحابهم . فقال : يا جبريل من هذا الأشمط؟ ثم من هؤلاء البيض الوجوه؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء؟ وما هذه الأنهار؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض ، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقاهم ربهم شراباً طهوراً .

ثم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك على سبيلك[٢] ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهارٌ من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لَذّة للشاربين ، وأنهار من عسلٍ مصفًّى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، فغشيها نور الخلاّق وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقَعْن على الشجر ، فكلمه تعالى عند ذلك فقال له : سَلْ ، فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، وأعطيته ملكاً عظيماً ، وكلمت موسى تكليماً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً ، وألَنْتَ له الحديد ،

---

(١) «أشمط» : أشيب ، والشَّمَط : بياض الرأس يخالطه سواد .
(٢) في تفسير ابن كثير ٥/ ٣٥ «على سُنَّتِكَ» .

وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه : قد اتخذتك حبيباً وهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن ، وأرسلناك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك فلا أُذْكَر إلا ذُكرتَ معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمةً وسطاً ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين ، وجعلت أمتك لاتجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أول النبيين خلقاً ، وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبيّا قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيّا قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام ، والهجرة ، والجهاد والصلاة ، والصدقة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً .

وفرض عليه خمسين صلاة ، وذكر مراجعته بين موسى وربه ، وفى آخره : وكان موسى من أشدهم عليه حين مرّ به وخيرهم له حين رجع إليه .

أخرجه الحاكم وغيره ، ورجاله موثقون إلا أن أبا جعفر الرازى وثّقه

بعضهم وضعّفه بعضهم ، وقال أبو زرعة : يهم كثيراً ، وقال الحافظ ابن كثير : الأظهر أنه سّيء الحفظ ، قال : هذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام الطويل الذى عند البخارى من رواية سمرة ، والأشبه أنه مجموع من أحاديث شتى ، أو من منام وقصة أخرى غير الإسراء .

زيادة على هذه الرواية:

قلت : وقد جاءت في هذه الرواية زيادة في هذا الموضع لم يذكرها الحافظ السيوطى وذكرها غيره كما سيأتى وهى أن رسول الله ﷺ قال : (فضّلني ربى وأرسلنى رحمةً للعالمين وكافةً للناس بشيراً ونذيراً ، وألقى فى قلب عدوي الرعب من مسيرة شهر ، وأُحلَّت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت الأرض كلها لي مسجداً وطهوراً ، وأعطيت فواتيح الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعرضت عليَّ أمتى فلم يخْفَ عليَّ التابعُ والمتبوعُ ، ورأيتهم أتوا على قوم ينتعلون الشعر ، ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأنما خُرِمت أعينهم بالمخْيَط فلم يخْفَ عليَّ ماهم لاَقُون من بعدى ، وأُمرت بخمسين صلاة فرجعت إلى موسى . اهـ . من دلائل النبوة للبيهقى وساق الحديث بتمامه . (ج٢ ص : ٤٠٣) . ورواه البزار كذلك كاملا ، كذا في كشف الأستار (ج ١ ص : ٤٤) . وذكره الهيثمى في "مجمع الزوائد" وقال : رواه البزار ورجاله موثّقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبى العالية أو غيره فتابعيُّه مجهول[1] اهـ .

(١) مجمع الزوائد ١/ ٧٢

قلت : وقد جاءت هذه الزيادة منفصلة عن حديث الإسراء والمعراج فقد روى البخاري فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر . وفى رواية أخرى عنه ، صغار الأعين . وفى رواية للبخاري أيضا عن عمرو بن تغلب قال : إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه(١) .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا بلفظ : (لاتقوم الساعة حتى تقاتلكم أمةٌ ينتعلون الشعر . وفى رواية عنه حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين)(٢) .

وهذه الزيادة لم يتعرض الشامى لها بالشرح وسنُبيّن باختصار معناها : فمعنى قوله : ينتعلون الشعر أى أنهم يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من الشعر ، أو المراد طول شعورهم وكثافتهم فهم لذلك يمشون فيها .

وقوله : عراض الوجوه أى أن وجوههم غليظة كثيرة اللحم وقد شبهها فى الحديث بالتِرْس لبسطها وتدويرها فقال : (كأنها المَجانّ المُطْرقة) .

والمجان : بفتح الميم والجيم وبعد الألف نون مشددة جمع مِجَن بكسر الميم أى الترس .

والمطرقة : بضم الميم وسكون الطاء المهملة وفتح الراء مخففة وهى

---

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير باب قتال الذين ينتعلون الشعر ٦/ ١٣٠ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ١٨/ ٣٧

التى ألبست الطرق وهى جلدة تقدر على قدر الدرقة وتلصق عليها ، قال البيضاوى : شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها[1] .

وقوله : المخيط بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الياء ماخيط به الثوب .

---

(١) إرشاد السارى ٦/ ٤٥٦ .

(الحديث العاشر)

١٠ ـ قال السيوطى أخبرني أبو الفضل بن عمر بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو الفرج بن حماد ، أخبرنا الحافظ قطب الدين الحلبي ، أخبرنا العز الحراني ، أخبرنا أبو الفرج بن كليب ، أخبرنا علي بن بيان ، أخبرنا محمد بن مخلد ، أخبرنا أبو علي الصفار ، أخبرنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن قَنان بن عبد الله النهمي ، حدثنا أبو ظبيان الجنبي ، حدثنا أبو عبيدة ـ يعني عن أبيه عبد الله بن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (أتاني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملنى عليها ، ثم انطلق يهوي بنا ، كلما صعد عقبة استوت رجلاه مع يديه ، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه ، حتى مررنا برجلٍ طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة ، وهو يقول ويرفع صوته : أكرمته وفضلته ، قال : فدفعنا إليه فسلمنا ، فرد السلام ، وقال : من هذا معك ياجبريل؟ قال : هذا أحمد قال : مرحباً بالنبي الأمي العربي الذى بلّغ رسالة ربه ونصح لأمته ، ثم اندفعنا ، فقلت : من هذا ياجبريل؟ قال : هذا موسى بن عمران ، قال : قلت : ومن يعاتب؟ قال : يعاتب ربه فيك ، قلت : ويرفع صوته على ربه؟ قال : إن الله قد عرف له حدّته .

ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج ، تحتها شيخ وعياله ، فقال لي جبريل : اعمد إلى أبيك إبراهيم ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه ، فرد السلام ، فقال إبراهيم : يا جبريل من هذا معك؟ قال : هذا ابنك أحمد ،

فقال : مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، يا بني إنك لاق ربَّك الليلة ، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفهم ، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلّها في أمتك فافعل .

ثم اندفعنا حتى أتينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها ، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ ، ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربته ، فضرب جبريل منكبي فقال : أصبت الفطرة . ثم أقيمت الصلاة فأممتُهم ، ثم انصرفنا فأقبلنا .

قال ابن كثير : إسناده غريب ، وفيه من الغرابة أنه اجتمع بالأنبياء قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم فى السماوات ، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم ركب البراق ورجع إلى مكة .

(الحديث الحادي عشر)

١١ ـ قال محمد بن إسحاق في مغازيه : وحدثني محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت : ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائمٌ عندي تلك الليلة ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبَّنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : (يا أم هانئ لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صَليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين) قال السيوطى الكلبي متروك ساقط .

(الحديث الثانى عشر)

١٢ ـ قال أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، قال : أتيت على حذيفة بن اليمان ، وهو يحدث عن الإسراء ، وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس ، فلم يدخلاه ، ولا صلى فيه رسول الله ﷺ ، ومازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : تحدثون أنه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وأخرجه الترمذي وصححه .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حذيفة نفيٌ ، وما أثبته غيره من الصلاة في بيت المقدس وربط الدابة بالحلقة مقدم عليه .

(الحديث الثالث عشر)

١٣ ـ قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا : حدثنا عوف ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لما كان ليلة أُسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري[1] ، وعرفت أن الناس مكذبي ، فقعدت معتزلاً حزيناً ، قال : فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : وما هو؟ قال : إني أسري بي الليلة ، قال : إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا؟ قال : نعم . فلم يَرَ أنّه يكذبه مخافةَ أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه ، قال : أرأيت إن دعوت قومك أتحدّثهم بما حدثتني؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : هيا معشر بني كعب بن لؤي هلُمّوا ، قال : فانقضت إليه المجالس ، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما . قال : حَدّثْ قومك بما حدثتني ، فقال رسول الله ﷺ إني أسري بي الليلة ، قالوا : إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مُصَفّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، قال رسول الله ﷺ : فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت ، قال : فجيء

---

(١) «فَظِعت بأمري» : اشتد عليّ وهبته .

بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقيل ـ أو عقال ـ فنعتُّه ، وأنا أنظر إليه، قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه ، يقول عوف قال : فقال القوم : أما النعت فو الله لقد أصاب .

(الحديث الرابع عشر)

١٤ ـ قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا مكرم بن أحمد القاضي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا محمد بن كثير الصنعاني، حدثنا معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما أسري بالنبي ﷺ أصبح يحدث الناس بذلك ، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدقوه(١) .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ، ٢/ ١١٢ ، وإسناده صالح لا بأس به .
انظر الآية الكبرى فى شرح قصة الإسرا للحافظ جلال الدين السيوطى بتحقيق الأستاذ الباحث الفاضل محى الدين مستو .

مفهوم الإجتماع لذكرى الإســـراء والمعــراج

جرت عادتنا أن نجتمع لإحياء جملة من المناسبات التاريخية كالمولد النبوى وذكرى الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان والهجرة النبوية وذكرى نزول القرآن وذكرى غزوة بدر ، وفى اعتبارنا أن هذا الأمر عادىٌّ لا صلة له بالتشريع الحكمى ، فلا يوصف بأنه مشروعٌ أو سنةٌ كما أنه ليس معارِضاً لأصل من أصول الدين ، لأن الخطر هو فى اعتقاد مشروعية شئٍ ليس بمشروع ، وعندى أن أمثال هذه الأمور العادية العرفية لا يقال فيها أكثر من أنها محبوبة للشارع أو مبغوضة ، وأظن أن هذا القدر متفق عليه ، ويدعى البعض أن هذه المناسبات التى يجتمع الناس لإحيائها ينقصها التوقيت المضبوط المتفق عليه ، فيقول : إن الناس تعوّدوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج ، وأن يجتمعوا ليلة الاثنى عشر من ربيع الأول لإحياء ذكرى المولد النبوى ، مع أن العلماء اختلفوا في تعيين وقت هاتين الحادثتين بالضبط ، وأنا أقول : إن عدم الاتفاق على تعيين الوقت لا يؤثر لأننا لا نعتقد مشروعية تحديد الاجتماع بوقتٍ مخصوص ، بل الأمر عاديٌ كما أسلفنا ، والذى يهمنا هو اغتنام فرصة الاجتماع وكسب ذلك لتوجيهه إلى الخير ، فهذه الليلة قد اجتمع الناس فيها بشكلٍ كبير وعظيم وسواء أخطأوا التوقيت أم أصابوا ، فإن مجرد اجتماعهم هذا على ذكر الله ومحبة رسول الله كافٍ فى استجلاب رحمة

الله وفضله .

إنى أعتقد تمام الاعتقاد أن اجتماع هؤلاء الناس مادام أنه لله وفى الله فإنه مقبول عند الله ولو أخطأوا فى التوقيت ، وأضرب لذلك مثلاً لتقريب القضية للأذهان برجل دعا إلى وليمة فى يوم معين فجاء بعض المدعوين فى غير وقت الدعوة ظناً منهم أنه هو الوقت ، فهل ترى أن صاحب الوليمة يطردهم ويردهم بجفوة وغلظة ويصد عنهم ويقول لهم : ارجعوا وانصرفوا عنى فليس هذا هو وقت الوليمة الذى دعوتكم إليه وحددته لكم ، أو ترى أنه يقابلهم بالحسنى ويشكرهم على قدومهم ويفتح لهم بابه ويطلب منهم الدخول ثم يطلب منهم الرجوع مرة أخرى فى الوقت المحدد؟ هذا الذى أنا أتصوره وهو اللائق بفضل الله وكرمه .

ونحن إذا اجتمعنا للإسراء والمعراج أو للمولد النبوى ولأيّ ذكرى من الذكريات التاريخية لا يهمنا تعيين الوقت بالضبط لأنه إن كان موافقا للصواب فى الواقع ونفس الأمر فالحمد لله ، وإن كان غير ذلك فإن الله لا يردنا ولا يغلق بابه عنا .

فاغتنام فرصة الاجتماع بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى والتعرض لنفحاته وخيراته وبركاته هو أجَلُّ من فائدة الذكرى نفسها عندى واغتنام اجتماع الناس بتذكيرهم وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم إلى الخير ، هو أولى من صدهم وردهم والإنكار على اجتماعهم بما لا طائل تحته ، إذ المشاهد أن ذلك لا ينفع ولا يفيد وأن الناس يزيد إقبالهم ويعم

تمسكهم كلما زاد الإنكار عليهم ، أو اشتد حتى كأن الناهى لهم عن ذلك آمرٌ لهم بفعله من حيث لا يشعر .

إن العقلاء من أرباب الفكر والدعوة يتمنون بكل قلوبهم أن يجدوا مكاناً يجتمع فيه الناس ليبثوا فيهم آراءهم ويكسبوهم إلى صفهم ، ولذلك تراهم يرتادون الحدائق والنوادى والأماكن العامة التى يكثر فيها اجتماع الناس ليصنعوا بهم مايريدون ، ونحن نرى الأمة تجتمع فى مناسباتٍ متعددة برغبةٍ وهمةٍ وحرصٍ فما هو الواجب علينا نحوهم؟ .

إن الاشتغال بالإنكار والأخذ والرد فى حكم اجتماعهم وما إلى ذلك هو عبثٌ بل وحمق وجهالة ، لأننا نضيع كنزاً عظيماً ونفوِّت فرصة لايمكن أن يجود الزمان بها إلا فى مثل هذه المناسبات .

فلنغتنم هذه المجامع الكبرى .

دروس وعبر عن قصة الإسـراء والمعـراج

(١)

في معجزة الاسراء والمعراج دروسٌ عظيمة وأسرارٌ جليلة ، ومن أجَلِّ هذه الدروس فضل هذا النبي الكريم بما خصه الله تعالى به من أنواع التكريم ، وليس هذه الخصوصية فقط ، ولكن كثير من المزايا والمناقب ، ومنها أن الله أخبره ﷺ بأنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك .

ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع ، وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ ، ومنها إيثاره ﷺ على نفسه بدعوته إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة ، فكل منهم تعجل بدعوته في الدنيا واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعة لأمته ، ومنها أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ في قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١) والإقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزّتها عن المقسم بها ، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما كان فيها من البركة العامة والخاصة ، ولم يثبت هذا لغيره .

ومنها أن الله تعالى وقّره في ندائه فلم يناده باسمه بل ناداه بأسنى أوصافه ﷺ قال : ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ﴾ ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ﴾ وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره بل إن كلا منهم نودي باسمه ، فقال الله تعالى : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

---

(١) الحجر : ٧٢

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(١) إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾(٢) ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾(٣) ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾(٤) ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ (٥) ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾(٦) .

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لاتشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق ، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم ، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أسمائه وبأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه .

ومنها أن معجزة كل نبي انصرمت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين ﷺ وهي القرآن العظيم باقيةٌ إلى يوم الدين ، ومنها تسليم الحجر عليه وحنين الجذع إليه ﷺ .

ومنها أنه وجد في معجزاته ﷺ ماهو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره كتفجّر الماء من بين أصابعه فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجره من الحجر لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء فكانت معجزاته ﷺ بانفجار الماء من بين أصابعه ؛ أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام .

ومنها أن الله يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها ، وأمته ﷺ شطر أهل الجنة وقد أخبر الله تعالى أنهم خير أمة أخرجت للناس وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال

---

(١) الأعراف : ١٩ (٢) المائدة : ١١٠ (٣) النمل : ٩
(٤) هود : ٤٨ (٥) ص : ٢٦ (٦) مريم : ١٢

والأقوال والأعمال ، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل رسول الله ﷺ ودعا إليه ، إلا وله أجر من عمل به لقوله ﷺ : (من دعا إلى هدى ، كان له أجره وأجر من عمل به)[1] ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة وقد جاء في الحديث (الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله)[2] فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة وغيره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر ، كانت منزلته ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلاّ وله ﷺ مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه ، وما من ذي حال من أمته ، إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما من مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عملٍ من الأعمال المقرّبة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله ، وما من درجة عليّة ومرتبة سنية نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ومرتبته ﷺ ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سنّ سنة حسنة كان له من أجر من عمل بذلك على عدد العاملين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا ﷺ لأنه دل عليه وأرسل إليه ، ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبط به النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى ولم يبكِ حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة .

---

(١) رواه مسلم ٨/ ٦٢

(٢) رواه البزار حديث رقم (٣٣١٥) وأبويعلى حديث رقم (١٩٤٩) كذا فى مجمع الزوائد ٨/ ١٩١

ومنها أن الله عز وجل أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الإنس والجن ، فلكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته ، ولنبينا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه تارةً بمباشرة الإبلاغ وتارةً بالسبب إليه ، ولذلك امتن الله عليه فقال : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾(١) ووجه الامتنان أنه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسول الله ﷺ إلاّ أجر إنذاره لأهل قريته . ومنها أن الله تعالى كلّم موسى بالطور وبالوادي المقدس ، وكلم نبينا ﷺ فوق سدرة المنتهى وفي المقام الأعلى ، ومنها أنه ﷺ قال : (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق ونحن أول من يدخل الجنة)(٢) . ومنها أنه كما ذكر السؤدد مطلقاً فقد قيده بيوم القيامة فقال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)(٣) ومنها أنه ﷺ أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة حتى إبراهيم عليه السلام . ومنها أنه قال ﷺ : (الوسيلة منزلة في الجنة لاتنبغي أن تكون إلاّ لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)(٤) . ومنها أنه يدخل من أمته ﷺ الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولم يثبت ذلك لغيره ، ومنها الكوثر الذي أعطيه ﷺ في الجنة ، والحوض الذي أعطيه في الموقف ومنها قوله ﷺ : (نحن الآخرون السابقون)(٥) أي الآخرون زماناً السابقون بالمناقب والفضائل ، ومنها أنه ﷺ أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله وجعلت صفوف أمته كصفوف الملائكة ، وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً . وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته .

---

(١) الفرقان : ٥١ (٢) رواه النسائى ٣/ ٨١ وابن ماجه ١/ ٣٤٢
(٣) رواه مسلم ٧/ ٥٩ (٤) رواه أبو عوانة ١/ ٣٣٦ (٥) رواه البخارى ١/ ٦٥

دروس وعبر من قصة الإســراء والمعــراج
(٢)

أحداث التاريخ الإسلامي المجيد فيها فرصٌ طيبة لو عرفنا كيف نغتنمها في تذكير المسلمين بتاريخهم وإرشادهم إلى مصادر الخير وأسباب النجاح التي يرجع إليها مجد هذا التاريخ وعظمته .

إن في هذه القضايا التاريخية الدينية العظمى دروساً وعبراً وعظات وتوجيهات . ومن أعظم هذه الأحداث حدث الإسراء والمعراج .

ومن أعظم الدروس المستفادة في هذه الرحلة درس الصلاة . وبين فرضية الصلاة ومعجزة الإسراء والمعراج ارتباطٌ دقيق وثيق يناسب أن تسمى فيه الصلاة المعراج الروحي ، فإذا كان معراج نبينا ﷺ بجسمه وروحه إلى السماء معجزة ، فإن الله تعالى جعل للأمة المحمدية معراجاً روحياً في كل يوم خمس مرات ، تعرج فيها أرواحهم وقلوبهم إلى الرب سبحانه وتعالى يحققون به الترفع عن أهوائهم وشهواتهم ، ويشهدون به من عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته ما يدفعهم إلى السيادة على الأرض لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة ، بل عن طريق الخير والسُّمُوّ وعن طريق الطهر والتسامي وعن طريق الصلاة .

فليست الصلاة طقوساً ولا حركاتٍ آلية لايعقل لها معنى ، وإنما هي

مدرسة تربي المؤمنين على أنبل معاني الخير والحب والفضيلة في زحمة الحياة وصخبها وشرورها .

والصلاة أعظم أعمال الإسلام ، من حافظ عليها سعد وربح ، ومن أضاعها شقي وخسر ، فرضها الله على عباده المؤمنين لتكون صلةً بحضرته، وتذكيراً بعظمته ، وشكراً له على نعمته ، لذلك كانت أساس الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ : (وأول مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله)[1] . ولا عجب أن تكون الصلاة عنوان العمل فإن المداومة على أدائها كاملة بخشوع وخضوع لله تعالى تغرس في النفس مراقبته عز وجل . ومن راقبه ـ جل علاه ـ خشيه واتقاه وأقبل على مافيه رضاه فصدق إذا حدّث ، ووفّى إذا وعد ، وأدّى الأمانة ، وصبر عند النقمة ، وشكر عند النعمة ، قال تعالى : ﴿إنّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إلاَّ المُصَلِّينَ الّذيْنَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دائِمُونَ﴾[2] ومن راقبه ـ جل شأنه ـ امتنع عما يغضبه ، فلم يزن ، ولم يُراب ، ولم يحقد ، ولم يحسد ، ولم يماطل في حقوق الناس ، ولم يضيع حقوق أهله وعياله وجيرانه وأقاربه ومواطنيه ، قال تعالى : ﴿إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[3] ومن لم يخشع في صلاته ، ولم تنغرس في نفسه مراقبة الله ، كان عاصياً واستحق عذاب الله ، قال رسول الله ﷺ : (من لم تنهه صلاته

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، ذكره في «مجمع الزوائد» ١/ ٢٩١
(٢) المعارج : ١٩ ـ ٢٣ (٣) العنكبوت : ٤٥

عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاّ بعدًا)[1] . ومن رحمته تعالى جعل الصلاة في خمسة أوقات تيسيراً على عباده وتزكية لمن يخشى وتذكرة لمن ينسى ، فالعبد المحافظ على أداء الصلاة كاملة ، لا يغفل عن مراقبة الله بالاشتغال بأعمال الحياة ، وأن من حافظ على أداء الصلاة بخشوعٍ غفر ذنبه وأحبه ربه ، قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : (إن كل صلاة تحط مابين يديها من خطيئة)[2] وقال ﷺ : (من علم أن الصلاة حقٌ واجب دخل الجنة)[3] ومن لم يحافظ على الصلاة حرم في الدنيا نعمة البركة في العمر والتوفيق للخير وعذّب بعد الوفاة بكسر رأسه بصخرة كلما كسر عاد كما كان ، وجاء يوم القيامة بلا نور وبغير برهان على الإيمان فحرم النجاة من العذاب والذل والهوان .

أيها المسلمون . اتقوا الله وحافظوا على الصلوات ، وأدوها لله في أوقاتها خاشعين ، ولا يمنعكم من أدائها برد ولا عمل ، وجاهدوا أنفسكم حتى لا تهملوا أداء صلاة الصبح لوقتها حيث يحلو النوم والكسل وحتى لا تهملوا أداء صلاة العصر حيث شدة التأثر بالعمل ، واحذروا أن يشغلكم عن الصلاة المالُ والتجارة ، أو الجاه والملك والحكم والوزارة ، وكونوا ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ

(١) رواه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٠٢٥) ١١/ ٤٦

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٥/ ٤١٣ والطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٧٩) ٤/ ١٢٦

(٣) رواه أحمد في «المسند» ١/ ٦٠ ، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١/ ٣٥٨ ، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٧٢

ذِكْرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيْتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأَبْصارُ * لِيَجْزِيَهُم اللهُ أحْسَنَ ما عَمِلُوا ويَزيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾(١) .

روى الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وابن حبان في "صحيحه" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً فقال : (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيِّ بن خلف) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من صلى البردين - أي الصبح والعصر - دخل الجنة) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دَرَنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء، قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) .

وروى مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن مالم تغش الكبائر) .

---

(١) النور : ٣٧

حقيقة الإسراء ومذهب أهل الحق

اعلم أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً يقظةً لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء العليّ الأعلى . قال القاضي عياض وغيره : وهو الحق وعليه تدل الآيات نصاً وصحيح الأخبار إلى السموات استفاضة ، ولا يعدل عن الظاهر من الآيات والأخبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة إلى الأذهان من ألفاظهما إلى التأويل إلا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته ، وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة تؤذن بتأويل إذ لو كان مناما لقال : (سبحان الذى أسرى بروح عبده) ولم يقل (بعبده) والعبد حقيقة هو الروح والجسد ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿مازاغ البصرُ وماطغى﴾[1] أى ماعدل عن رؤية ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت وما جاوزها بصراحة ظاهرة فى كونه بجسده يقظةً ، لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لايكون إلا يقظة بجسده بشهادة (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه ، وإن كانت رؤيا الأنبياء وحياً إذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة مافيها يقظة ، وأيضا لو كان مناماً لما استبعده الكفار ولاكذبوه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به لبعده عن ساحة العادة ووقوعه فى زمن يستبعد فيه جداً ، إذ مثل هذا من المنامات

(١) النجم : ١٧

لاينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان ، إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته . وقد روى البخارى فى باب الإسراء من "صحيحه" وسعيد بن منصور فى "سننه" عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناس﴾[1] هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، زاد سعيد : وليست رؤيا منام . قال الحافظ ابن حجر : إضافة الرؤيا للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن بقوله تعالى : ﴿ماكذب الفؤاد مارأى﴾[2] ورؤيا العين بقوله تعالى : ﴿مازاغ البصر وماطغى﴾[3] ، وجزم بما قاله ابن عباس إنها رؤيا عين ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد ، وهو الصحيح .

زمن وقوع هذه المعجزة

اعلم أن الإسراء والمعراج مكانه الحِجْر بالمسجد الحرام وزمانه بعد البعثة قبل الهجرة بسنة ، وجرى عليه الإمام النووى وبالغ ابن حزم فقال فيه الإجماع ، وقال القاضى عياض : قبل الهجرة بخمس سنين ، واختلفوا فى أى الشهور كان؟ فجزم ابن الأثير وجمع منهم النووى فى فتاويه : بأنه كان فى ربيع الأول ليلة سبع وعشرين ، ونقله الاسنوى فى "المهمات" والأذرعى فى "الوسيط" والزركشى فى "الخادم" والدميرى فى "حياة الحيوان" وغيرهم . وقيل كان فى رجب ، وجزم به النووى فى "الروضة"

(١) الإسراء : ٦٠ (٢) النجم : ١١ (٣) النجم : ١٧

تبعاً للرافعى ، وقيل فى رمضان، وقيل فى شوال . وقال ابن عطية بعد أن حكى الخلاف : والتحقيق أنه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة . وقال ابن دحية : ويمكن أن يعين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة ويكون يوم الإثنين ، وذكر الدليل على ذلك بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة . وحاصل الأمر أنه إستنبطه وحاول موافقته كون المولد يوم الإثنين ، وكون المبعث يوم الإثنين ، وكون الهجرة يوم الإثنين ، وكون الوفاة يوم الإثنين ، فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوةً ومعراجاً وهجرةً ووفاةً ، فهذه خمسة أطوار فيكون يوم الإثنين فى حقه ﷺ كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام ، فيه خلق ، وفيه أنزل إلى الأرض ، وفيه تاب الله عليه ، وفيه مات ، وكانت أطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد . اهـ .

وروى ابن أبى شيبة عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، وفيه بعث ، وفيه عرج إلى السماء ، وفيه مات . وقولهما وفيه عرج إلى السماء ؛ أراد الليلة لأنّ الإسراء كان بالليل اتفاقا[1] .

---

(١) كذا فى المواهب اللدنية ج ٣ ص ٧ طبعة المكتب الإسلامى ، وتاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١ / ٣٠٧ وحدائق الأنوار لابن الديبع ج ١ ص ٣٨١ والمنهاج الشامى للنبهانى .

هل تكرر الإسراء به صلى الله عليه وسلم:

ذهب جماعة منهم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبى شامة رحمه الله تعالى إلى أن الإسراء وقع مراراً ، واحتج بما رواه سعيد بن منصور ، والبزار ، والبيهقى ، وابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكَزَ بين كَتفَيّ ، فقمت إلى شجرة فيها مثل وكْرَى الطير ، فقعد جبريل فى أحدهما وقعدت فى الآخر ، فسمَتْ وارتفعت حتى سدّت الخافقين ، وأنا أقلّب طرفى ، فلو شئت أن أمس السماء لمسست ، وفتح لى باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت) ، وفى رواية : (فدلى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه حلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتى ، فأوحى الله تعالى إلىَّ ماشاء أن يوحى) ، وفى رواية : (فأوحى إليّ نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت ، فأومأ إليّ جبريل وهو مضطجع : أن تواضع . قال : قلت : لابل نبياً عبدا) .

وقوله «وكَزَ» ضرب برفق . «وكْرَى الطائر» تثنية وكر بفتح الواو وهو عش الطائر إن كان فى جبل أو شجر ، والمراد هنا بيتان شبيهان بعشّه فى الهيئة والوضع لا فى المقدار .

«نَمَتْ» زادت . «الخافقان» طرفا السماء والأرض أو المشرق والمغرب ، خوافق السماء جهاتها التى تهب منها الرياح الأربع . «لَمِسْتُ»

بكسر أول سينيه وفتحها وقد يخفف وتنقل حركتها إلى الميم وقد تترك الميم مفتوحة «أقلب طرفى» حال من الضمير قبله أى مقلّبا بصرى فى آيات الله فى الآفاق «حِلْس» بكسر الحاء والسين المهملتين : كساء يلى ظهر الدابة تحت الرحل يشبه به من لزم شيئا من خشية أو نحو ذلك . «السَّبَبُ» فى الأصل الذى يتوصل إلى الماء ثم استعير لكل مايتوصل به إلى شئ .

قال الحافظ : (وحديث أنس السابق رجاله لا بأس بهم إلا أن الدارقطنى ذكر له علةً تقتضى إرساله . وعلى كل حال فهى قصة أخرى ، الظاهر أنها وقعت بالمدينة ، قال : ولابعد فى وقوع مثل ذلك فى المنام ، وإنما المستغرب وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها السؤال عن كل نبى وسؤال أهل كل سماء : هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك ، فإن تعدد مثل ذلك فى اليقظة لايتجه ، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض والترجيح ، إلا أنه لا بعد فى وقوع جميع ذلك فى المنام، ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه ، ولهذا مزيد بيانٍ فيما سيأتى من المباحث .

وذهب جماعة منهم المهلب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبو نصر القشيرى ، والبغوى ، والسهيلى ، ونقل تصحيحه عن شيخه القاضى أبى بكر بن العربى ، وجزم به النووى فى " فتاويه " إلى أن الإسراء وقع مرتين : مرةً فى النوم ومرةً فى اليقظة . قالوا : (وكانت مرة النوم توطئةً له وتيسيرا عليه ، كما كان فى بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة ، فإنه أمرٌ عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهّله

عليه الرؤيا لأن هَوْلَه عظيم ، فجاء فى اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله تعالى بعبده وتسهيلاً عليه) .

المفاجأة فى المناجاة ليلة المعراج :

قال ابن المنير : كانت كرامته صلى الله عليه وسلم فى المناجاة على سبيل المفاجأة ، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله : (بينما أنا . . .) ، وفى حق موسى عليه السلام عن ميعاد واستعداد ، فحمل عنه صلى الله عليه وسلم مشقة الانتظار ، ويؤخذ من ذلك أن مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقام المراد ، وهو أرفع بالنسبة إلى مقام المريد .

المسجد الحرام

قال أبو شامة : وهو ضد الحلال ، وذلك لما منع منه المحرم مما يجوز لغيره ، ولما منع فى الحرم مما يجوز فى غيره من البلاد .

قال الماوردى فى كتاب الجزية من "حاويه" : كل موضع ذكر الله تعالى فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾(١) فإنه أراد به الكعبة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : لفظ المسجد الحرام فى الأصل حقيقة الكعبة فقط وهو المعنِي بقوله تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ﴾(٢)﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ .

وقد كتب سيدى الوالد الإمام علوى بن عباس المالكى فى هذا الموضوع بحثاً عظيما جاء فيه : يطلق المسجد الحرام ويراد به الحرم ، وهذا هو الغالب فى إطلاقه . قال الله تبارك وتعالى فى سورة التوبة : ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾(٣) وقد كان العهد فى صلح الحديبية عند حدود الحرم . وقال تعالى فى سورة التوبة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾(٤) ، واتفق العلماء على أن المراد بذلك الحرم . وذكر الإمام الماوردى فى "الحاوى" فى كتاب الجزية : أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فى كتابه فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فإنه أراد به الكعبة ، وقال ابن

---

(١) البقرة : ١٤٤ (٢) آل عمران : ٩٦ (٣) التوبة : ٤ (٤) التوبة : ٢٨

أبى الصيف اليمني : إن الله تبارك وتعالى ذكر المسجد الحرام فى كتابه فى خمسة عشر موضعاً ، منها ما أراد به الكعبة كقوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾[1] ومنها ما أراد به مكة كقوله تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾[2] فقد ورد أنه أسري به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب ، ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام﴾[3] أما المواضع التى أشار إليها الإمام الماوردى فهى :

الأول : ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلةً ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ .

الثانى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾[4]

الثالث : ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾

الرابع : ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾[5]

الخامس : ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾[6]

السادس : ﴿والمسجد الحرام وإخراج أهله منه﴾[7]

السابع : ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام﴾[8]

الثامن : ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾[9]

التاسع : ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾[10]

---

(١) البقرة : ١٤٤ (٢) الإسراء : ١ (٣) التوبة : ٢٨ (٤) البقرة : ١٤٩
(٥) البقرة : ١٩١ (٦) البقرة : ١٩٦ (٧) البقرة : ٢١٧ (٨) المائدة : ٢
(٩) الأنفال : ٣٤ (١٠) التوبة : ٤

العاشــر : ﴿وعمارة المسجد الحرام﴾[1]

الحادى عشر : ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾[2]

الثانى عشـر : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾[3]

الثالث عشـر : ﴿والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء﴾[4]

الرابع عشــر : ﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾[5]

الخامس عشر : ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾[6]

فتبين بهذا أن كل هذه المعانى داخلةٌ فى الإسم المذكور كما دل على ذلك القرآن ، لكن العرف إذا قيل : اعتكفنا فى المسجد الحرام ، ودخلنا المسجد الحرام ، وصلينا فى المسجد الحرام ، وكنا فى المسجد الحرام ، إنما يصرف إلى المسجد المعروف الذى ثبتت مسجديته ويحرم على الحائض والنفساء الدخول فيه ، واختص من بين المساجد المتعددة بالحرم بمزية حلول الكعبة فيه والطواف ، وأما خصائص المسجد الحرام ومزاياه فإنها ثابتة للمسجد الحرام بالمعنى العام الذى يشمل الحرم كله وهى كثيرة تزخر بها كتب السنة المشرفة وفقه المناسك ، نقتصر على أهمها وأشهرها وهى :

الأول:

إن فيه أول بيت وضع على الأرض بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا﴾[7] .

---

(١) التوبة : ١٩ (٢) التوبة : ٢٨ (٣) الإسراء : ١ (٤) الحج : ٢٥
(٥) الفتح : ٢٥ (٦) الفتح : ٢٧ (٧) آل عمران : ٩٦

الثانى :

إن إحياء الكعبة بالحج فى كل عام فرض من فروض كفاية .

الثالث:

إن الصلاة يحرم فعلها فى الأوقات الخمسة : عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما فى الصحيح من النهى عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة .

الرابع :

إن الطواف تحية البيت يجوز فعله فى هذه الأوقات أيضا .

الخامس:

استحباب الغسل لدخول مكة .

السادس :

إن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد .

السابع :

إن المضاعفة لايختص بالصلاة بل سائر أنواع الطاعات كذلك ، قياساً على ما ثبت فى الصلاة والنظر إلى الكعبة ، فألحق به ما فى معناه من أعمال البر .

الثامن:

ذهب جماعة من العلماء إلى مضاعفة السيئات كما تضاعف الحسنات.

التاسع:

العقاب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها، قال أحمد بن حنبل: لو أن رجلاً همَّ أن يقتل فى الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم، ثم قرأ ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾(1).

العاشر:

إن صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالإجماع.

الحادى عشر:

يحرم قطع شجره وحشيشه على الحلال والمحرم.

الثانى عشر:

يختص ذبح نحر دماء الهدايا والقرابين فى النسك بالحرم، ويجب تفريق ذلك على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون، ولو ذبحت فى الحل لم تجز.

الثالث عشر:

إن من قصد الحرم دخله بنسك تعظيماً للحرم، إلا من تكرر دخوله.

---

(1) الحج: ٢٥

الرابع عشر :

لادم على المتمتع والقارن من أهل مكة المستوطنين .

الخامس عشر :

لايمكن الكافر من دخول حرم مكة قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾[1] وأدلة هذه الخصائص مفصّلة فى موضعها وقد ذكرنا رؤوس المسائل فقط .

بعض فضائل جبريل و ميكائيل عليهما السلام :

ذكر الله تعالى جبريل فى كتابه فى خمسة وثلاثين موضعاً بالصريح وغيره ، وذكره باسمه فى ثلاث مواضع فى البقرة فى موضعين ﴿من كان عدواً لجبريل﴾[2] ﴿من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل﴾[3] والثالث فى التحريم ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل﴾[4] . وذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فى أربعة مواضع ، الأول والثانى والثالث فى آل عمران ﴿فنادته الملائكة﴾[5] يعنى جبريل وحده بدليل قراءة ابن مسعود ﴿فناداه جبريل وهو قائم﴾ ﴿وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك﴾[6] ﴿إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك﴾[7] ، والرابع فى القدر ﴿تنزّلُ الملائكة والروح﴾[8] يعنى جبريل ، والروحُ الوحي على قول عند بعض المفسّرين .

---

(١) التوبة : ٢٨ (٢) البقرة : ٩٧ (٣) البقرة : ٩٨ (٤) التحريم : ٤
(٥) آل عمران : ٣٩ (٦) آل عمران : ٤٢ (٧) آل عمران : ٤٥ (٨) القدر : ٤

وذكر بلفظ الروح فى ثمانية مواضع - بلفظ الروح مطلقا وبإضافته إلى القدس وهو الطهارة وبوصفه بالأمانة - فقال : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[1] يعنى جبريل ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها﴾[2] ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾[3] ﴿وأيدناه بروح القدس﴾[4] فى موضعين فى البقرة وفى المائدة ﴿إذ أيدتك بروح القدس﴾[5] وفى النحل ﴿نزّله روح القدس من ربك﴾[6] وفى الشعراء ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾[7] .

ووصفه فى موضعٍ واحد بسبع صفات جميلة وهى الرسالة والكرم والقوة والقربة والمكانة وطاعة الملائكة له والأمانة ، وذلك فى سورة التكوير فى قوله تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين﴾[8] .

وروى أبو الشيخ فى "العظمة" عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وإنهم من الله لمسيرة خمسين ألف سنة .

وروى أبو الشيخ عن وهب ، قال : هؤلاء الأربعة الأملاك : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ؛ أول من خلقهم الله من الملائكة وآخر من يميتهم وأول من يحييهم ، وهم المدبرات .

وروى أبو الشيخ عن خالد بن أبى عمران قال : جبريل أمين الله تعالى

---

(١) المعارج : ٤ (٢) القدر : ٤ (٣) مريم : ١٧ (٤) البقرة : ٨٧ و ٢٥٣
(٥) المائدة : ١١٠ (٦) النحل : ١٠٢ (٧) الشعراء : ١٩٣ (٨) التكوير : ١٩ - ٢١

على رسله ، وميكائيل يتلقى الكتب التى ترفع من أعمال الناس ، وإسرافيل بمنزلة الحاجب .

وروى أبوالشيخ عن عكرمة بن خالد أحد أئمة التابعين أن رجلاً قال : يارسول الله أيّ الملائكة أكرم على الله؟ ، قال لا أدرى ، فعرج جبريل ثم هبط فقال : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

أما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين ، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة تسقط ، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد فى بر وبحر ، وأماّ إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم .

شق الصدر الشريف

قال الحافظ الشامي : وقد تكرر شق صدره الشريف ﷺ أربع مرات :

(الأولى) وهو صغير في بني سعد . روى البيهقي عن إبراهيم بن طهمان قال : سألت سعدا عن قوله تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[1] فحدثني به عن قتادة عن أنس قال شُق بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه واستُخرج منه قلبه . . . إلى آخره .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه ، فشق عن قلبه واستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حَظُّ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَه وأعاده مكانه وجعل الغلمان ينعون إلى أمه - يعني مرضعته - فقالوا : إن محمدا قد قُتل فجاء وهو منتقع اللون ، قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المِخْيَط بصدره ﷺ .

وروى الإمام أحمد والدرامي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن عُتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : كانت حاضنَتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابنٌ لها في بُهمٍ لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي ! اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، وانطلق أخي ومكثت عند البُهم فأقبل طيران كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو

(١) الشرح : ١

هو؟ قال : نعم ، وأقبلا يبتدراني ، فأخذاني فبطحاني للقفا فشقّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقّاه واستخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلجٍ بالسكينة فذارها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه: حُصْهُ فحَاصَه وختم عليه بخاتم النبوة ، وذكر الحديث . البهم : جمع بهيمة وهي الصغير من أولاد الغنم ، وحصه : بحاء مضمومة أي خطه .

(المرة الثانية) وهو ﷺ ابن عشر سنين ، روى عبد الله بن الإمام أحمد في "زوائد المسند" بسند رجالُه ثقات وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء في "المختارة" عن أبي بن كعب أن أبا هريرة قال : يارسول الله ! ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ قال : (إني لفي صحراء ، ابن عشرِ حجَج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها بخلق قط ، وأرواحٍ لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحدٍ قط ، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كلٌّ منهما بعضُدي لا أجد لأحدهما مسّا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه ، فأضجعاني بلاقصرٍ ولاهصر) . وفي لفظ : (فلصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني) . وفي لفظ ، (فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فجرى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دمٍ ولا وجع ، وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب ، والآخر يغسل جوفي) ، وفي رواية : (فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدري فيما أرى مفلوقاً لا أجد له وجعا ، ثم قال : شق قلبه فشق قلبي فقال : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج شبه

العلقة فنبذ به ، ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة قلبه ، فأدخل شيئاً كشبه القُصة ثم أخرج ذَروراً كان معه فذرّه عليه ، ثم نقر إبهامى ، ثم قال : اغد واسلم ، فرجعت بما لم أعد به من رحمتى للضعيف ورقتى على الكبير) .

الحجج : السنون . والأرواح : جمع ريح بمعنى الرائحة .

وبلا قصر : قصرت الثوب أرخيته أى بلا استرخاء .

ولاهصر : هصره ثناه إلى الأرض . وحلاوة القفا بثليث الحاء : وسط القفا .

(المرة الثالثة) عند البعثة . روى أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة فى "مسنديهما" والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى "الدلائل" عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أن النبى ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج ذات ليلة فسمع "السلام عليك" قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة ، فقالت : ما شأنك فأخبرتها ، فقالت : ابشر السلام خير ، ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل جناحٌ له بالمشرق وجناح له بالمغرب فهلتُ منه فجئت مسرعا فإذا هو بينى وبين الباب فكلمنى حتى أنست منه ، ثم وعدنى وعدا فأبطأ عليّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدّا الأفق ، فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخبرنى جبريل فألقانى لحلاوة القفا ، ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ماشاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طست من ماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأنى كما يكفأ الإناء ، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت حس الخاتم ، فذكر الحديث . الفجأة : البغتة

وهلت منه : أي خفت . والأفق : الناحية . وحلاوة القفا : وسط القفا ، وأكفأني : قلبني .

(المرة الرابعة) ليلة الإسراء . روى مسلم والبرقاني وغيرهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت وأنا في أهلي فانطلق بي إلى زمزم فشرح صدري ، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئاً إيمانا وحكمة فحشي بهما صدري - قال أنس : ورسول الله ﷺ يرينا صدره - فعرج بي الملك إلى السماء الدنيا) ، وذكر حديث المعراج .

وروى الشيخان عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به ، قال : بينا أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة ، فأتاني فشق مابين هذه إلى هذه - يعني من ثغرة نحره إلى شعرته - فاستخرج قلبي ، فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة ، فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار) . . . الحديث رواه البخاري من طريق شريك عن أنس رضي الله عنه .

فوائد مهمة تتعلق بشق الصدر :

(الفائدة الأولى): قال الحافظ العراقي في أول شرحه لتقريبه : قد أنكر صحة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابن حزم وعياض وادّعيا أنه تخليط من شريك وليس كذلك ، فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك ، وقال الإمام أبو العباس القرطبي في "المفهم" لايُلتفت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء

لأنّ رواته ثقات مشاهير . وقال الحافظ ابن حجر : قد أنكر وقوع شق الصدر ليلة الإسراء بعضُهم، ولا إنكار فى ذلك، فقد تواردت به الروايات .

(الفائدة الثانية): قال القرطبى فى "المفهم" والتوربشتى فى "شرح المصابيح" والطيبى فى "شرح المشكاة" والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطى وغيرهم: إن جميع ماورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شئ من ذلك ، ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخْيَط فى صدره ﷺ . قال الحافظ السيوطى : وما وقع من بعض جَهَلَة العَصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوى وإلزام قائله القول بقلب الحقائق ، هو جهل صريح وخطأ قبيح ، نشأ من خذلان الله تعالى لهم لركونهم إلى العلوم الفلسفية وبُعدهم عن دقائق السُنَّة ، عافانا الله تعالى من ذلك .

(الفائدة الثالثة): قال العلامة ابن المنير : وشق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به الذبيح وصبر عليه ، بل هذا أشقّ وأجلّ لأن تلك معاريض وهذه حقيقة ، وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله صلى الله عليه وسلم .

(الفائدة الرابعة): سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلبه ﷺ حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك ، فأجاب رحمه الله تعالى : بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه ﷺ فلم

يبق فيه مكانٌ لأن يلقى الشيطان فيه شيئاً ، هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذى نفاه الملك فهو أمر فى الجبلّة البشرية فأزيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى القلب . قيل له : فلمَ خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أن لايخلقه الله تعالى؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلق تكملة للخلق الإنسانى ولابد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت . وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه ﷺ كذلك ، لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته ﷺ ، فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه السلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مُكمَّل الظاهر ﷺ .

(الفائدة الخامسة): قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : الحكمة فى شق صدره ﷺ مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانا وحكمة من غير شق ، الزيادةُ فى قوة اليقين لأنه أعطي برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان ﷺ أشجعَ الناس حالاً ومقالاً ، ولذلك وُصِف بقوله تعالى : ﴿مازاغ البصر وماطغى﴾(١) .

(الفائدة السادسة): قال الحافظ : هل كان شق صدره وغسله مختصّاً به أو وقع لغيره من الأنبياء ؟ وقد وقع عند الطبرى فى قصة تابوت بنى إسرائيل أنه كان فيه الطست التى تغسل فيها قلوب الأنبياء ، وهذا مشعر بالمشاركة ، ورجح الحافظ السيوطى اختصاصه به ﷺ .

---

(١) النجم : ١٧

(الفائدة السابعة) فى الحكمة فى تكرره :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر الأولى والثانية والثالثة ولكل من الثلاث حكمة : فالأولى كانت فى زمن الطفولة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند البعث زيادة فى إكرامه لتلقى مايُلقى إليه بقلب قويّ فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة .

قال الحافظ الشامى : قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره (أى الحافظ ابن حجر) إياها فى كتاب التوحيد (من فتح البارى) جازماً بها ، ويحتمل أن يقال : لما كان التمييز فى ثامن سن التكليف شُق صدره عليه الصلاة والسلام وقُدّس حتى لايلتبس بشئ مما يعاب على الرجال ، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغُسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هى فى شرعه ﷺ .

وقال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى : وإنما غسل قلبه وقد كان مقدساً وقابلا لما يلقى فيه من الخير وقد غسل أولا وهو صغير السن وأخرجت منه العلقة إعظاماً وتأهّبا لما يلقى هناك ـ يعنى فى المعراج ـ وقد جرت الحكمة بذلك فى غير ماموضوع ، مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئًا لأن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهّب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته ،

وكذلك أيضًا الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى لأن الإجزاء قد حصل وبقي ما بعد الإسباغ إلى الثلاث إعظاماً ، وكذلك غسل البطن هنا ، وقد قال تعالى : ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (١) فكان الغسل له ﷺ من هذا القبيل ، وإشارة لأمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول . وقال البرهان النعماني رحمه الله تعالى : قد حسن لداخل الحرم الشريف الغسل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة ، فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ، ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن فى الحقيقة ، وقد عُرج به لتعرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السماوات ، ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهراً وباطنا ﷺ .

فإن قلتَ : إن الله تعالى طهّر الأنبياء من كل الأدران البشرية بالنورانية النبوية وسيدنا محمد ﷺ هو أكملهم ، وفى صفاء النور مايغنى عن التطهير الحسى . قلت : الأولى لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .

(الفائدة الثامنة) : قال الحافظ ابن حجر : وقع ذلك من غير مشقة ، وبه جزم ابن الجوزى فقال : فشقه وماشق عليه .

(الفائدة التاسعة) : وقع السؤال هل كان شق صدره ﷺ بآلة أم لا؟ ولم يجب عنه أحدٌ ، وظاهر قوله " فشُق " أنه كان بآلة ، ويدل لذلك قول الملك فى

(١) الحج : ٣٢

حديث أبي ذر (خطْ بطنه فخاطه) وفي لفظ عن عتبة بن عبد (فحصه فحاصه) وفي حديث أنس (كانوا يرون أثر المخيط في صدره ﷺ) .

(**الفائدة العاشرة**) : في حديث أبي ذر : وأتيت بالسكينة كأنها برهرهة فوضعت في صدري .

قال ابن الأنباري : البرهرهة السكينة المعوجة الرأس التي تسميها العامة بالمِنْجَل بالجيم .

وقال الخطابي : عثرت على رواية وفيها (أنه شق عن قلبه ، قال : فدعا بسكينة كأنها درهمة بيضاء) فوقع لي أنه أراد بالبرهرهة سكينة بيضاء صافية الحديد تشبيها بالبرهرهة من النساء في بياضها وصفائها .

قال ابن دحية : والصواب في هذه اللفظة السكينة بالتخفيف ، لأنه قال بعد شق البطن (ثم أتيت بالسكينة كأنها برهرهة فوضعت في صدري) وإنما عنى بها السكينة التي هي في أصل اللغة فعيلة من السكون وهي أكثر ما يأتي في القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأنينة .

(**الفائدة الحادية عشرة**) : خص الطست بما ذكر لكونه أشهر الآنية للغسل عرفاً .

(**الفائدة الثانية عشرة**) : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسبا للمعنى الذي قصد به ، وإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فمطابق للذهاب ، وإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا ﷺ ، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شئ وأصفاه .

(**الفائدة الثالثة عشرة**) : قال النووى : ليس فى هذا الخبر مايوهم استعمال إناء الذهب والفضة لأن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلازم أن يكون حكمهم حكمنا ، ولأنه كان قبل تحريم النبى ﷺ استعمال أوانى الذهب والفضة . اهـ أي لأن التحريم إنما وقع فى المدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر .

(**الفائدة الرابعة عشرة**) : يؤخذ من غسل قلبه ﷺ بماء زمزم أنه أفضل المياه ، وبه جزم الإمام البلقينى . قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائه من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض . وقال غيره : لما كان ماء زمزم أصل ما أوتيه إسماعيل ﷺ وقد ربى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ، ولما فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفتح ، فجعل السقاية للعباس وولده ، وحجابة البيت لعثمان بن شيبة وعقبه إلى يوم القيامة .

(**الفائدة الخامسة عشرة**) : الحكمة فى غسل صدره ﷺ بماء الثلج والبرَد هى مافيهما من الصفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التى هى محل للأرجاس وعنصر الأكدار ، والإيماء إلى أن الوقت يصفو له ولأمته ويروق لشريعته الغراء وسنته ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفر بهم ، والإيذان ببرودة قلبه أى طمأنينته على أمته بالمغفرة لهم

والتجاوز عن سيآتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين إلى قلبه ، وقد كان ﷺ يقول بين التكبير والقراءة (اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد » . وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء حمل من الجنة فى طست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها ، فيكون فى الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أحرص ، ولأنه كان له أعداء يتقوَّلون عليه ، فأراد الله تعالى أن ينفى عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق كما قال تعالى : ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ (١) فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضُرب أو شُج رأسه أو كُسرت رباعيته كما فى يوم أحد يقول : (اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون) .

(**الفائدة السادسة عشرة**) : جاء فى رواية : أن المغسول البطن ، فقيل : المراد بالبطن هنا مابطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء فى رواية ذكر القلب ولم يذكر البطن ، ويحتمل أن تحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يُقال : أخبر ﷺ مرةً بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب فيكون الغسل قد حصل فيهما معًا مبالغةً فى تنظيف المحل .

(**الفائدة السابعة عشرة**) : قال السهيلى : فإن قيل : كيف يكون الإيمان والحكمة فى طست من ذهب ، والإيمان عرض والأعراض لايوصف بها إلا محلها والذى تقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام

---

(١) الحجر : ٩٧

لامن صفة الأعراض ؟ ، قلنا : إنما عبر عما فى الطست بالحكمة والإيمان كما عبر عن اللبن الذى شربه وأعطى فضله عمر بن الخطاب بالعلم ، فكان تأويل ما أفرغ فى قلبه إيماناً وحكمةً ، ولعل الذى كان فى الطست ثلجاً وبرَداً كما ذكر فى الحديث الأول ، فعبر فى المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه فى المرة الأولى بصورته التى رآها ، لأنه فى الأولى كان طفلاً فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعدُ ، وفى المرة الأخرى كان نبيا فلما رأى طست الذهب مملوءً ثلجا علم التأويل لحينه واعتقده فى ذلك المقام حكمة وإيمانا ، فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين . اهـ .

وقال النووى والحافظ ابن حجر : المعنى جعل فى الطست شئ يحصل به زيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة . وهذا المملوء يحتمل أن يكون على الحقيقة ، وتجسد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجئ يوم القيامة كأنها الظلة ، والموت فى صورة كبش ، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك من أحوال الغيب .

وقال البيضاوى فى "شرح المصابيح" : لعل ذلك من باب التمثيل إذ تمثيل المعانى وقع كثيراً كما مثّلَتْ له الجنة والنار فى عُرض الحائط (بضم العين المهملة) وفائدته : كشف المعنوى بالمحسوس . وأشار النووى بقوله : جعل فيه شئ يحصل به زيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة . . إلى آخره، إلى أنه ﷺ كان متصفاً بأقوى الإيمان .

(الفائدة الثامنة عشرة): المملوء البطن والصدر ، ففى رواية ذكر البطن وفى غيرها ذكر القلب . والظاهر أنهما مُلئاَ معاً وأخبر ﷺ فى رواية بالبطن وأخبر فى أخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلب وذكر البطن توسعة لأن العرب تسمّى الشئ بما قاربه أو بما كان فيه ، وقد قال تعالى : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام﴾(١) والمراد بالصدر فى الآية القلب ، فسماه باسم ماهو فيه وهو الصدر .

(الفائدة التاسعة عشرة): اختلف فى تفسير الحكمة ، فقيل إنها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك . قال الإمام النووى : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة . اهـ .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصحّ ماقيل فيها أنها وضع الشئ فى محله أو الفهم فى كتاب الله تعالى .

وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان وقد لاتوجد ، وعلى الأول فقد يتلازمان لأن الإيمان تدل عليه الحكمة .

(الفائدة العشرون): قال بعض العلماء : المراد بالوزن فى قوله (زنه بعشرة من أمته . . . إلى آخره) الوزن الاعتبارى فيكون المراد بالرجحان الفضل وهو

(١) الأنعام : ١٢٥

كذلك ، وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم رسول الله ﷺ ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأمور الاعتقادية . قال الحافظ الشامى :(١) وسألت شيخ الإسلام برهان الدين ابن أبى شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السابق ، فكتب لى بخطه : هذا الحديث يقتضى أن المعانى جعلها الله تعالى ذوات فعند ذلك قال الملك لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة ففعل فرجح ماله ﷺ رجحاناً طاش معه ما للألف بحيث تخيل إليه أنه سقط بعضهم ، ولما عرف الملكان منه الرجحان وأن معنى لو اجتمعت المعانى كلها التى للأمة ووضعت فى كفة ووضع ماله ﷺ لرجح على الأمة قالا : لو أن أمته وُزنت به مال بهم لأن مآثر خير الخلق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أن يساويها غيرها . اهـ .

(١) معراج الشامى المسمى بالآيات العظيمة الباهرة .

لاَحَظَّ للشيطان فى سيد ولد عدنان

جاء فى قصة الإسراء والمعراج أن جبريل استخرج قلب سيدنا محمد ﷺ فغسله بماء زمزم ونزع ماكان به من أذى ، وفى رواية : أنه أخرج من قلبه علقة سوداء ، وقال : هذه حظ الشيطان منك .

قال الشيخ الدردير : أى محل وسوسته منك وتسلطه لو كان له عليه سبيل ، ولعلّه بقي منها بقية من الغسلات الأُوَلَ ، وإلا فقد أخرجت فى المرة الأولى وإنما خلق بها تكميلاً للخلقة الإنسانية ، وأيضا لو خلق سليمًا منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهر الله ذلك على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر ، وإنما ولد مختونا لئلا تنكشف عورته وهو لايليق بكرامته ، وقد ورد أن من رأى عورته عمي(١) .

كمال خلق القلب المحمَّدى :

اعلم أن قلب سيدنا محمد ﷺ وهو خير القلوب وأوسعها وأقواها وأتقاها وأنقاها وألينها وأرقها ، وهو القلب الواعى اليقظان الفياض بأنوار الإيمان والقرآن .

فخير القلوب قلبه الشريف ﷺ ، جاء فى مسند أحمد وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : إن الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته . ثم نظر

---

(١) حاشية الدردير على معراج الغيطى ص ٤ .

فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبي الله ﷺ يقاتلون عن دينه . فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء) .

قال الحافظ القسطلانى : واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك[1] .

لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ يقظة القلب ، فهو فى توجه إلى الله تعالى ووعي عنه دائمَين لاتعتريه غفلة ولايطرأ على قلبه ﷺ شائبة نومة، ولذا كانت رؤياه المنامية من جملة الوحى وأنواعه ، كما أن نومه لاينقض وضوءه ﷺ ، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ، ففى صحيح البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها فى حديث قيام النبى ﷺ بالليل : قالت عائشة : قلت يارسول الله! أتنام قبل أن توتر؟ فقال : (ياعائشة إن عينيَّ تنامان ولاينام قلبى) .

وفى سنن الدارمى : أتى النبى ﷺ فقيل له : لتنم عينك ولتسمع أذنك وليعقل قلبك ، قال : فنامت عيناي وسمعت أذناي وعقل قلبى ، فقيل لى : سيدٌ بنى داراً فصنع مأدُبةً وأرسل داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يطعم من المأدبة وسخط عليه السيد ، قال : فالله السيد ، ومحمد الداعى ،

---

(١) المواهب اللدنيه للقسطلانى ١/ ٧٥ .

والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة » .

فائدة مهمة: قال الحبيب الامام العارف بالله السيد على الحبشى فى قضية شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه كما جاء فى الأخبار والآثار :

وما أخرج الأملاك من قلبه أذى ولكنهم زادوه طهراً على طهر

يقول محمد علوى مؤلفه : ووقع فى قلبى معنى آخر وهو أن قلب سيدنا محمد ﷺ مملوء بالرحمة بل هو منبعها وأصلها ، كما قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١) وهذه الرحمة شاملة كاملة، لأنها رحمة الله التى وسعت كل شيء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخرج الشيطان وأعوانه وإخوانه ومن قدّر عليه الشقاء من هذه الرحمة ، فلا نصيب لهم فيها ولاشيء لهم منها ، ويكون المعنى حينئذ أنهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان من رحمته ، فلا حظ للشيطان فى هذه الرحمة ، والله أعلم .

خاتم النبوة :

جاء ذكره فى قصة الإسراء والمعراج وأن جبريل ختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، وهو ماروواه ابن جرير وابن أبى حاتم والبزار وأبو يعلى .

وقد اختلف فى خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقابلة المعنى (**أحدها**) مثل زر الحجلة ، روى الشيخان عن السائب بن يزيد قال : قمت خلف ظهر النبى ﷺ فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة . وزر الحجلة هو واحد الأزرار التى يشد بها الكلل والستور ، وقيل أراد بالحجلة الطائر

(١) الأنبياء : ١٠٧

المعروف ، وزرُّها بيضتها .

(الثاني) أنه كجُمع أي قبضة الكف ، روى مسلم عن عبد الله بن سرجس قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ عند نغض كتفه اليسرى جُمعاً عليه خيلان .

(الثالث) أنه كبيضة الحمامة ، روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفى النبى ﷺ مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . وروى أبو الحسن بن الضحاك عن سلمان رضى الله عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله ﷺ مثل بيضة الحمامة .

(الرابع) أنه شعر مجتمع ، روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصححه وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : (ادنُ فامسح ظهرى) ، فدنوت فمسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم ، فقيل له ما الخاتم؟ قال : شعر مجتمع عند كتفه . ورواه أبو سعيد النيسابورى بلفظ (شعرات سود) .

(الخامس) أنه كان كالسلعة ، روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقي من طرق عن أبى رمثة قال : انطلقت مع أبى إلى رسول الله ﷺ فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه .

(السادس) أنه بضعة ناشزة ، روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : الخاتم الذى بين كتفي رسول الله ﷺ بضعة ناشزة .

(**السابع**) أنه مثل البندقة ، روى ابن حبان فى صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضى سمرقند حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبى ﷺ مثل البندقة من لحم مكتوب فيها "محمدٌ رسول الله" ﷺ . قال الحافظ الهيثمى فى "موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان" بعد أن أورد هذا الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى يختم به الكتب .

(**الثامن**) أنه مثل التفاحة ، وروى الترمذى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

(**التاسع**) أنه كأثر المحجم ، روى الإمام أحمد والبيهقى عن التنوخى رسول هرقل فى حديثه الطويل ، قال : فإذا أنا بخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة .

(**العاشر**) أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، رُوِي عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متراكبات كأنها من عرف الفرس ، رواه أبوبكر بن أبى خيثمة من طريق صبيح بن عبد الله الفرغانى ، قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد وهو غير ثابت .

(**الحادى عشر**) أنه شامة خضراء محتفرة فى اللحم قليلاً ، نقله ابن أبى خيثمة فى "تاريخه" عن بعضهم وهو غير ثابت أيضا .

(**الثانى عشر**) أنه كركبة عنز ، روى الطبرانى وأبو نعيم فى "المعرفة" عن عباد ابن بشر رضى الله عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتفه الأيسر كأنه ركبة عنزٍ ، وكان رسول الله ﷺ يكره أن يُرى الخاتم . وسنده ضعيف .

(**الثالث عشر**) أنه كبيضة حمام مكتوب فى باطنها "الله وحده لاشريك له" وفى ظاهرها "توجه حيث شئت فإنك منصور" رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم ، قال فى "الموارد" وهو حديث باطل .

(**الرابع عشر**) أنه كنُور يتلألأ رواه عايذ - بعين مهملة وياء تحتية وذال معجمة - عن شداد بن أوس .

(**السادس عشر**) أنه غدة كغدة الحمامة ، رواه ابن أبى عاصم فى "سيرته" .

(**السابع عشر**) أنه كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة ، رُوي ذلك عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(**الثامن عشر**) أنه كشئ يختم به ، روى ابن أبى شيبة عن عمرو بن أخطب بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله ﷺ فقال هكذا بظفره كأنه يختم به .

(**التاسع عشر**) أنه كان بين كتفيه كدارة القمر مكتوبٌ فيها سطران ، الأول : "لا إله إلا الله" وفى السطر الثانى الأسفل : "محمد رسول الله" رواه أبو الدحداح أحمد بن إسماعيل الدمشقى فى الجزء الأول من حديثه ، قال فى "الموارد" ، وهو باطل بيّن البطلان .

(**العشرون**) أنه كبيضة نعامة ، روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة النعامة يشبه جسده .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى "موارد الظمآن" ، روي هذا فى حديث الصحيح فى صفته ﷺ ولفظه "مثل بيضة الحمامة" وهو الصواب ، ورواية ابن حبان غلطٌ من بعض الرواة ، واختلف فى موضعه من جسده ﷺ ، ففى صحيح مسلم أنه عند نغض كتفه اليسرى ، وفى رواية عن سلمان : أنه عند غضروف كتفه اليمنى ﷺ ، "قال العلماء : هذه الروايات متقاربة فى المعنى ، وليس ذلك باختلاف بل كلُّ راوٍ شبه بما سنح له ، فواحد قال كزر الحجلة وهو بيض الطائر المعروف أو أزرار البشخانة ، وآخر كبيضة حمامة ، وآخر كالتفاحة ، وآخر بضعة لحم ناشزة ، وآخر لحمة ناتئة ، وآخر كالمحجمة ، وآخر كركبة العنز ، وكلها ألفاظٌ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ، ومن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأخرى . قال أبو العباس القرطبى فى "المفهم" : دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلّل قدر بيضة الحمامة وإذا كبر قدر جمع اليد ، وذكر نحوه القاضى وزاد : وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتؤوّل على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناها على هيئة جمع الكف ، لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة .

الحكمة فى الخاتم :

قال السهيلى : والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه

معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم ، قال : والحكمة فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه إيمانا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكاً ودراً ، فجمع الله تعالى أجزاء النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ وختم عليه بختمه ، فلم يجد عدوه سبيلاً إليه من أجل ذلك الخاتم ، لأنّ الشئ المختوم محروس ، وكذلك تدبير الله تعالى لنا فى هذه الدار إذا وجد أحدنا الشئ بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الآدميين ، فلذلك ختم ربّ العالمين فى قلبه ختماً يطمئن له القلب وألقى النور فيه وتَقَوَّتْ قوَّتُه القلبية فظهر بين كتفيه كالبيضة .

تاريخ وضع الخاتم :

قال الحافظ : تقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً حين ولادته ﷺ ، وإنما كان أول وضعه عند شق صدره عند حليمة ، وفيه تعقبٌ على من زعم أنه ولد به ، وهو قول نقله فى "الفتح" بلفظ قيل ولد به وقيل حين وضع ، ونقله مغلطاى عن ابن عائذ ، قال الحافظ ابن حجر : وماتقدم أثبت ، قال الحافظ الشامى بعده : قلت : وصححه فى "الغرر" يعنى أنه إنما وضع عند شق صدره الشريف عند حليمة ، ومقتضى الأحاديث أن الختم تكرر ثلاث مرات :

(الأولى) وهو فى بلاد بنى سعد عند مرضعته حليمة .

(والثانية) عند البعث .

(والثالثة) عند الإسراء .

قال : ولم أقف فى شئ من أحاديث شق صدره ﷺ وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم ، والله تعالى أعلم .

قال الشيخ الدردير فى الجمع بين الأقوال : ولا مانع من أن يكون ولد بأثر ولم يظهر بحيث يكون قدر بيضة الحمامة إلا بعد شق الصدر جمعاً بين الروايات ، وسئل البرهان الحلبى هل خاتم النبوة من خصائص النبى ﷺ أو كل نبى مختوم بخاتم النبوة؟ فأجاب : لا أستحضر فى ذلك شيئاً ولكن الذى يظهر أنه خص به ﷺ لمعانٍ :

منها أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره ، ولأن باب النبوة ختم به فلا يفتح بعده ، وروى الحاكم عن وهب بن منبه قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى ، إلا نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه . اهـ فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبى ﷺ مما اختص به عن الأنبياء وجزم به الشيخ يعنى شيخه الحافظ السيوطى فى " أنموذج اللبيب " كما فى النسخ الصحيحة خلافاً لما وقع فى غيرها مما يخالف ذلك . وقيل إن خاتم النبوة رفع عند وفاته فكان بهذا عرف موته .

قال الشيخ عبد الباسط البلقينى فى "الاصطفاء" فإن قيل : النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبى ﷺ حقيقةً كما بقي وصف الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو الروح ، وهى باقيةٌ لاتتغير بموت البدن ، كما صرح به النسفى ، فلِمَ رفع ماهو علامة على ذلك؟ قلت : لأنه لما وضع لحكمة وهى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان

وقد تم الأمن منه بالموت ، فلم يبق لبقائه فى جسده فائدة ، وماذكره النسفى من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبى الحسن الأشعرى وعامة أصحابه ، كما قاله النسفى لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عندهم أحياء فى قبورهم كما وردت به الأخبار .

(فائدة) روى الحافظ إبراهيم الحربى فى "غريبه" وابن عساكر فى "تاريخه" عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : أردفنى رسول الله ﷺ خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمى فكان ينمّ علىّ مسكاً .

الطست الذهبى الذى غسل فيه قلبه الشريف :

الطست فيه أربع لغات : كسر الطاء وفتحها مع السين المهملة والمعجمة ، وقد تبدل التاء سيناً وتدغم فى السين فيقال طس ، وهذه خامسة وهو إناء معروف ، والغالب عليه كونه من النحاس ، واختير على غيره لأنه أشهر آلات الاستعمال فى الغسل ، وكان من ذهب لأنه أصفى المعادن ولايعلوه صدأ ولاتسلط عليه النار ولا التراب فهو مناسب فى المعنى لقلبه الشريف إذ هو أصفى القلوب ولايعتريه الصدأ المعنوى ولاتسلط للشيطان عليه ، وأيضا ليناسب ثقله ثقل الوحى ، ولما فيه من المناسبة اللفظية أيضًا وهى ذهاب الرعونات البشرية عنه ، أو لذهابه إلى الحضرة القدسية ، وجواز استعماله إما خصوصية له ﷺ ، وإما لكون حرمته لم تكن شرعت ، لأنه إنما حرم بعد الهجرة ، وإما لكونه من عالم الملكوت ، والمحرم إنما هو ما كان من عالم الملك ، وإما لأنه من أوانى الجنة وهى لايحرم استعمالها ،

وإنما كان غسل قلبه الشريف بماء زمزم لأنه أفضل المياه بعد النابع من أصابعه الشريفة وبه جزم الإمام البلقيني وهو من ضربة جبريل بجناحه الأرض ، ولما قيل من أنه يقوّى القلب وأنه من ماء الجنة وقد اكتسب من بركة الأرض ويليه ماء الكوثر ثم نيل مصر ، ونظم التقى السبكى ذلك بقوله :

وأفضل المياه ماء قد نبع ... بين أصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزمٍ فالكوثر ... فنيل مصر ثم باقى الأنهر

قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض .

وقد جاء فى فضل زمزم أحاديث كثيرة ، وأشهرها حديث جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ماء زمزم لما شُرب له) رواه أحمد فى "المسند" وابن ماجه فى "السنن" وحسنه كثيرٌ من العلماء وصححه بعضهم ، وكتب فيه الحافظ ابن حجر رسالةً خاصة ذكرها أخونا الأستاذ الدكتور سائد بكداش فى كتابه الجامع النفيس "فضل ماء زمزم" ، وللعلامة المحدث الشريف محمد بن إدريس القادرى الحسنى رسالةٌ أيضا سمّاها "إزالة الدهش والوله عن المتحير فى صحة حديث ماء زمزم لما شرب له" وهي مطبوعة .

البُراق

البُراق بضم الموحدة مأخوذة من البريق بمعنى البياض ، لما يأتى من أنه أبيض ، وهو أشرف الألوان ، أو من البرق لسرعة سيره . أرسله الله تعالى له من الجنة إجلالا وتعظيما على عادة الملوك إذا استدعوا عظيماً بعثوا إليه النجيب مهيأ مع أعز خواصه للحضور ، فهو من عالم الغيب ، لايوصف بذكورة ولا بأنوثة كالملائكة ، وأما ضميره فتارةً يُذكّر وتارة يؤنَّث ، كما يأتي فى القصة .

وقوله (مسرَجاً ملجَماً) حالان ، وهو بهذه الهيئة من خصوصياته كما قال العلماء ، بخلاف ركوب غيره من الأنبياء ، وقيل وكان سرجه من لؤلؤة بيضاء ولجامه من ياقوتة حمراء . قيل ومكتوب بين عينيه سطران ، أحدهما "لا إله إلا الله" والثانى "محمد رسول الله" .

ويؤخذ من كونه مسرجاً ملجماً أنه من ذوات الأربع ، وكذا من قوله طويلٌ فوق الحمار . . . الخ . وقوله فوق الحمار بيانٌ لطوله . وكونه بهذه الصفة ولم يكن كالخيل إشارة لخرق العادة من وجوه : الأول : أنه لم يكن على صفة دواب الدنيا . والثانى : سرعة السير من دابة بذلك الوصف ولم يكن كالخيل ولا أكبر ، الثالث والرابع : ما يأتى من وضع حافره عند منتهى طرفه وطول يديه على رجليه تارةً وعكسهما أخرى ، وغير ذلك .

قال ابن دحية : فإن قيل : هلاّ كان الإسراء على أجنحة الملائكة أو الريح كما كانت تحمل سيلمان ، أو الخطوة كطي الزمان؟ قلت : المراد إطلاعه

على الآيات الخارقة للعادة وما يتضمن أمراً عجيباً ، ولاعجب فى حمل الملائكة أو الريح بالنسبة إلى قطع هذه المسافة ، بخلاف قطعها على دابة بهذا الحجم المحكي عن صفتها ، ووقع من تعظيمه بالملائكة ماهو أعظم من حمله على أجنحتها ، فقد أخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهما من أكبر الملائكة ، فاجتمع له ﷺ حمل البراق وماهو كحمل البراق من الملائكة وهو أتم فى الشرف ، قال ابن دحية : ربما خرج خرق العادة تأنيسًا ، وقد كان الحق تعالى قادراً على أن يرفع نبيه ﷺ بدون البراق ، ولكن الركوب وصفة المركوب تأنيس فى هذا المقام العظيم بطرف من العادة ، ولعل الإسراء بالبراق إظهار للكرامة العرفية ، فإن الملك العظيم إذا استدعى ولياً له وخصِّصاً به وأشخصه إليه ؛ بعث إليه بمركوب سَنِيّ يحمله عليه فى وفادته إليه ، ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه بشكل البغل ، وكان ذلك ـ والله أعلم ـ للإشارة إلى أن الركوب فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف ، أو لإظهار المعجزة فى الإسراع العجيب من دابةٍ مايوصف شكلها بالإسراع الشديد عادةً . فإن قيل : فقد ركب النبى ﷺ البغلة فى الحرب؟!
والجواب : كان ذلك لتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام فى مواطن الطعن والضرب والانتصاب فى نحر العدو ، ولإظهار ما كان الله تعالى خصه به ﷺ من مزيد الشجاعة ومزيد القوة ، وإلا فالبغال عادةً مركوب الطمأنينة والأمن ، فبين أن الحرب عنده كالسلم ، قوة قلب ، وشجاعة نفس ، وثقةً وتوكلاً على الله تعالى .

استصعاب البراق:

جاء في القصة أن البراق استصعب ، أى نفر نفوراً قويا للإشارة إلى قوته ، وأنه متمكن من قطع المسافة الطويلة في أسرع زمن وليس بالضعيف فلذا خاطبه جبريل مخاطبة العقلاء ، لما فيه من الإدراك عند أهل البصائر ، والإدراك بقوله : أما تستحيي (بياءين ، وروي بياء واحدة) يابراق فإن إمام المخلوقين مما لا ينبغى بحضرته إلا مزيد الأدب لا إظهار القوة . وقيل : إنما استصعب عجباً وتيهاً بركوب هذا الجناب العظيم ، ولذا قال : " فارفضّ عرقا " ، فكأنه أجاب بلسان الحال متبرئاً من الاستصعاب ، وعرق من خجل العتاب فارفض ، وقيل إن نفرته لبعد العهد بركوب الأنبياء وقد استبعده بعضهم ، وقيل ليَعده الرسول عليه الصلاة والسلام بالركوب عليه يوم القيامة ، لما ورد : إنَ الله أعدّ له في الجنة أربعين ألف براق ترعى في مروج الجنة ، فلما وعده بذلك قر وسكن . وفيه أنّ القصة لم تشر لذلك وإن كان قريباً في نفسه ، فقد ورد : أنه ﷺ قال : تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى يوافى بها المحشر ، وأنا على البراق اختصصت به من دون الأنبياء يومئذ ، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها بالأذان حقا . فإذا سمعت الأنبياء وأممها - أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله - قالوا : ونحن نشهد على ذلك(١) .

وقال ابن دحية وابن المنير : إنما استصعب تيها وزهوا بركوب النبى

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" وصححه وتعقبه الذهبى ، والحديث متكلم فيه ، كذا في تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٣١١

ﷺ ، وأراد جبريل بقوله : " أبمحمد تستصعب " استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة ، وإنما تاه لمكانة النبى ﷺ ، ولهذا قال : " فارفض عرقا " فكأنه أجابه بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب ، وفرق من خجل العتاب وذلك قريب من رجفة الجبل به ﷺ حتى قال له : (اثبت فإنما عليك نبيٌ وصدّيق وشهيد) ، فإنها هزة طرب لا هزة غضب .

يقول كاتبه محمد بن علوى : هذه الأقوال أكثرها من اجتهاد العلماء واستنباطهم ولذلك ساقها المحققون بلفظ " قيل " وليس فى المرفوع الصحيح ، تعليل صريح .

أعوذ بوجه الله الكريم :

جاء فى القصة أن جبريل علّم النبى ﷺ أن يقول هذا الدعاء ، وهو : (أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر ، من شر ماينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ماذرأ فى الأرض ، ومن شر مايخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلاّ طارقاً يطرق بخير يارحمن) .

قوله (أعوذ) أى أتحصن وأستجير بوجه الله أى ذاته المقدس (الكريم) المعطى الوهاب المستحيل عليه ضده ، وهو نعت للوجه أو لله (وبكلمات الله) التي لاتنفد أى لاتفرغ ، وهو كلامه القديم أو القرآن العظيم أو صفاته العلية . (التامات) التى لا يعتريها نقص ولا عيب . أو النافذات فى خلقه . (التى لايجاوزهن) أى لايتعداهن بَرٌّ أى صالح تقي ولا فاجر ولا فاسق

غوي . (من شر) متعلق بأعوذ . (ماينزل من السماء) أي من البلاء (ومن شر مايعرج فيها) أى مايصعد إليها من المعاصي الموجبة للغضب ونزول المحن والمصائب . وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم . (ومن شر ماذرأ) بذال معجمة آخره راء أى ماخلق الله فى الأرض من كل مؤذ عاقل أو غيره ، وحشٍ أو غيره . (ومن شر مايخرج منها) أخص مما قبله أى يظهر من الهوام كالحيات والعقارب . (ومن فتن الليل والنهار) جمع فتنة ، وهى كل ما تعلقت به النفس واشتغلت به عن خالقها عز وجل ، من مال وولد وزوجة ، وأولى غيرها من المعاصى واللهو (ومن طوارق الليل والنهار) أى حوادثهما التى تصيب الإنسان بغتة . (إلا طارقا يطرق) بضم الراء أى يأتى بخير أى فائدة فيها سلامة الدين والدنيا من علمٍ ومال طيب لا يشغل عن الله تعالى (يارحمن) أى يا منعم بجلائل النعم .

المتكلمون فى المهد :

جاء فى القصة أن المتكلمين فى المهد أربعة ، تكلموا وهم صغار ، أولهم : رضيع ماشطة ابنة فرعون ، وثانيهم : شاهد يوسف عليه السلام حيث قال لسيد زليخا أى زوجها : إن كان قميصه . . . الخ ، أى قميص يوسف . والثالث : صاحب جريج العابد واسمه جرجيس ، وكان من خبره أنه كان يعبد الله تعالى فى صومعته أى متعبَّده ، فجاءته أمه ونادته من خارج الصومعة : ياجريج ! وهو يصلي ، فقال : يارب أمى وصلاتى ، فلم يجبها ودام على صلاته ، فانصرفت . ثم جاءته من الغد وهو يصلى ،

فنادته : ياجريج! فقال : يارب أمي وصلاتي فدام على صلاته ولم يجبها فانصرفت. فجاءت من الغد أيضا فقالت مثل ذلك فانصرفت وقالت : اللهم لاتمته حتى ينظر في وجوه المومسات (وفي الحديث : لو كان جريج فقيهاً لقطع صلاته وأجاب أمه)، ثم اتفق أن تذاكر بنو إسرائيل في أمر جريج وكثرة عبادته، وكان فيهم إذ ذاك امرأة بغيّ أي زانية، لايراها أحد إلا افتتن بها، فقالت : إن شئتم فتنته لكم؟ فأتته وتعرضت له، بما تقدر عليه فلم يلتفت إليها، فلما أيست منه جاءت لراعٍ ومكّنته منها فحملت، فلما ولدت قالت لهم : إنه من جريج. فجاءوا إليه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال لهم : ما شأنكم؟ فقالوا له : قد زنيتَ بهذه المرأة، وهذا الولد منك. فقال لهم : قرّبوه مني ودعوني أصلّي ركعتين. ففعلوا، فلما انصرف من صلاته أتى الولد وطعنه بيده في بطنه وقال له : من أبوك ياغلام؟ فقال : أبي فلان الراعي. فعلموا أن المرأة قد كذبت عليه، فأقبلوا عليه يقبّلون أعضاءه ويعتذرون إليه وسألوه أن يبنوا له صومعته من ذهب، فقال : ابنوها من طين كما كانت، ففعلوا وعاد إلى عبادته حتى مات.

والرابع : عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله : إني عبد الله آتانيَ الكتاب . . . الخ.

وزاد بعضهم عليهم سبعة، جمعهم الجلال السيوطي في قوله :

تكلَّمَ في المهد النبيُّ محمدٌ ... ويحيى وعيسى والخليلُ ومريمُ
ومُبرِى[1] جُريجٍ ثم شاهدُ يوسفٍ ... وطفلٌ لدى الأخدود يرويه مُسْلِمُ

---

(١) أي مبرئ وهو الذى برأ جريجا

وطفـلٌ عليـه مُـرٌّ بالأَمَـة[1] التي يُقـال لهـا تزنـي ولا تتكـلمُ
وماشِطةٌ في عهد فرعـون طِفلُها وفي زمـن الهـادى المبـارك يُخْتَمُ

وزاد بعضهم :

ونـوح ببطـن الغار في يوم وضعه وموسى من التنور والنار تضرم

والخامس : سيدنا محمد ﷺ ذكر في "الخصائص" عن الحافظ ابن حجر أنه ﷺ تكلم أوائل ولادته ، وإن أوّل ماتكلم به (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً) ورُوي أنه عطس حين ولادته فحمد الله فشمته الملائكة وردّ عليهم .

والسادس : يحيى بن زكريا عليهما السلام ذكروا أنه كان في غرفة وهو ابن سنة وشهر ، فلما ولد عيسى قال : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، فسمع أبوه شهادته فخرج مُهَرْوِلاً إليه فلم يجد عنده أحدا .

والسابع : إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، رُوي أنه حال ولادته نهض قائما على قدميه قائلاً : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، الحمد لله الذى هدانا لهذا . فبلغ هذا الصوت المشارق والمغارب وسائر الحيوانات .

والثامن : مريم عليها السلام ، وذلك أن زكريا عليه السلام لما كفلها وضعها في غرفة في المسجد ، وكان عمرها دون سنتين ولم يكن يصعد إليها غيره ولم تطعم من ثدي أبدا ، فكان يجد عندها رزقاً فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه ، فقال لها : أنّى لكِ هذا؟ قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

(١) الأمة : الجارية

والتاسع : صاحب قصة الأخدود ، ذكره مسلم فقال : عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : كان ملكٌ فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إنى قد كبرت فابعث لي غلاماً أعلّمه السحر ، فبعث إليه غلاما يعلّمه ، وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه ، فإذا أتى أهله ضربوه ، فشكا إلى الراهب ، فقال : إذا جئت إلى الساحر فقل : حبسنى أهلي ، وإذا جئت إلى أهلك فقل : حبسنى الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة ، وفى رواية على حية قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم ، الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها فمضى الناس . فأتى الراهب وأخبره فقال : أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرك ماترى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتى بهدايا كثيرة ، فقال : هذا لك أجمع إن أنت شفيتنى ، فقال : إنى لا أشفي أحداً إنما يشفى الله تعالى فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك ، فآمن بالله فدعا الله فشفاه ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردَّ عليك بصرك؟ قال : ربي ، قال : ولك رب غيرى؟ قال : ربى وربك الله ، فأخذه ولم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام ، فجيء به ، فقال له الملك : أى بُني قد بلغ

من سحرك مايبرئ الأكمه والأبرص وتفعل ، قال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب فجيئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيئ بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا إلى جبل كذا فاصعدوا به ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : مافعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال : اذهبوا به واحملوه في قرقور أي سفينة إلى لجّة بحرٍ كذا ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه في البحر . فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت السفينة بهم فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ، مافعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله ، وقال للملك : أنت لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمُرك به ، قال : ماهو؟ قال تجمع الناس في صعيدٍ واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، وقل : بسم الله ربّ الغلام ، ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتَني ، فجمع الناس في صعيدٍ واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام ثلاثا ، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ماكنت تحذر ، قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس

فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرمها بالنيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها . قال : ففعلوها حتى جاءت امرأةٌ معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمَّه! اصبرى فإنكِ على الحق . اهـ ، قال تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود . . . الخ ﴾[1] .

والعاشر : مبارك اليمامة ، واليمامة اسم بلد اليمن ، فقصته ماذكره فى "المواهب" عن معيقب اليمانى قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ، ورأيت منه عجباً ، جاءه رجل من أهل اليمامة بغلامٍ يوم ولد ، فقال له رسول الله ﷺ : ياغلام من أنا؟ فقال : أنت رسول الله ، قال : صدقت بارك الله فيك ، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب ، فكنا نسميه مبارك اليمامة[2] .

والحادى عشر : مبرئ الأمَة التى رُميت بالزنا ، جاء فى الصحيحين أن امرأة كانت جالسة بصغير فى حجرها يمص ثديها ، فمر عليها رجل ذو هيئة حسنة وصفات جميلة راكباً على دابة فارهة ، فقالت : اللهمّ اجعل ابنى مثل هذا فترك الولد ثديها ونظر إليه وقال : اللهم لاتجعلنى مثل هذا ، وأقبل يمص ثديها ، ثم مر عليها بجارية يضربها الناس ويقولون إنها زنت وسرقت وهى لاتتكلم سوى أنها تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت المرأة :

---

(١) البروج : ٤ .

(٢) رواه البيهقي وغيره وهو متكلم فيه بالوضع لكن الحافظ السيوطي ذكر له طرقا وشواهد وقال : هو حديث حسن . واعترضه الزرقانى وقال : إن غاية مايفيد تعدد طرقه أنه ضعيف . اهـ شرح المواهب ٥ / ١٨٥ .

اللهم لاتجعل ابنى مثل هذه . فترك الولد ثديها وقال : اللهم اجعلنى مثلها، فسألته أمه عن ذلك فقال لها : أما الراكب فهو من الجبابرة ، وأما الأمة فلم تزنِ ولم تسرق وإنما هم يكذبون عليها .

والثانى عشر: نوح عليه السلام ذكروا أنه لما ولدته أمه ووضعته فى غار خوفاً عليه من الأعداء ثم أرادت تركه والخروج عنه فحزنت عليه، فقال لها: يا أُمَّه! لاتخافي عليّ ولاتحزني فإن الله خلقنى وهو يحفظنى .

والثالث عشر: موسى عليه السلام ذكروا أنه لما ولد قال لأمه: لاتخافى ولاتحزنى (أى من فرعون) فإن الله معنا ، وروي أنها وضعته فى التنور خوفاً عليه ، وخرجت لحاجة فجاءت أخته وأحمت التنور للخبز ولم تعلم أنه فيه فجاءت جماعة فرعون وفتشوا البيت حتى وصلوا للتنور وفيه النار وخرجوا، فجاءت أمه فوجدت التنور مسجورا بالنار ، فقالت: ياحسرتاه قد أحرقتم ابنى فناداها من داخله : لاتخافى ولاتحزنى ، فإن ربي قد منع النار عنى فمدت يدها وأخرجته سالماً .

آنية الماء والخمر واللبن:

أكثر الروايات أن تقديم الآنية كان قبل العروج ، وفى بعضها أنه بعده ففى رواية بعد ذكر رؤية إبراهيم فى السماء السابعة : ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاث أوانٍ مغطاة ، وفى رواية كان ذلك بعد أن رفع إلى سدرة المنتهى . وفى رواية كان ذلك بعد رؤية البيت المعمور . قال ابن كثير وغيره : ولعله قدم مرتين لأنها ضيافةٌ له ﷺ ، وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر جمعاً

بين الروايات ، قال ابن كثير وابن حجر : وأما الاختلاف فى عدد الآنية ومافيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر مالم يذكر الآخر ، ومجموعها أربعة أوان ، فيها أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التى تخرج من أصل سدرة المنتهى ، وإذا قلنا بعرض الآنية مرتين ففائدة عرض الخمر مع إعراضه عنه فى المرة الأولى وتصويب جبريل له ، تكرير التصويب والتحذير مما سواه أى مما سوى ماصوب اختياره له ، وهل كانت من خمر الجنة أو من جنس خمر الدنيا؟ فإن كان الأول فسبب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمرة المحرَّمة أي التى ستحرم ، ويكون ذلك أبلغ فى الورع وأدق ، وإن كان من الثانى فاجتنابها واضح أى لأنه ترك ماسيحرم بالفعل .

أَكَلَة الربا وانتفاخ بطونهم

جاء في بعض الروايات أنَّه رأى أَكَلَةَ الرباَ مُنْتَفخَةً بُطونُهم . قال الحافظ الشامي : إنما رأى أكلة الربا منتفخة بطونهم لأن العقوبة مشاكلةٌ للذنب فآكل الربا يربو بطنه كما أراد أن يربو ماله بأكل ماحرم عليه ، فمحقت البركة من ماله وجعلت نفخا في بطنه حتى يقوم كَمَا يَقُومُ الَّذى يَتَخَبَّطُه الشَّيْطَانُ منَ الْمَس . وإنَّما جُعلُوا بطَريق آل فرعَون يَمُرُّونَ عَلَيهم غُدُوّا وعَشياً ، لأن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً فضلاً عن غيرهم من الكفار ، وهم لايستطيعون القيام ، ومعنى كونهم فى طريق جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم أن الله سبحانه وتعالى قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا ويصرّوا فيدخلهم النار ، وهذه صفة من هو فى طريق النار ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعظَةٌ منْ رَبِّه فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إلَى اللّه ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فيْهَا خَالدُوْنَ﴾[1] وفى بعض الأحاديث أنه رأى بطونهم كالبيوت يعنى أكلة الربا ، وفيها حيّاتٌ تُرَى من خارج البطون .

فإن قيل : هذه الأحوال التى ذكرها عن أكلة الربا ، إن كانت عبارةً عن حالهم فى الآخرة ، فآل فرعون قد أدخلوا أشد العذاب ، وإنما يعرضون على النار غدوّاً وعشياً فى البرزخ ، وإن كانت الحال التى رآهم عليها فأي بطون لهم وقد صاروا عظاماً ورُفاتاً ومزّقوا كل ممزق؟ فالجواب : أنه إنما

(١) البقرة : ٢٧٥

رآهم فى البرزخ ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيحٌ لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فخلق الله تعالى فى تلك الأرواح من الآلام مايجده من انتفخ بطنه حتى وُطِئ بالأقدام ولايستطيع معه قياما ، وليس فى هذا دليلٌ على أنهم أشد عذابا من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنه يطؤهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ماداموا فى البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المَسّ ، ثم ينادى منادى الله تعالى ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(١) . وكذلك ما رأى من النساء المعلَّقات بثُدِيِّهِنَّ يجوز أن يكون رأى أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام مايجده من هذه حاله ، ويُحتَمل أيضا أن يكون مثّلت له حالهن فى الآخرة .

(١) غافر : ٤٦

الحكمة في إسرائه أَوّلاً إلى بيت المقْدِس

والحكمة في إسرائه أولا إلى بيت المقدس لإظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء به إلى بيت المقدس في ليلة ، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ماذكره . وقيل : الحكمة في ذلك ليحصل له العروج مستوياً من غير تعويج لما روي عن كعب : أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ، قال وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا . قال بعض الحفاظ : وفيه نظر، وقيل الحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يريه القبلة التي صلى إليها مدةً كما عرف الكعبة التي صلى إليها ، وقيل لأنه مجمع أرواح الأنبياء فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ ، وقيل لأنه هجرة غالب الأنبياء فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل . وقال ابن دحية : يحتمل أن يكون الحق سبحانه وتعالى أراد أن لايخلي تربة فاضلة من مشهده ووطء قدمه فتمم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد ﷺ فيه ، فلما تمم تقديسه أخبر ﷺ أنه لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام

لأنه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ، ومسجد المدينة لأنه محل هجرته وأرض تربته ، ومسجد الأقصى لأنه موضع معراجه ﷺ .

المسجد الأقصى

فضائله وخصائصه

قال البرهان النسفى : اتفقوا على أن المراد به مسجد البيت المقدس وسمي بالأقصى لبُعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام .

وقال الزمخشرى : سمّي الأقصى لأنه لم يكن وراءه مسجد . وقال ابن الفقيه : وهو معدن الأنبياء من لدن الخليل عليه وعليهم الصلاة والسلام، ولذا جمعوا له ﷺ هناك كلهم وأمَّهم فى محلهم ليدل ذلك على أنه الرئيس المقدّم والإمام الأعظم ﷺ . وقال أبو شامة : هو بيت المقدس الذى عمَّره سليمان نبى الله عليه السلام بأمر الله عز وجل ، ومازال مكرّماً محترماً ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لاتشد الرحال شرعاً إلا إليها أى لا يقصد بالزيارة والتعظيم من جهة أمر الشارع إلا هذه الثلاثة من المساجد ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظّم بالزيارة (كذا فى الآيات الباهرة للشامى) .

قال فضيلة الأستاذ الشيخ موسى محمد الأسود فى كتابه عن الإسراء[١] : وقد كان يعرف بهيكل سليمان لأنه الذى بناه وشيَّده ، وقد وصف الله ماحوله بالبركة : ﴿الذى باركنا حوله﴾[٢] أى جوانبه ببركات الدين والدنيا ، لأن تلك الأرض المقدسة ، مقر الأنبياء ومهبط وحيهم ، ومنمى الزروع والثمار فاكتنفته البركة الإلهية من نواحيه كلها ، فبركته

---

(١) الإسراء والمعراج المعجزة التى خرق الله بها نواميس الكون .
(٢) الإسراء : ١

مضاعفة لكونه فى أرض مباركة ، ولكونه من أعظم مساجد الله ، والمساجد بيوت الله ، ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ، ومهبط الوحى عليهم ، فبورك فيه ببركتهم ويمنهم أيضاً ، وقيل فى خصائص المسجد الأقصى أيضاً ، أنه متعبد الأنبياء السابقين ومسرى خاتم النبيين ، ومعراجه إلى السموات العلى والمشهد الأسمى ، بيت نوّه الله به فى الآيات المفصلة ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة . لأجله أمسك الله الشمس على يوشع أن تغرب ليتيسر فتحه على من وعدوا به ويقرب ، وهو قبلة الصلاة فى الملتين ، وفى صدر الإسلام بعد الهجرتين ، وهو أول القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لاتشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه .

ومن فضائله مارواه الإمام أحمد وغيره عن ابن عمرو ، قال رسول الله ﷺ : إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله مُلكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لايريد إلا الصلاة فى هذا المسجد - يعنى بيت المقدس - خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، قال النبى ﷺ : ونحن نرجو أن يكون الله أعطاه ذلك .

المسجد الأقصى أكان مبنياً أم خراباً وقت الإسراء؟

يذكر بعض العلماء أن المسجد الأقصى فى زمن الإسراء كان خراباً ، وذلك لأن سليمان عليه السلام بناه على مكان الصخرة ، ثم خرب وبقي

خرابًا حتى فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القُدس ، وقالوا : إنما أطلق عليه اسم المسجد باعتبار ماكان عليه وما وضع له ، كما أطلق المسجد على حرم مكة وهو لم يكن يومئذ مسجداً ، وإنما كان بيتاً للأصنام ، لكن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما بنيا الكعبة للعبادة الصحيحة كما بنى سليمان هيكله هذا لها سمي مسجداً بهذا الاعتبار ، أو يقال : إنه أطلق عليهما اسم المسجد للإشارة إلى ما يؤول إليه أمرهما ، وهو كونهما مسجدين للمسلمين ، ولكن هذا الرأى يناقض تماماً الأحاديثَ الصحيحة التى وصفت المسجد وأبوابه للمشركين صبيحة الإسراء ، وهذا دليل على كونه كان قائماً وإلا فكيف يطلب المشركون من رسول الله ﷺ وصفه؟ وقالوا : نحن نعلمه وقد رأيناه ، فجلى الله له المسجد فوصفه لهم باباً باباً كما مر فى حديث البخارى ، بالإضافة إلى أن وجود الأصنام فى الجاهلية فى المسجد الحرام لم يُزِلْ عنه هذا الإسم ، وبناؤه كان شامخاً والناس يطوفون به ، فالاستدلال بحالة المسجد الحرام هذه على كون المسجد الأقصى كان خراباً لا يستقيم .

الصخرة المشرفة وآثار أقدام الأنبياء :

يتساءل كثير من المسلمين : هل صحيح ما يقال ، من أن الصخرة المشرفة فى بيت المقدس قد لحقت بالنبى ﷺ عندما عرج إلى السماء فقال لها : اهدئى فهدأت وبقيت معلقة بين السماء والأرض؟ وأن قدم رسول الله الشريفة لها أثر فى أعلى الصخرة؟ .

الصخرة المشرفة من الآثار المعروفة المشهورة لدى المسلمين وغير المسلمين من قديم الزمان ، ومكانها معلوم ومشهود ، والطريق إليها سهل معبد ، وقد زارها الملايين من الناس ، ورأوها وعاينوها ، فوجدوها ثابتة فى مكانها لم تتحرك ولم ترتفع بين السماء والأرض كما يزعم العامة من الناس ، ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ما يشير إلى أن هذه الصخرة تحركت أو ارتفعت ليلة الإسراء والمعراج ، ولانقول هذا استعظاماً على قدرة الله ، فالله الذى رفع السماء بغير عمَدٍ ترونها قادرٌ على كل شئ ولانقول ذلك ضنّاً بالرسول الكريم عن أن يؤيده ربه بالمعجزات الحسية ، كما أيد من سبقه من إخوانه النبيين والمرسلين فقد أيده بالكثير منها وبما هو أخلد وأبقى وهو القرآن العظيم ، وإنما نقرر هذا إنصافاً للحقيقة ، وتطبيقاً لتعاليم ديننا الذى قام على المنطق والصدق ومحاربة الظنون ورد الشائعات والأوهام .

أثر القـدم :

أما ما يقال عن أثر القدم الشريفة فى أعلى الصخرة فهو أيضا لم يثبت ولم يصح ، وقد تتبع المحققون من العلماء مثل هذه الآثار المنسوبة لقدم النبى ﷺ ، وأحصوا هذه الأحجار التى أثرت فيها القدم فقالوا : المعروف منها سبعة : أربعة فى مصر ، والخامس بالقسطنطينية ، والسادس فى الطائف ، والسابع فى قبة الصخرة . وكل هذه الأحجار سوداء تضرب إلى الزرقة عليها آثار أقدامٍ متباينة فى الصورة والقدر ، لايشبه الواحد منها

الآخر ، ولهذا قطع المحققون بعدم صحة ما يقال عن هذه الأحجار ، وأنه لاسند لما يروى عنها ، ونقل عن ابن تيمية : أنها من اختراع الجهال ، ومثل هذا أيضاً مايزعم بعض الجهال من أنه توجد آثار أقدامٍ منسوبة إلى بعض الرسل الكرام فى بعض البلاد ، كأثر قدم آدم فى سَرَنْدِيب بالهند ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا فى بيت المقدس ، وأثر قدم إدريس ببيت المقدس ، وأثر قدم أيوب بقرية قرب نوى بالشام ، وأثر قدم النبى ﷺ ببصرى .

أثر قدم إبراهيم على الحجر بمكة :

أورد الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(1) جملةً صالحةً من أقوال العلماء فى تحقيق المراد من المقام ، ورجح أنه هو الحجر الذى كان يقوم عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لبناء الكعبة ، ثم قال بعد ذلك : فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار ، وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة ، وهو واقف عليه ، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتى بيانه فى قصة إبراهيم وإسماعيل فى بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخارى . وكانت آثار قدميه ظاهرةً

---
(1) البقرة : 125

فيه ، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب فى جاهليتها ، ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المعروفة اللامية :

وموطئ إبراهيم فى الصخرة رطبة   على قدميه حافياً غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا ، كما قال عبد الله بن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب : أن أنس بن مالك حدثهم ، قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم ، وقال ابن جرير : أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[1] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى[2].

(١) البقرة : ١٢٥   (٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٥ ـ ٢٥٤

إشكال عن عرض الأرواح وجوابه

جاء في قصة المعراج أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته من بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء .

قال القاضي : وهو مشكل ، فقد جاء أن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة ، وأن أرواح الكفار في سجين ، فكيف تكون مجتمعة في السماء ، وأجاب : بأنه يحتمل أنها للعرض على آدم أوقاتاً ، فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ ، ويدل على أن كونهم في الجنة أو النار إنما هو في أوقات كما في قوله تعالى : ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا﴾[1] . واعترض بأن أرواح الكفار لاتفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن . وأجيب بما أبداه القاضي احتمالاً : بأن الجنة كانت في جهة اليمين ، والنار في جهة الشمال ، وكان يكشف له عنهما . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعدُ وهي مخلوقة قبل الأجساد ، ومقرّها يمين آدم وشماله ، وقد أعلم بما سيصيرون إليه ، فلذا كان يستبشر إذا نظر إلى من كان على يمينه ، ويحزن إذا نظر إلى من كان على يساره ، بخلاف التي في الأجساد فليست مرادةً قطعاً ، وبخلاف التي نقلت من الأجساد إلى مقرها في الجنة أو النار فليست مرادةً أيضا فيما يظهر ، وبهذا يندفع الإيراد ، ويعرف أن قوله نسم بنيه عام مخصوص أو عام أريد به الخصوص ، قال : وظهر احتمال آخر ، وهو أن يكون المراد بها من خرجت

---

(١) غافر : ٤٦

من أجسادها حين خروجها ، لأنها غير مستقرة ، ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو فى سماء الدنيا أن تفتح لها أبواب السماء أو تحلها لأنها تعرض عليه ويكشف له عنها على بُعد ، ثم قال : ويحتمل أن تكون مُثِّلَتْ له حالتهم فى الآخرة . اهـ فيكون المرئى إنما هو أمثلتها لاذواتها ، قال الحلبى : هذا الاحتمال هو الظاهر ويندفع به جميع ماتقدم .

حشر المرسلين والأنبياء للصلاة

جاء فى قصة المعراج أن الله حشر جميع الأنبياء والمرسلين لنبينا ﷺ ، وظاهره حشر الأجساد بالأرواح وصلى بهم ، وهو الأقرب ، ويؤيده حديث (وبعث الله تعالى آدم فمن دونه من الأنبياء) وحديث البزار والطبرانى (فنشر لي الأنبياء من سمَّى الله تعالى ومن لم يسمّ فصلّيت بهم) ويحتمل أنها كانت للأرواح خاصة ، وأنها تشكلت بصورة الأجساد فى علم الله تعالى ، ويؤيده حديث أبى هريرة رضى الله عنه «فلقي أرواح الأنبياء» .

وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم وأنها تشكلت بصورة أجسادهم ، إلا عيسى عليه الصلاة والسلام ، لما تواتر أنه رفع بجسده ولما صح من رفع إدريس أيضاً ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تشريفاً له وتكريما .

إمامته ﷺ للأنبياء فى الصلاة

قال الشيخ الدردير نقلاً عن النجم الغيطى : تضافرت الروايات أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء فى بيت المقدس قبل عروجه ، وهو أحد احتمالين للقاضى عياض ، وقال الحافظ ابن حجر : إنه الأظهر ، والاحتمال الثانى : أنه صلى بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضا ، وصححه الحافظ ابن كثير ، وقال بعضهم : وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم مرتين فإن بعض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد المعراج ، وهذه الصلاة التى صلاها النبى ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الصوابُ أنها المعروفة ذات الركوع والسجود ، لأن النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ، إلا إذا تعذر حمله على الشرعية ، ولم يتعذر هنا ، فوجب حَمله على الشرعية ، ويؤيده مافى القصة : فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين ، والظاهر أنها كانت فريضة ، وأيده بعضهم بقوله فى بعض طريق القصة : ثم أقيمت الصلاة فأمهم ، وفى رواية : فأذّن جبريل ، والأذان والإقامة يؤذنان بأنها فريضة ، ولا يشكل على هذا أن بدأ الأذان إنما كان بعد الهجرة لأنه لامانع من وقوعه ليلة الإسراء قبل مشروعية الصلوات الخمس ، ثم قال : والذى يظهر ـ والله أعلم ـ أنها كانت من النفل المطلق أو كانت مفروضة عليه قبل ليلة الإسراء ، وفى فتاوى النووى مايؤيد الثانى ، وهل قرأ فيهما بأم القرآن بمقتضى قوله لاتجزئ صلاة لايقرأ فيهما بأم القرآن ، أو كان ذلك قبل مشروعية هذا الحكم؟ محل نظر . وقال

بعضهم : لم يرد فى تعيين القراءة فى تلك الصلاة فيما وقفتُ عليه خبرٌ صحيح أو حسن يعتمد عليه، وفوق كل ذى علم عليم، قلت: وهو الصواب .

إشكال وجوابه:

فإن قيل : كيف أمّ النبى ﷺ الأنبياء عليهم السلام فى بيت المقدس وسلَّم عليهم وعرفهم ، ثم رآهم تلك الليلة فى السموات وسأل عنهم جبريل ، فإنه لو رآهم وعرفهم لما احتاج إلى سؤال جبريل عنهم؟ .

والجواب : أنه صلى الله عليه وسلم لما اجتمع بهم ببيت المقدس وأمهم على الهيئة البشرية تحقَّق وجودهم فى الأرض ، ثم لما وصل إلى الملكوت العلوى لم يجدهم على تلك الحالة التى شاهدهم عليها فى الأرض، وإنما هم على صفاتٍ روحانية شكّل الله لهم أشكالاً لائقة بالملكوت العلوى ، تكريما له ﷺ وتعظيماً للقدرة الإلهية ، حيث شاهدهم تلك الساعة فى الأرض ، ثم رآهم فى منازلهم فى السماء ، فلذلك سأل عنهم استثباتاً لاتعجباً فإنه ﷺ يعلم أن الله تعالى الذى أصعده إلى هذا المكان فى لحظةٍ قادرٌ على نقلهم إلى السموات فى أسرع من طرفة عينٍ ، سبحانه وتعالى .

وقد استشكل رؤية الأنبياء صلوات الله عليهم مع أن أجسادهم مستقرّة فى قبورهم .

وأجيب : بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبى ﷺ تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً ، ويؤيده حديث عبد الرحمن

ابن هاشم عند البيهقى وغيره ، وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء .

وقال ابن أبي جمرة : رؤيته لهؤلاء الأنبياء صلى الله وسلم عليه وعليهم تحتمل وجوهاً :

(الأول) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين كل واحد منهم فى قبره فى الأرض على الصورة التى أخبر بها من الموضع الذى عاينه فيه ، فيكون الله تعالى قد أعطاه من القوة فى البصر والبصيرة ما أدرك ذلك ، يشهد لهذا الوجه قوله عليه الصلاة والسلام (رأيت الجنة والنار فى عُرض هذا الحائط) ، فيحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم رآهم من ذلك الموضع كما يقال : رأيت الهلال من منزلى من الطاق .

(الوجه الثانى) أن يكون ﷺ مُثّلت له صورهم .

(الوجه الثالث) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هناك فى صورهم .

(الوجه الرابع) : أن يكون الله عز وجل لما أراد أن يرفعه صلى الله عليه وسلم رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه ﷺ وتعظيماً حتى يحصل له من قبلهم ما أشار إليه من الأنس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر إليه ولا نعلمه نحن ، وإظهاراً له عليه الصلاة والسلام للقدرة التى لايغلبها شئ ولا تعجز عن شئ .

وكلّ هذه الأوجه محتملة ولا ترجيح لأحدها على الآخر ، لأن القدرة صالحة لكلها .

خطب الأنبياء فى ليلة الإسراء والمعراج

جاء فى رواية أبى هريرة التى رواها ابن جرير وابن أبى حاتم والبزار وأبو يعلي والبيهقى : أن الأنبياء لما اجتمعوا بالنبى ﷺ خطبوا فى تلك الليلة، فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى مُلكاً عظيماً . وجعلنى أمةً قانتاً لله يؤتم بى ، وأنقذنى من النار وجعلها علىّ بردا وسلاما، قال : ثم إن موسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد الذى كلمنى تكليما واصطفانى برسالته وكلماته وقرَّبنى إليه نجياً . وأنزل علىَّ التوراة وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمتى قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما، . وعلّمنى الزبور ، وألان ليَ الحديد ، وسخر لى الريح والجبال يسبّحْن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح والجن والإنس، وسخر لي الشياطين يعملون ماشئتُ من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلّمنى منطق الطير وكل شئ ، وأسَالَ لى عَيْنَ القطْر ، وأعطانى ملكاً عظيما لاينبغى لأحد من بعدى ، وآتانى من كل شئ فضَلا ، وسخَّر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وجعل ملكى ملكاً طياً ليس فيه حساب . ثم إن عيسى أَثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلُق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ،

وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذنه ، ورفعنى وطهَّرنى من الذين كفروا ، وأعاذنى وأُمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل . ثم إن محمدا ﷺ أثنى على ربه ، فقال : كلكم أثنى على ربه ، وإنى مُثْنٍ على ربى ، فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علّي الفرقان فيه تبيانٌ لكل شئ ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى أمةً وسطاً ، وجعل أمتى هم الأولين والآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عني وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحاً وخاتماً ، فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد[1] .

استفتاح جبريل أبواب السماء :

أما استفتاح جبريل باب السماء فيحتمل أن يكون بقرع أو صوت . قال الحافظ ابن حجر : والأشبه الأول لأن صوته معروف . قال الحافظ الشامى : فى حديث ثابت البنانى عن أنس : فقرع الباب .

وقال ابن دحية : فى استفتاح جبريل لأبواب السماء دليلٌ على أنه صادف أبوابها مغلقة ، وإنما لم تهيَّأ للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالفتح قبل مجيئه وإن كان أبلغ فى الإكرام ، لأنه لو رآها مفتَّحة لظن أنها لاتزال كذلك ففُعل ذلك ليعلم أن ذلك فعل من أجله وأنّ الله تعالى أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات . وقول أمين الوحى لما قيل له : من هذا؟ جبريل ، سمّى نفسه لئلا يلتبس بغيره ولايحتاج إلى معرف للمراجعة فى أمره فإنه معهود عندهم نزوله وصعوده ولذلك قدّم اسمه لأنه الرسول لإحضار النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) ١ ـ دلائل النبوة للبيهقى ص ٣٩٧ . و الخصائص الكبرى للسيوطى ص ٤٢٩ .

مسألة السؤال عن الإرسال

جاء في أحاديث المعراج سؤال خازن السماء لجبريل لما استفتح السماء عن النبي ﷺ بقوله (وقد بعث إليه) وهذا أراد به الاستفهام ، فحذف الهمزة للعلم بها . قال العلماء : ليس هذا الاستفهام عن البعث الذي هو الرسالة لأنه كان مشهوراً في الملكوت الأعلى بل البعث للمعراج ، وقيل بل سألوا تعجبا من نعمة الله تعالى عليه بذلك أو استبشارا به ، وإن جبريل لايصعد بمن لا يرسل إليه ، وقول الخازن (من معك) يشعر بأنهم أحسوا معه برفيق وإلاّ لكان السؤال : أمعك أحد؟ وذلك الإحساس إمّا بمشاهدة لكون السماء شفافة ، وإمّا لأمر معنوي كزيادة أنوار ، ولزم من البعث إليهﷺ الإذن في إزالة الموانع وفتح أبواب السماء ، ولم يتوقف الخازن على أن يوحى إليه بالفتح لأنه لزم عنده من البعث الإذن ، وفي قول الخازن (مرحبا به) . . . الخ مايدل على أن الحاشية إذا فهموا من سيدهم عزماً لإكرام واحد أن يبشروه بذلك وإن لم يأذن لهم فيه ، ولايكون في ذلك إفشاء للسرّ لأن الخازن أعلم النبيﷺ حال استدعائه أنه استدعاء إكرام وإعظام فعجّل بالبشرى .

مرحبا بالابن الصّالح والنّبي الصالح :

هذا قول آدم عليه الصلاة والسلام لسيدنا محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وهو ثناء جميل جليل للنبّى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ووصفه بالصّلاح مكرّرا مع البنوّة والنبوّة أى صالح فى المعنيين جميعاً ، وفيه تنويه

بفضل الصّلاح وعلوّ منزلته ولهذا وصف به النّبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم. قال بعضهم: وصلاح الأنبياء صلاح خاص لا يتناول عموم الصّالحين، واحتج على ذلك بأنه قد تمنّى كثير من الأنبياء أن يلحق بالصّالحين من الأمم، وبهذا تحقّق أن الصلاح المضاف إلى الأنبياء غير الصلاح المضاف إلى الأمم، فصلاح الأنبياء صلاح كامل لأنهم يزول بهم كل فساد، فلهم كل صلاح ومن دونهم الأمثل فالأمثل، فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر مازال به أو منه من الفساد، واقتصر الأنبياء صلوات اللّه عليهم على وصفه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بالصلاح وتواردوا عليه، لأن الصلاح يشمل خلال الخير وكذلك كرّره كلّ منهم عند وصفه به. والصّالح هو الّذى يقوم بما يلزمه من حقوق اللّه تعالى وحقوق العباد، فمن ثمّ كانت كلمةً جامعةً مانعةً شاملة لسائر الخلال المحمودة، ولم يقل أحد منهم مرحبا بالنبّى الصادق ولا بالنبّى الأمين لما ذكرنا من أن الصّلاح شامل لسائر أنواع الخير.

بكاء موسى عليه السلام:

جاء فى قصة المعراج أن موسى بكى لما ذكر منقبة كثرة أمة سيدنا محمد ﷺ. قال العلماء: لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً للنبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، معاذ اللّه، فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه اللّه تعالى؟ بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ماوقع من أمته من كثرة المخالفة

المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره ، لأن لكلّ نبي مثل أجر من تبعه ، ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتّبع نبينا صلّى اللّه عليه وآله وسلّم مع طول مدّتهم بالنسبة إلى مدة هذه الأمة .

وقال ابن أبي جمرة : الأنبياء صلّى اللّه عليهم وسلّم جعل اللّه تعالى في قلوبهم الرحمة والرأفة لأممهم ، وقد بكى النبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فسئل عن بكائه؟ فقال: (هذه رحمة وإنّما يرحم اللّه من عباده الرّحماء) والأنبياء قد أخذوا من رحمة اللّه عزّ وجلّ أوْفر نصيب ، فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد اللّه أكثر من غيرهم ، فلأجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى إذ ذاك رحمة منه لأمته ، لأن هذا وقت إفضال وجود وكرم فرجا أن يحصل له القبول والإفضال فيرحم اللّه تعالى أمته ببركة هذه الساعة ، وهذا وقت يرجى فيه العطف والإحسان من اللّه تعالى لأنه وقت أُسري فيه بالحبيب ليخلع عليه خلعة القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل أنْ يلحق لأُمته نصيبًا من ذلك الخير العظيم ، ووجه آخر وهو البشارة للنّبى صلّى اللّه عليه واله وسلم وإدخال السرور عليه ، يشهد لذلك بكاؤه حين ولّى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وقبل أن يبعد عنه لكى يسمعه ، لأنه لو كان البكاء خاصاً بموسى لم يكن ليبكي حتى يبعد عنه النّبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فلا يسمعه لأن بكاءه والنّبى صلّى اللّه عليه وسلّم يسمع فيه شيء من التهوين عليه ، فلما أن كان المراد بذلك مايتضمّن البشارة له صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بسبب البكاء بكى والنبى صلّى اللّه عليه وآله

وسلّم يسمعه والبشارة التى تضمنّها البكاء هي قول موسى عليه السلام الذى هو أكثر الأنبياء أتباعا ، إن الذى يدخل الجنة من أمّة محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هو أكثر ممن يدخلها من أمة موسى عليه السلام .

وقد وقع من موسى العناية بهذه الأمة فى أمر الصلاة مالم يقع من غيره، ووقعت الإشارة بذلك فى حديث أبى هريرة مرفوعاً : (كان موسى أشدهم عليّ حين مررت به وخيرهم حين رجعت إليه) .

وفى حديث أبى سعيد : (فأقبلت راجعاً فمررت بموسى ، قال صلى الله عليه وآله وسلّم : ونعم الصّاحب كان لكم) .

قول موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه غلام:

وينبغي أن يعلم أن قول موسى عليه السلام عن نبينا (غلام) ليس على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة اللّه تعالى وعظيم كرمه أن أعطاه ﷺ في ذلك السن مالم يعط أحداً قبله ممن هو أسن منه .

وقال الخطابي : العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاما مادامت فيه بقية من القوة .

وقال أيضا ابن أبي جمرة : العرب إنما يطلقون على المرء غلاماً إذا كان سيدا فيهم ، فلأجل مافي هذا اللفظ من الاختصار على غيره من الألفاظ بالأفضلية ذكره موسى عليه السلام ولم يذكر غيره ، تعظيماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال الحافظ ابن حجر : ويظهر أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم اللّه به على نبينا ﷺ من استمرار القوة فى الكهولة ، إلى أنه دخل في سن الشيخوخة ولم يدخل فى بدنه هرم ولاعَرَا قوته نقص ، حتى إن الناس لما رأوه صلى الله عليه وسلم مردفا لأبي بكر عند قدومه المدينة أطلقوا عليه اسم شابّ ، وعلى أبي بكر اسم شيخ مع كونه صلى الله عليه وسلم فى العمر أسنّ من أبي بكر .

لقاؤه الأنبياء وأسرَاره:

قال الحافظ الشامى فى كتابه «الآيات العظيمة الباهرة» :

اختلف طوائف المتكلمين على حديث الإسراء فى ذكر من ذكر من الأنبياء وترتيبهم فى السموات ، فمنهم من لم يَرَ الكلام على سر ذلك أصلاً ومنهم من تكلم فيه ، ثم اختلف هؤلاء :

فمنهم من قال : إنما اختص من اختص بلقاء الرسول ﷺ على عرف الناس إذا تلقوا الغائب مبتدرين للقائه ، فلابد غالباً أن يسبق بعضهم بعضاً ، ويصادف بعضهم اللقاء ولايصادفه بعضهم . وهذه طريقة شارح البخاري ابن بطال ، ولكن رده السهيلى ، قلت : وصوَّبه ذلك الحافظ الشامى .

وذهب غير ابن بطال إلى أن ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، وتمثيل لما سيتفق للرسول ﷺ مما اتفق لهم ، مما قصه الله عنهم فى كتابه . قال هذا القائل : وذلك يرجع إلى فن التعبير ، فمن رآى فى منامه نبياً من الأنبياء عليهم السلام كان ذلك دليلاً على حالة عرفت

لهذا النبى ، ينال الرائى منها طرف هو وأهل زمانه . . قال :

فآدم عليه السلام تنبيه على الهجرة ، لأن آدم خرج من الجنة بعداوة إبليس له ، واجتهاده فى ذلك . فنظيره خروج الرسول ﷺ من مكة بأذى قومه له وللمسلمين .

وعيسى ويحيى دليل على ما سيلقاه الرسول ﷺ من أذى اليهود ولأنهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى ، وكذلك فعلت اليهود برسول الله ﷺ ، إذ أرادوا قتله حتى سَموا الشاة وأكل منها ، وأخبرته بأنها مسمومة وأقرت المرأة التى سمتها بذلك .

ويوسف دليل على ظفره بقومه وإحسانه إليهم ، وقد ظفر ﷺ بطائفة من قومه فى غزوة بدر ، كعمه العباس وابن عمه عقيل وذلك قبل أن يسلما ، فعفا عنهما وفداهما ، وقال يوم فتح مكة لما عفا عن قريش : أقول كما قال أخى يوسف : ﴿ لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾(١) .

وهارون دليل على أن قومه سيحبونه ، وتنقلب بغضاؤهم له وُداً ، وكذلك صنع الله لنبيه عليه السلام ، وكان هارون محببا إلى قومه ويؤثرونه على موسى .

وإدريس دليل على ما اتفق من كتب رسول الله ﷺ إلى الآفاق ، وقد كان إدريس يخط ، وهو أول من كتب بالقلم .

---

(١) يوسف : ٩٢

ونظير حال موسى فيما آل إليه أمره من لقاء الجبابرة وإخراجهم من الأرض المقدسة هو حال رسول الله ﷺ فى مكة ، وقهره للمستهزئين المتكبرين من قريش .

ويظهر حال إبراهيم من استناده إلى البيت المعمور بحال رسول الله ﷺ فى مكة ، فى حجه البيت ، واختتام عمره بذلك ، وبه يظهر معنى لقائه لإبراهيم عليه السلام فى آخر السموات ، والله أعلم .

قال أبو الخطاب : لا بأس بما ذكره هذا الإمام فى هذا الفعل لكن يحتاج إلى تنبيهات ، منها :

الأول : إجراؤه لهذا التعبير ، فإنه يؤخذ منه أن الإسراء كان مناما ، وقد صححنا أنه كان يقظة . والذي يرفع الإشكال - إن شاء الله - أن الفأل فى اليقظة نظير الأحلام فى المنام ، فيكون تفسير الفأل الحسن بيان مايدل عليه يقظة ، كتعبير المنام بما يدل عليه مناما ، فعلى هذا يصح كلامه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن .

والثاني : أن هذا الإمام قطع الكلام قبل تمامه ، إما لأنه تعذر عليه التقاط المناسبة ، وإما لأن الفكرة انقطعت دون ذلك ، فإن المستوى والرفرف مما لا يحتمل الإشارة .

ثم قال أبو الخطاب :

مقام آدم مقام التهنئة والنشأة وعمارة الدنيا بأولاده ، وكذلك كان مقامه ﷺ أول سنة من الهجرة ، مقام تنشئة الإسلام ، وتربية أهله ، واتخاذ

الأنصار لعمارة الأرض كلها بهذا الدين الذى أظهره الله تعالى على الدين كله ، وزوى الله الأرض كلها لنبيه حتى أراه مشارقها ومغاربها ، فكما رأى آدم فى السماء الأولى ، كان له ﷺ ذلك فى السنة الأولى من الهجرة .

وأعوام الهجرة بجملتها مطابقة للمعاريج العشرة التى كانت ليلة الإسراء ، ومقابلة لها بالمثل ، ومنها سبعة معاريج إلى السموات السبع ، والثامن إلى سدرة المنتهى ، والتاسع إلى المستوى الذى سمع منه صريف الأقلام بتصاريف الأقدار ، والعاشر إلى الرفرف والرؤية وسماع الخطاب ، ولهذا ختمت أعوام الهجرة بالوفاة ، وهى لقاء الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الإسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس .

ثم كانت حال عيسى عليه السلام ومقامه فى السماء الثانية معالجة بنى إسرائيل ، والصبر على معاداتهم وحيلهم ومكرهم ، وطلب عيسى عليه السلام الانتصار عليهم ، قال تعالى : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾(١) .

فهذه كانت حال النبى ﷺ فى السنة الثانية من الهجرة ، ففيها طلب الأنصار من الأوس والخزرج للخروج إلى بدر ، فأجابوا ونصروا ، وكان أول نصر فى الإسلام وأجله ، وبه تحقق للأنصار وصف النصر . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ﴾(٢) .

---

(١) آل عمران : ٥٢ (٢) الصف : ١٤

وأما مناسبة لقائه ليوسف عليه السلام فى السماء الثالثة من سنيّ الهجرة ، فلأنه اتفق فيه غزوة أحد ، وكانت على المسلمين نازلة مابعدها نازلة ولا قبلها كما حدث ليوسف من السجن ، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾[1] فكانت أسفاً وحزناً . ويقول أهل التعبير : من رأى أحداً اسمه يوسف آذن ذلك من حيث الاشتقاق ومن حيث قصة يوسف بأسف يناله الرائى .

ووجه إحراز النبى ﷺ لخصائص إدريس عليه السلام أنه أول من كتب بالقلم ، ووضع المقاييس والموازين . قال الأئمة : وقد كتب النبى ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، واتخذ الكاتب والخاتم ، حتى قال أبو سفيان لما أقرأهم هرقل كتابه ﷺ : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كبشة إنه ليخافه ملك بنى الأصفر ، فلعل ذلك صادف السنة الرابعة من الهجرة مطابقا للقائه إدريس فى السماء الرابعة .

وأما مناسبة لقائه لهارون فى السماء الخامسة فهو ما نال هارون من بنى إسرائيل من الأذى ، ثم الانتصار عليهم والإيقاع بهم ، وذلك أن هارون عندما تركه موسى فيهم وذهب لميقات ربه ، تفرقوا عليه وتحزبوا ضده وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الوعد واستضعفوا جانبه ، ثم عبدوا العجل ، فلم يقبل الله منهم التوبة إلا بالقتل ، فكان نظير ذلك فى

(١) آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٠

حقه عليه الصلاة والسلام مالقيه فى السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع ، فإنهم نقضوا العهد وحزبوا الأحزاب وجمعوها وداروا حول قتله حين ذهب إليهم قبل الوقعة بيسير يستعين بهم على دية قتيلين فى طائفة من أصحابه ، فأظهروا له الوُدّ وأجلسوه تحت جدار ، وقال قائلهم : حباً وكرامة يا أبا القاسم ، اجلس هنا حتى نفعل ما أمرت ، ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحًى ليقتلوه ، فأخبره جبريل بالمكروه الذى هموا به فانصرف ﷺ وحده عائدا إلى المدينة ، ورد الله كيدهم ، ثم حاصر النبى ﷺ اليهود ، وقتلهم بحكم سعد بن معاذ .

ونظير استضعافهم لهارون استضعاف اليهود له ﷺ فى قصة الأحزاب ، حتى قال قائلهم : أيخاف على نفسه وعلى أصحابه ، حتى لايستطيع أحدهم أن يخرج إلى الغائط ، ويعدهم بملك كسرى وقيصر .

وأما مناسبة لقائه لموسى فى السماء السادسة ، فإن موسى عليه السلام ابتُلي من بنى إسرائيل ومعالجتهم ، والصبر على عنادهم وطغيانهم وسوء أدبهم ، وكان الذى عالجه النبى ﷺ فى السنة السادسة لم يعالج قبله ولابعده مثله ، ففيها فتح خيبر وفدك[1] وجميع حصون اليهود ، وكتب الله عليهم الجلاء ، وضربهم بسوط البلاء ، وعالج النبي ﷺ فى هذه السنة كما عالج موسى من قومه ، فموسى آثر أن يقيم شريعة الله فى الأرض المقدسة

---

(١) خيبر مدينة عامرة معروفة ، وهي تبعد عن المدينة (١٨٠) كيلو من جهة الشام .
وفَدَك بالتحريك ، قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة .

وحمل قومه على ذلك ، فتقاعدوا عنه وقالوا : ﴿إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ﴾[1] وقالوا : ﴿إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها﴾[2] ولم يدخل موسى الأرض المقدسة ، وإنما تاهوا فى التيه[3] وكذلك آثر محمد ﷺ أن يقيم الشريعة فى الأرض المقدسة حيث عزم على أن يدخل مكة ليقيم بها سُنَّة إبراهيم وليجدد العهد بالبيت والحرم ، وأحرم بالعمرة فَصَدَّه قومه ولم يدخلها ، وكان لقاؤه بموسى على التأسى مع حسن العاقبة وحميد الأثر فى السنة القابلة .

وأما مناسبة لقائه لإبراهيم فى السماء السابعة ، فقد وقع له عليه السلام مايناسب ذلك فى السنة السابعة ، فقد اعتمر عمرة القضاء فى السنة السابعة ، ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محيين لسنة إبراهيم فى العمرة ، ومقيمين لرسمه التى كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ، وجدد المناسك التى أراد الله لإبراهيم وإسماعيل[4] .

قال أبو إسحاق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى فى "السراج الوهاج" : قال صاحب "فتح الصفا" : ووجه مناسبة المعراج الثامن إلى سدرة المنتهى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة من فتح مكة أم القرى وإليها المنتهى على ما ورد من أن الأرض دحيت من مكة فلذلك سميت

---

(١) المائدة : ٢٢

(٢) المائدة : ٢٤

(٣) وهو المذكور فى قوله تعالى عن بنى إسرائيل ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ﴾ فلذلك سميت تلك الأرض بالتيه .

(٤) اهـ . . . من الآيات العظيمة الباهرة للشامى .

«أم القرى» ، أو هى أم القرى لأن أهل القرى يرجعون إليها فى الدين والدنيا حجاً واعتماراً وجوارا وكسبا واتجارا ، قال تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾[1] أى : تقوم بأبدانهم وأديانهم .

وسدرة المنتهى ينتهى إليها علم الخلائق ، فكان بلوغه سدرة المنتهى تنبيها على بلاغه إلى فتح مكة ، وسميت السدرة سدرة لأنها ينتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من السماء ، وأما مناسبة المعراج التاسع إلى المستوى المصعد أو المكان الواسع وهو الذى سمع فيه صريف الأقلام بتصريف الأقدار . فالحكمة فى سماعه ﷺ صريف الأقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما فى القدر ، حتى يتمكن من التفويض للقدر لا للسبب ، وحتى يتعاطى السبب تعبداً وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الأسباب .

وفى السنة التاسعة من الهجرة وقعت غزوة تبوك وفيها خرج النبى ﷺ من المدينة إلى الشام ، والشقة بعيدة والمشقة شديدة ، ولم يعلم الناس بوجههم ، ومع هذا لم يلق النبى ﷺ حربا ولا فتح بلداً ، فانتسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ، فرجع بأصحابه إلى المدينة من غير اضطراب ، فهذه مناسبة هذا المعراج .

وما جاء فى المعراج من كلامه ﷺ للأنبياء يدعو إلى الكلام عن الأرواح وهل يتخاطب الأحياء مع الأموات ، وهل يتخاطب الموتى بعضهم

(١) المائدة : ٩٧

مع بعض؟ .

أما أرواح الموتى فهى قسمان : أرواح معذبة ، وأرواح منعمة ، فالمعذبة فى شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح معها رفيقها الذى هو على مثل عملها ، وروح نبينا ﷺ فى الرفيق الأعلى . قال الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾[1] .

وهذه المنَّة ثابتة فى الدنيا ودار البرزخ وفى دار الجزاء ، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة .

وفى حديث عبد الله بن مسعود فى قصة الإسراء قال : « لما أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها » . . . الحديث ، وهو دليل على تلاقيهم من حيث أنهم أحياء عند ربهم وأحياء فهم يتلاقون[2] .

سدرة المنتهى :

اعلم أن سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وفى رواية : أنها فى السماء السادسة ، وجمع بينهما بأن أصلها فى السادسة وأغصانها وفروعها فى

---

(١) النساء : ٦٩

(٢) السراج الوهاج فى حقائق الإسراء والمعراج لأبى اسحاق محمد بن ابراهيم النعمانى الشافعى . ص : ٥٢ ـ ٥٩ .

السابعة ، وأما القول بأن أصلها في الأرض فلا يلتفت إليه ، وهل أصلها معلق فى الهواء أو مغروس فى تراب أو فى حرم السماء ، احتمالات ، أظهرها آخرها ، بل هو لا ينافى ماقبله .

فغاية ارتفاعه إلى مقابلة فروع سدرة المنتهى ، إذ غصونها فى الكرسى ، والسدر شجر النبق ، واحده سدرة ، وقيل لها المنتهى لأنها ينتهي إليها مايهبط من فوقها أى من التقادير فيقبض منها ، وإليها ينتهي مايعرج من الأرض أى من أعمال العباد ومايقع فيها ، وقيل غير ذلك . قال ابن دحية : اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاث أوصاف : ظل ممدود ، وطعم لذيذ ، ورائحة ذكية . فكانت بمنزلة الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية . فالظل بمنزلة العمل ، والطعم بمنزلة النية ، والرائحة بمنزلة القول . وقد وقع فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند مسلم : أنّ السدرة فى السماء السادسة ، وظاهر حديث أنس : أنها فى السابعة . قال القرطبى : وهو تعارض لاشك فيه ، وحديث أنس هو قول الأكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهي إليها علم كل نبى مرسل أو ملك مقرب ، ويترجّح أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف . قال الحافظ ابن حجر : ولم يعرج القرطبى على الجمع بل جزم بالتعارض ، ولا تعارض لأنه يحمل على أن أصلها فى السادسة وأغصانها وفروعها فى السماء السابعة . وقد تقدم ذكر ذلك فى أثناء الكلام على تفسير الآية فى أول الكتاب .

دخول النبى صلى الله عليه وسلم الجنة :

قال ابن دحية : فى عرض الجنة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كرامةٌ عظيمة لأنه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها ، كما قال عن ربه تبارك وتعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[(١)] . فأراد الله تعالى أن يعاين النبى ﷺ مايعرضه على أُمّته ليكون وصفه إياها عن مشاهدة ، ولأنه ﷺ كان يدعو الناس إلى الجنة وهى الدار التى هيأها الله لضيافة عباده المؤمنين ، وبعث النبى ﷺ داعيا إليها فأراد الله تعالى أن يريه الدار وكثرة ما أعد فيها من النعم والكرامة لئلا يضن بالدعوة إليها ، وليعلم أنها تسع الخلائق كلهم ولا تمتلئ حتى ينشأ الله تعالى خلقا كما ثبت فى الحديث .

عرض النار عليه صلى الله عليه وسلم :

قال ابن دحية : إنما عرضت عليه صلى الله عليه وآله وسلم النار ليكون آمنا يوم القيامة إذا قال سائر الأنبياء : نفسى نفسى ، فنبيُّنا يقول : أمتى أمتى ، وذلك حين تسجر جهنم ، ولذلك أمَّن الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقال عز من قائل : ﴿يوم لا يخزى الله النبي﴾[(٢)] والحكمة فى ذلك أن يفزع إلى شفاعة أمته صلى الله عليه وآله وسلم ولو لم يؤمنه

---

(١) التوبة : ١١١ (٢) التحريم : ٨

لكان مشغولا بنفسه كغيره من الأنبياء ، لأنهم لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً أمّا هو ﷺ فقد رآها قبل ذلك فلا يفزع منها ويقدر على الخطبة ، وهو المقام المحمود لأن الكفار لما كانوا يكذبونه ويستهزؤن به ويؤذونه أشدّ الأذى أراه الله سبحانه وتعالى النار التي أعدها للمستخفين به تطييباً لقلبه وتسكينا لفؤاده ، وللإشارة إلى أن من طيّب قلبه بإهانة أعدائه والانتقام منهم فأولى أن يطيّبه في أوليائه بالشفاعة والإكرام ، وليعلم منّة الله عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم .

مالك خـــازن النــار

جاء في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى مالكا خازن النار فبدأ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام ، قال السهيلي : لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر اليه . قال الطيبي : إنما يدأ مالكٌ بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداءً ، كما سبق اهـ .

وقد وقع في رواية : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأ مالكا بالسلام ، لكن الرواية الأولى أصح إسناداً من هذه ، ويحتمل أن يقال لورود هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه أكثر من مرة ، ففي الأولى بدأ مالكٌ النبي ﷺ ، وفي الثانية بدأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام .

البيت المعمور :

قال أبو عبيدة : معنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى الضُّراح - بضم الضاد المعجمة - ويقال المهملة . قال الزمخشري في " ربيع الأبرار " : وهو أي الصراح غلط وبالضُّراح تسميه الملائكة ، وسمي به لأنه ضرح عن الأرض أي بعد ، قال مجاهد : البيت المعمور وهو الضريح يعني بالمعجمة وهو في اللغة : البعيد ، وأكثر الروايات على أنه في السماء السابعة ، وروى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال : «البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» رواه الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أيضاً ، وروى إسحاق بن راهويه عن علي رضى الله عنه أنه سئل عن البيت المعمور قال : بيت الله فى السماء السابعة بحيال البيت ، وحرمته كحرمة هذا فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

وروى أبو الشيخ من طريق الليث قال : حدثنى خالد بن سعيد قال : بلغنى أن إسرافيل مؤذن أهل السماء يسمع تأذينه من فى السموات السبع ومن فى الأرض إلا الجن والإنس ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلى بهم . قال : وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور واستدل بهذه الأحاديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات ، لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفاً غير ماثبت فى هذه الأحاديث .

أنواع المعاريج:

يذكر العلماء فى هذه القصة أن أنواع المعاريج عشرة على عدد سنيّ الهجرة ، منها سبعة معاريج إلى السموات السبع ، والمعراج الثامن إلى سدرة المنتهى ، والمعراج التاسع الذى سمع فيه صريف الأقلام فى تصاريف الأقدار، والمعراج العاشر إلى الرفرف والرؤية .

ومحال أن يكون خالق الكل مفتقراً إلى بعض مخلوقاته ، فهو سبحانه لايحتاج إلى معراج أو دنو أو تدلى أو مقابلة ، وما ورد من الاستواء

والنزول وغير ذلك من الصفات التى يشكل إجراؤها على ظاهرها ، نؤمن به ونكل علم معناه إلى الله تعالى ، ولا نشبهه تعالى بخلقه ، ولا ننفى الصفات التى أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم دنا فتدلى :

اختلف العلماء فى المراد بمن هو الذى دنا فتدلى على أقوال :

الأول : وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبى ﷺ أى بعد مامدّ جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبى ﷺ . وقال القرطبى : أى دنا جبريل من النبى ﷺ بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى على النبى ﷺ ، والمعنى أنه لما رأى النبى ﷺ من عظمة جبريل مارأى وهاله ذلك ردهّ الله تعالى إلى صورة آدمى حتى قرب من النبى ﷺ بالوحي ، هذا قول الجمهور ، والدنو والتدلى بمعنى واحد وفيه أقوال أخرى .

ومعنى (فكان قاب قوسين) قال الإمام الرازى : فكان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين أو أقل ، وهذا على استعمال العرب وعادتهم فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما ، وجعل كل منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما ، لذلك تسمى مبايعة .

الثانى : أن المراد به النبي ﷺ أي دنا من ربه تبارك وتعالى والمراد

بالدنوّ هنا المنزلة كما جاء في الصحيح من قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل :
﴿ من تقرّب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ .
وهناك أقوال أخرى تركناها .

مستوى صريف الأقلام

جاء فى خبر المعراج أنه ﷺ وصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فمستوى - بفتح الواو والتنوين - موضع مشرف وهو المصعد ، وصريف الأقلام - بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء - قال النووى وغيره : هو صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله ووحيه وماينسخ من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره ، وفى ذلك حجة لأهل السنة فى الإيمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح المحفوظ بالأقلام التى هو يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات فى كتابه العزيز والأحاديث الصحيحة وما جاء من ذلك على ظاهره ، لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ومن أطلعه على شئ من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأول هذا أو يحيله إلا ضعيف النظر والإيمان ، إذ جاءت به الشريعة ، ودليل المعقول لايحيله ، والله تعالى يفعل مايشاء ، ويحكم مايريد ، حكمةً من الله تعالى وإظهاراً لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه وإلا فهو غنيٌ عن الكتب والاستذكار ، سبحانه وتعالى، قاله القاضى عياض . وقال ابن المنير : قد علم أن الأقلام إنما تكتب الأقدار، والمقدر المكتوب قديم ، وإنما الكتابة حادثة ، وجاءت الأخبار بأن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والأرض ، وإنما هذه الكتابة المجددة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الأصل ، وفيها المحو والإثبات على

ماورد فى الأثر ، وأصل اللوح المحفوظ الذى انتسخ منه هو علم الغيب القديم فى أزل القدم ، وهو الذى لا محو فيه ولا إثبات حيث لا لوح ولا قلم . قال القرطبى فى " المفهم " : ولعل الأقلام الموصوفة هنا هى المعبر عنها بالقلم المقسم به فى قوله تعالى ﴿ ن والقلم ﴾[1] ويكون القلم هنا للجنس .

(١) القلم : ١

رُؤيَة النّبىّ ﷺ الحقَّ سبحانه وتعالى

قال القاضى عياض رحمه الله : اختلف السلف والخلف ، هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء ، فأنكرته عائشة رضى الله عنها كما وقع فى صحيح مسلم ، وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة ، وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين . ورُوي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ رآه بعينه ، ومثله عن أبى ذر وكعب رضى الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك ، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل ، وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه رآه ، ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز .

ثم قال : وأما صاحب " التحرير " فإنه اختار إثبات الرؤية . قال : والحجج فى هذه المسألة وإن كانت كثيرة ولكنا لانتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ ؟! . وعن عكرمة سئل ابن عباس رضى الله عنهما : هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال : نعم ، وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : رأى محمد ﷺ ربه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه ، والأصل فى الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه فى المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضى الله عنهم فى هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه

رآه، ولايقدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبى ﷺ يقول: لم أر ربى، وإنما ذكرت ماذكرت متأولةً لقول الله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾[1]، ولقول الله تعالى ﴿لاتدركه الأبصار﴾[2]. والصحابى إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد. وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئا نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافى، هذا كلام صاحب "التحرير". فالحاصل أن الراجح عند أكثر جمهور علماء السنة أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وقالوا: وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لاينبغي أن يتشكك فيه، ثم إن عائشة رضى الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات، وسنوضح الجواب عنها. فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى ﴿لاتدركه الأبصار﴾ فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة، والله تعالى لايحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لاحاجة إليها مع ماذكرناه فإنه فى نهاية من الحسن مع اختصاره، وأما احتجاجها رضى الله عنها بقول الله تعالى

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾ . . . الآية . فالجواب عنه من أوجه: أحدها : أنه لايلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام . الثاني : أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة . الثالث: ماقاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة ، وهذا الذى قاله هذا القائل وإن كان محتملا ولكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الإلهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا . وأما قوله تعالى ﴿أو من وراء حجاب﴾ فقال الواحدى وغيره: معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لايرونه ، وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا من موضع ، ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة مايسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم . والله أعلم[1] .

الخلاصة:

والحاصل أن فى رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج ثلاثة مذاهب ، الأول: أنه لم يره ، وهو مذهب السيدة عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وجاء مثله عن أبى هريرة وإليه ذهب كثيرون من المحدثين والمتكلمين ، وبالغ الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى فنقل فيه الإجماع ، والثانى : أنه رآه ، وهو مذهب ابن عباس وعروة بن الزبير ، وهو المشهور عن الحسن وكعب الأحبار والزهرى ومعمر ، وبه قال أبو الحسن الأشعرى وغالب أتباعه ، ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ والقولان رُويا عن الإمام

(١) شرح مسلم للإمام النووى . الجزء الثالث (ص ٤ ـ ٦) .

أحمد ، وقال الإمام النووى : الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينيَ رأسه ليلة المعراج ، وبسط الكلام على ذلك واستدل بأشياء نوزع فى بعضها ، والثالث : ذهب جماعة إلى الوقف فى هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا إثبات لتعارض الأدلة ، ورجح ذلك الإمام أبو العباس القرطبى فى "المفهم" ، وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع .

حقيقة القول برؤيا العين:

هذا وينبغى أن يعلم أن الحق الذى عليه أهل الحق ممن قال برؤيا العين ليس المقصود منه كرؤيا العين الجارحة للمرئيات الذى يطلق عليه لفظ رؤيا والمتبادر فى الذهن عند الإطلاق بالمعنى الذى يفيد الإحاطة والنسبة والقرب والبعد ، فالله منزه عن ذلك كله عند الجميع ، وإنما المقصود رؤياً خاصة لايمكن أن تعقل ولا تكيف ولا تتصور ، وهذا الذى أشار إليه الحافظ ابن حجر فقال : إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن بقوله ﴿ماكذب الفؤاد مارأى﴾[1] ورؤية العين بقوله ﴿مازاغ البصر وماطغى﴾[2] .

المراد برؤية الفؤاد والوقف أسلم:

قال الحافظ ابن حجر : ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لامجرد حصول العلم ، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه

---

(١) النجم : ١١ (٢) النجم : ١٧

رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره . والرؤية لايشترط لها شئ مخصوص عقلاً ولوجرت العادة بخلقها فى العين ، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال : رأى محمد ربه وعند مسلم من حديث أبى ذر أنه سأل النبى ﷺ عن ذلك فقال : (نور أنى أراه) ، ولأحمد عنه قال : «رأيت نوراً» ، ولابن خزيمة عنه قال : (رآه بقلبه ولم يره بعينه) .

وبهذا يتبين مراد أبى ذر بذكره النور أى النور حال بين رؤيته له ببصره وقد رجح القرطبى فى «المفهم» قول الوقف فى هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، قال : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى ، وجنح ابن خزيمة فى «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات وأطنب فى الاستدلال له بما يطول ذكره ، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرةً بعينه ومرةً بقلبه ، وفيما أوردته من ذلك مقنع[1] .

الرؤية والدعاوى الكاذبة:

تقدم ذكر الخلاف الجارى بين العلماء فى مسألة رؤية الحق جل جلاله فى الدنيا مع كمال التنزيه ونفي المثلية له عز وجل ، ولكن لابد من التنبيه إلى

---

(١) فتح البارى ٨/ ٧٨٣

أنه مع القول بجوازها في الدنيا ، فإنها لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم على مافى ذلك من الخلاف ، ومن ادعاها غيره فى اليقظة فهو ضال ، بل قال الإمام الكواشى فى تفسير سورة النجم : ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد ﷺ غير مسلم .

وقال الأردبيلى فى "الأنوار" : فلو قال إنى أرى الله عياناً فى الدنيا ويكلمنى شفاها كفر .

ونقل عن المهدوى المفسر أنه كفّر مدّعى الرؤية هنا ، وقد نقل جماعة الإجماع على أنها لاتحصل للأولياء فى الدنيا .

قال الشيخان أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة : إنه لايصدق مدّعى الرؤية في الدنيا يقظة ، فإن شيئا منع منه كليم الله تعالى موسى ﷺ واختلف فى حصوله لنبينا ﷺ ، كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامهما مما لا يتوقف فيه أنه لايحصل لآحاد الناس؟! .

وقال الشيخ أبوبكر الكلاباذى فى "التعرف" : إن المشائخ أطبقوا على تضليل مدّعيها - يعنى الرؤية فى الدنيا - وتكذيبه ، وصنفوا فى ذلك كتبا ورسائل ، وزعموا أن من ادعى ذلك لم يعرف الله تعالى ، وأقره العلاء القونوى فى شرحه على ذلك وقال :

وإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تأويله ، وذلك لأن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد ، حتى إذا كثر اشتغال السر بشئ واستحضاره له يصير كأنه حاضر بين يديه ، وهذا معلوم لكل أحد .

رؤية العباد لله تعالى

جرى البحث فى رؤية النبى ﷺ للحق سبحانه وتعالى ليلة الإسراء والمعراج والاختلاف الواقع فى ذلك كما تقدم ، ويناسب أن نذكر هنا مسألة أخرى مهمة تتصل بذلك البحث اتصالا وثيقاً ألا وهى مسألة رؤية العباد لله تعالى .

قال الإمام شيخ الإسلام النووى : اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضا على وقوعها فى الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، وزعمت بعض الطوائف من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلا ، وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ ، وآيات القرآن فيها مشهورة ، واعتراضات المنكرين عليها لها أجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة ، وكذلك باقى أقوالهم وهى مستقصاة فى كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا ، وأما رؤية الله تعالى فى الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع فى الدنيا ، وحكى الإمام أبو القاسم القشيرى فى رسالته المعروفة عن الإمام أبى بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبى الحسن الأشعرى ، أحدهما

وقوعها ، والثانى لاتقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه ، ولايشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك ، لكن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك ، بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه لا فى جهة ، والله أعلم[1].

وقد كتب شيخ مشائخنا الإمام العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردى فى ذلك بحثًا ، فنقتطف منه هذه الخلاصة الوافية الشافية .

قال[2] : رؤية الله تعالى جائزة عقلا فى الدنيا والآخرة ، لأن البارى سبحانه وتعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فالبارى عز وجل يصح أن يرى لكن لم تقع فى الدنيا لغير نبينا ﷺ ، وواجبة شرعا فى الآخرة كما عليه أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فكقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾[3] فقد روي عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال : (للذين أحسنوا) العمل فى الدنيا (الحسنى) وهى الجنة (وزيادة) النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله) ، وقوله : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[4] وقوله : ﴿ لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾[5] قال علي بن أبى طالب

---

(١) شرح مسلم للإمام النووى الجزء الثالث صفحة (١٥ ـ ١٦) .

(٢) ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج للشيخ محمد أمين الكردى .

(٣) يونس : ٢٦ (٤) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣

(٥) ق : ٣٥

وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، فهذه الآيات منادية نداءً صريحاً أن الله تعالى يرى عيانا بالأبصار فى الآخرة ، وإذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى المرئى ، وأما السنة فكقوله ﷺ فيما روى البخارى وغيره : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) ، والتشبيه للرؤية فى عدم الشك والخفاء لا للمرئى ، وأما الإجماع فهو أن الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الآخرة .

قال سيدنا الإمام مالك رضى الله عنه : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه ، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الكافرين بالحجاب ، قال تعالى : ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(١)

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا ، ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه فى الميعاد لما عبده فى الدنيا ، وهذا من كلام المدلّلين ـ نفعنا الله بهم ـ وإلا فالله يستحق العبادة لذاته ، والرؤية متفاوتة على حسب أحوال العباد ، فالرؤية العامة تكون كل جمعة ، وبعض الخواص يراه كل يوم بكرة وعشية وبعضهم لايزال مستمراً فى الشهود .

قال أبو يزيد البسطامى : إن لله خواصًا من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار

---

(١) المطففين : ١٥

وعذابها ، ولكن يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان ، لأن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه لايشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى وإن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ، ولا يلزم من رؤيته إثبات جهة تحده وتحيط به ، بل يراه المؤمنون لافى جهة محدودة كما يعلمون أنه لا فى جهة محدودة محيطة به[1] .

والرؤية أيضا نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالعادة ، فجائزٌ أن يخلق الله تعالى هذا القدر بعينه من الإدراك بدون أن ينقص منه شيء من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلاً ، وكيف لا ، وهو واقع كما روي عنه ﷺ أنه قال : «سووا صفوفكم فإنى أراكم من وراء ظهرى» وكما يرانا الله تعالى من غير مقابلة ولا جهة بالاتفاق فكذلك نراه ، فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راءٍ ومرئى ، فكما لم تقتض عقلا كون أحدهما فى جهة لم تقتض كون الآخر فى جهة ، وكما أن العلم إدراك وهم يعلمونه لافى مكان ولا فى جهة ، فكذلك الرؤية نوع من الإدراك فهم يرونه كذلك ، والإدراك معنى يخلقه الله تعالى فى المدرك فإن خلقه فى جزء العين سمِي إبصاراً ، أو فى جزء القلب سمِي علما ، أو فى جزء الأذن سمّي سمعا ، أو فى اللسان سمّي ذوقاً ، أو فى الأنف سمّى شمّا ، أو فى جميع الجسد سمى لمسا ، واختصاص خلقه بهذه المحال إنما هو بمحض

---

(١) مع اعتقاد العلو المطلق لله تعالى المتعال والفوقية اللائقة به ونفى الحلول والاتحاد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

اختياره تعالى ، فلو اختار خلافه لكان كما اختاره تعالى ، واختصاص بعضها بكون المدرك في جهة وغير قريب جدا ولا بعيد جدا إنما هو بمحض اختياره تعالى ، ولو شاء لجعله يتعلق بالقريب جدا والبعيد جدا ، وبما ليس في جهة كتعلق العلم بها ، ومن قال إن الحق تعالى يدرك عقلاً ولا يدرك بصراً فجاهلٌ لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ماهي عليه كالمعتزلة ومن تبعهم .

ومن أقوى دليل على جهلهم سؤال موسى عليه السلام إياها بقوله ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾[1] فإنه يستحيل أن يخفى على نبي من أنبياء الله تعالى ، انتهى منصبه إلى أن يكلمه الله شفاها أن يجهل من صفات ذاته تعالى ماعرفه المعتزلة ، وهذا معلوم بالضرورة .

(١) الأعراف : ١٤٣

لاتدركه الأبصَار

وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾[1] فهو مردود بأن النفي فى الآية ليس عاماً ، فالسلب فيها من سلب العموم كما هو معلوم فى فن المعقول ، حيث وقع فيها المسند إليه وهو الأبصار جمعاً محلّى بالألف واللام فهو من صيغ العام ، والسلب إذا دخل على عام أفاد سلب عمومه لاعموم السلب لكل فرد من أفراده وهذا مطرد فى السالبة ، وقد يكون فى القضية الموجبة أيضاً ، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » ولاشك فى شمول لفظ الناس للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنهم غير مرادين لأنهم أنبه الناس وأيقظهم ، ويؤخذ من هذا الحديث أنهم إذا ماتوا عن حظوظهم الفانية واختياراتهم انكشفت لهم الأستار عن عالم الأنوار ، بل هذه الآية دليل لنا بطريق الإشعار حيث نفى الحق سبحانه وتعالى إدراك عموم الأبصار ، فاقتضى تخصيصه فى الدنيا بحبيبه المختار ، وفى الآخرة بالمؤمنين الأخيار ، ولئن سلم عموم النفى فهو مردود أيضا بأن الإدراك ليس مطلق الرؤية ، بل معنى لاتدركه الأبصار لاتحيط كما أن العقول لاتحيط به ، فالنصوص الدالة على نفى الرؤية مفيدة بنفى الإحاطة ، ولا يلزم منها نفى الرؤية بغير إحاطة معها ، فإذا علمت ذلك أن الله تعالى يرى من غير الكيفيات المعتبرة فى رؤية الأجسام ومن غير إحاطة ، بل يحار العبد فى العظمة والجلال حتى لايعرف اسمه ولا يشعر

---

(١) الأنعام : ١٠٣

من حوله من الخلائق فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل فى جنب عظمته تعالى ، لأن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائين من تمام لذتها . أذاقنا الله حلاوتها وكل من آمن بها .

الرؤيــة القلبيّة والمنـامية
للذّات العليَة والحضرة النّبويَة

أما رؤيته تعالى فى المنام فقد أجمع علماء التعبير على جوازها . قال أهل العلم : خير الرؤيا أن يرى العبد ربه فى منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمَيْن . وقال أبوهريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لم يبق من النبوة إلا المبَشرات ، قالوا وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة) رواه البخارى ، وقد رآه جماعة من العلماء الأعلام فنقل أن الإمام أبا حنيفة قال : رأيت ربى فى المنام تسعاً وتسعين مرة ، ثم رآه أخرى تمام المائة ، وقصتها طويلة لايسعها هذا المقام ، وروي عن الإمام أحمد أنه قال : (رأيت ربى فى المنام تسعا وتسعين مرة فأقسمت بعزته إن رأيته تمام المائة لأسألنه ، فرأيته فقلت : يارب بماذا يتقرب إليك المتقربون؟ قال : بتلاوة كلامى ، فقلت : يارب بفهم أو بغير فهم؟ قال : يا أحمد بفهم أو بغير فهم) . وروي عن أحمد بن حضرويه أنه قال : (رأيت رب العزة فى المنام فقال : يا أحمد ، كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى) ولا ينبغى لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى فى المنام لأنه لاشئ فى الأكوان أوسع من عالم المنام ، وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشئ ، ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلاً عن الممكن ، ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ، ويريك العلم لبنا والإسلام قبة والثبات فى الدين قيدا والدين قميصا ، لما روى أبو أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : قال رسول الله ﷺ : (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي

وعليهم قُمُص منها مايبلغ الثُدِيّ ، ومنها مايبلغ دون ذلك ، ومرّ عليَّ عمرُ ابن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا ما أولت يارسول الله؟ قال : الدين) رواه البخارى(١) ، فالدين لاشكل له ولا صورة ، ولكن جعل القميص له مثالا ، فعلم أنه لايلزم من كون الشئ لاصورة له أن لايرى فى صورة ، ألا ترى أن كثيرا من الأشياء التى لا أشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بأمثلة تناسبها كما يمثل القرآن باللؤلؤ والهدى بالنور والضلالة بالعمى ، ومن قال بمنع رؤيته تعالى فى المنام لكونه إذا رآه النائم يكون مصوراً لامحالة ، ولا صورة للرب ولا مثل ولا مثل لظنه أن المَثَل ـ بفتحتين ـ كالمِثْل ـ بكسر الميم وسكون المثلثة ـ فقد أخطأ ، فإن المِثْل ـ بالسكون ـ يستدعى المساواة فى جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ، ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه فى كل حال ، بخلاف المَثَل ـ بفتحتين ـ فإنه لايشترط فيه المساواة من كل وجه ، وإنما يستعمل فيما يشاركه لأدنى وصف ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾(٢) والحياة لاصورة لها ولاشكل ، والماء ذو شكل وصورة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾(٣) وغير ذلك ، فعلم أنه لامثل لله ولكن ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٤) فمن رآه على وجه لايستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى ، وإلا بأن كان بصورة رجل مثلاً ، فإن أمَرَ الرائى بما يخالف الشرع كأن قال له أسقطتُ عنك التكليف فهو الشيطان ، وإن لم يأمر بما يخالف الشرع فهو رسول من عند الله ، ويقال حينئذ أنه رأى ربه فى الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا : تدل على كذا وكذا ، وقيل

(١) صحيح البخارى كتاب التعبير باب القميص فى المنام ٨/ ٧٥ .
(٢) يونس : ٢٤ (٣) النور : ٣٥ (٤) الروم : ٢٧

هو الرب أيضا ، وكونه جسماً إنما هو باعتبار ذهن الرائى ، وأما فى الحقيقة فليس تعالى كذلك ، لأن النائم يرى فى النوم تصور المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ماليس من شأنه أن يكون جسدا ، فما ثم أوسع من الخيال إذا علمت ذلك تعلم أن الشيطان قد يتمثل بالمولى جل جلاله ، وأما النبى ﷺ فلا يتمثل به الشيطان ، والفرق أن الله ليس كمثله شيء فتمثلُ الشيطان به لايضر فى العقيدة ، وأما النبى ﷺ فإنه بشر فلو تمثل به الشيطان لأفسد الدين ، ومن رآه فى نومه ﷺ فقد رآه حقيقةً ، كما روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال ﷺ : (من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لايتمثل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) ومعنى قوله « فقد رآنى » أى رأى حقيقة جسمى وروحى وصورتى معاً ، وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاتبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم ، وهم فى قبورهم يصلون كما جاءت به الأحاديث ، ولو رُؤِيَ على غير صورته الأصلية فإنما ذلك يختلف باختلاف أحوال الرائين له ﷺ ، بحسب استقامتهم على شريعته ، فعلم أن الرائى لرسول الله ﷺ على تلك الصور والأشكال المختلفة راء له حقيقةً ، فإن تلك الصور كلها أمثلة خيالية ، والمرئى بواسطتها هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا كما يقول الإنسان : رأيتُ وجهى فى الماء ، ومعلوم قطعاً أن وجهه ليس منتقلاً إلى الماء حتى رآه فيه ، وإنما معناه : رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء ، فيكون المثال واسطة لا يلتفت إليه إذ لاحقيقة له حتى يكون مرئياً لذاته ، وإنما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها ، وذلك من عجائب قدرته التى تكل الأفهام عن إدراكها[1] .

---

(١) ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج للشيخ محمد أمين الكردى الإربلى الشافعى .

وآتيت إبراهيم ملكاً عظيماً

جاء فى قصة المعراج : أن النبى ﷺ قال : فى خطبته ليلة المعراج مخاطباً الله سبحانه وتعالى : (وآتيتَ إبراهيم ملكاً عظيماً) . قال ابن دحية: لا يعهد لإبراهيم مُلك عرفي ، فإما أن يراد بالملك الإضافة إلى نفسه وذلك لقهره لعظماء الملوك ، وناهيك بالنمروذ وقد قهره الله تعالى بخليله وأعجزه عنه ، وقهره الملك العظيم مُلْكٌ عظيم فالقاهر أعظم من المقهور . ويحتمل أن المراد بالإضافة إلى بنيه وذريته ، وذلك نحو ملك يوسف الصديق وهلمّ جرّاً كداود وسليمان ، وفى التنزيل : ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيما ﴾(1) ، والإشارة هنا إلى ذريته ، وعليه فقوله : وآتيت إبراهيم .. الخ على حذف مضاف ، أي وآتيت ذرية إبراهيم أو آل إبراهيم ، وإما أن يراد بذلك النفس فى مظنة الاضطرار مثل ملكه لنفسه ، وقد سأله جبريل أي حال رميه فى النار : ألك حاجة؟ فقال : أما إليك فلا . انتهى . قاله الأجهوري .

---

(1) النساء : ٥٤

معنى الذنب فى حق نبينا محمد ﷺ:

وقوله فى القصة (فغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر) ينبغى أن لا يخطر ببال المسلم حصول الذنب المقتضيِ للنقصان ، ولذلك فقد أجاب العلماء عن هذا .

فقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكى رحمه الله تعالى : المراد تشريف النبي ﷺ بهذا الأمر ، أى لو كان له ذنوبٌ لغُفِرَتْ ولم يكن له ذنبٌ البتة .

وحكى الحافظ السيوطى فى كتابه «المحرر» فى الكلام على هذه الآية اثني عشر قولا ، ونقل عن السبكى فساد خمسة منها ، وبيّن الحافظ السيوطى فساد الباقى ، ثم قال : وأما الأقوال المقبولة ففى "الشفاء" للقاضى عياض ، قيل : إن النبى ﷺ لما أُمر أن يقول : ﴿ ما أدرى مايُفعل بى ولا بكم ﴾[1] سرّ بذلك الكفار فأنزل الله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2] وأخبر الله تعالى بها للمؤمنين فى الآية الأخرى بعدها ، فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخَذ بذنبك أن لو كان .

قال السيوطى : وهذا الأثر رواه ابن المنذر فى تفسيره عن ابن عباسَ بدون قوله (وأخبر بها للمؤمنين . . الخ) .

وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن أنس قال : أنزل على النبى

---

(١) الأحقاف : ٩ (٢) الفتح : ٢

ﷺ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مرجعه من الحديبية فقالوا : هنيئاً لك يارسول الله لقد بيّن الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ، فنزلت : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1] .

قال القاضى : قال بعضهم : المغفرة هنا تنزيه من العيوب .

وقال بعض المحققين : المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ، يعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه ، وهذا القول فى غاية الحسن ، ثم نقل عن السبكى أنه قال : قد تأملت هذه الآية بذهنى مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا وجهاً واحداً ، وهو تشريف النبى ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه أريد أن تستوعب فى الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده ، وجميع النعم الأخروية شيئان : سلبية ، وهى غفران الذنوب ، وثبوتية ، وهى لا تتناهى ، وقد أشار إليها بقوله : ﴿ويتمّ نعمته عليك﴾ ، وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية ، أشار إليها تعالى بقوله : ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ ودنيوية وإن كان المقصود بها الدين ، وهى قوله تعالى : ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[2] ، وقدّم الأخروية على الدنيوية تقديماً للأهم ، فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى ﷺ بإتمام أنواع نعم الله تعالى المفرقة فى غيره وبعد أن وقفت على هذا المعنى رأيت ابن عطية قد وقع عليه فقال : وإنما المعنى تشريف النبى ﷺ بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ، وقد وفق فيما قاله .

---

(١) الفتح : ٥ (٢) الفتح : ٣

من همّ بحسنة، ومن همّ بسيئة :

قوله : (ومن همّ بحسنة) أى ترجّح عنده قصد فعلها ، وأما التردد فى الفعل والترك على السواء فلا يكتب له ولا عليه ، وأولى مايهجس فى النفس بأن يخطر على قلبه وهو المسمى بالهاجس ، وأولى منهما مجرد الخطور ، وإنما يكتب له قصد الحسنة ونية فعلها ، لكن إن فعلها ضوعفت ، وإن لم يفعلها كتبت واحدةً أى من غير مضاعفة بشرط أن لا يكون تركها كسلا .

وقوله : (ومن هم بسيئة)أى قصد وترجّح عنده ذلك لم تكتب تلك السيئة عليه ، وأما إن صمم وعزم على الفعل لامحالة كتبت عليه السيئة ، لكن لا تكتب كبيرة ، بخلاف مالو فعلها فإنها تكتب كبيرة ، وهذا إذا تركها لمانعٍ أو كسل ، وأما لو تركها خوفاً من الله فإنها تكتب حسنة .

واعلم أن الصغائر لو فعلها تغفر باجتناب الكبائر وبفعل الحسنات من صلاة وصومٍ وصدقة وغير ذلك ، وأولى بالتوبة ، وأما الكبائر فلا تغفر إلاّ بالتوبةً ، وهى الندم والعزم على أن لايعود خوفاً من ربه أو يعفو الله عنه ، وربما كان الاشتغال بالحسنات سبباً فى عفو الله ، والكفر الأصلى أو الطارئ لايكفره إلا الإسلام .

الحكمة فى تخصيص فرض الصلاة ليلة الإسراء وبلا واسطة

الحكمة فى تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به تلك الليلة رأى تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد ، والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد ، فجمع الله تعالى له ولأمته تلك العبادات كلّها فى ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص .

والحكمة أيضاً فى اختصاص فرضها بكونه بغير واسطة وبمراجعات متعددة ، قال السهيلى : فيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض إلاّ فى الحضرة المقدسة المطهّرة ، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائطها ، والتنبيه على أنها مناجاة الربّ ، وأن الربّ تبارك وتعالى مقبل بوجهه على المصلّى يناجيه ، ويقول : حمدنى عبدى ، أثنى علىّ عبدى .. إلى آخر السورة .

وقد فرضت عليه ﷺ فوق السماء السابعة حين سمع كلام الربّ وناجاه ، ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة ، وخرج عن الدنيا بجسده كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ، ويحرم عليه كل شئ إلاّ مناجاة ربّه وتوجهه إلى قبلته فى ذلك الحين وهى بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلى بدنه إشارة إلى القبلة العليا وهى البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلى

له سبحانه وتعالى.

سؤال موسى عليه السلام طلب التخفيف عن هذه الأمة:

وفى سؤال موسى عليه السلام طلب التخفيف عن هذه الأمة دليل على أن بكاءه أوّلاً حين صعود النبى ﷺ لم يكن إلاّ للوجه الذى أبديناه[1] لا لغيره، لأنه لو كان لغير ذلك لبكى حين رجوع النبى ﷺ إليه أو سكت، ولكنه عليه السلام قام بالنصيحة للنبى ﷺ، فلما أن كان بكاؤه أولاً للوجه الذى ذكرناه ولم يصادف ما أشرنا إليه، وإنما كانت هذه النفحة من النفحات الخاصة بالنبى ﷺ وبأمّته بمقتضى الحكمة والإرادة، تعرض عليه السلام لهذه الأمة بطلب التخفيف فصادف تعرضه هذه النفحة فى موضعها لأنها خاصة بهذه الأمة، وتكلم هو عليه السلام فى حقها فأسعفت فيما أراد فخفف الله عز وجل إذ ذاك وردّ الخمسين إلى خمس، فأزال تعالى عن الأمة فرض تلك الصلوات وأبقى لهم ثوابها تفضلاً منه وإحسانا. قال الحافظ الشامى: وإنما امتنع النبى ﷺ من طلب التخفيف فى المرة العاشرة لما أمره موسى به لأمرين:

أحدهما: أن الأمر إذا انتهى إلى حد الإلحاح كان الأولى الترك، ثانيهما: أن يكون النبى ﷺ تفرَّس أن هذا العدد لا يُحط منه فاستحيا أن يسأل فى مظنة الرد، ولهذا جاء فى بعض الطرق أن النبى ﷺ لما امتنع من المراجعة فى المرة العاشرة نادى منادٍ: أمضيت فريضتى وخفَّفت عن عبادى.

---

(١) تقدم ص ١٨٣

ثم قال الحافظ الشامى : قال ابن دحية : دلت مراجعته ﷺ فى طلب التخفيف تلك المرات كلها ، أنه علم أن الأمر فى كل مرة لم يكن على سبيل الإلزام بخلاف المرة الأخيرة ففيها ما يشعر بذلك ، لقوله تعالى ﴿ ما يبدَّل القول لديّ ﴾[1] .

قال ابن أبي جمرة : فى امتناع النبى ﷺ فى المرة العاشرة من طلب التخفيف دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعاد عبد حصر اختياره فى مرضاة ربه ، لأن النبى ﷺ جعل الله تعالى اختياره وإيثاره لما أراد الحق تبارك وتعالى إنفاذه وإمضاءه وهو فرض الصلوات الخمس ، وذلك تكريم له ﷺ وترفيع ، لأنه لو رجع ﷺ فطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف أولاً لكان اختياره مخالفاً للمقدور .

فلما أن اختار وأُسْعِف فى اختياره كان دليلاً على ما استدللنا عليه وعلى منزلته ﷺ ، وأنه مادام يطلب التخفيف أسعف فى رضاه ، ففى كل حال من طلب ومن عدم طلب ، كان اختياره هو انقياداً للمقدور .

تخفيف الصلاة وآية { مايبدّل القول لديّ }:

قال ابن دحية : فإن قلت : مامعنى قوله تعالى : ﴿مايبدَّل القول لديّ﴾ فإن كان المراد لايبدل الخبر فكيف يطلق الحديث ، لأن السياق فى الأحكام ، فلهذا نسخ الخمسين إلى خمس ، وتبديل النسخ لايبقى ، فإن كان المراد لايبدل الحكم فقد تقرر أن النسخ فى الأحكام جائز وقد وقع فى

---

(١) ق : ٢٩

هذا الحديث إلى خمس ، فالجواب أنه تعالى إذا أخبر عن الحكم أنه مؤبّد استحال التبديل ، والنسخ حينئذ لأجل العلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه الفريضة أي أبّدها فلا يبدل هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك ، والله تعالى أعلم .

ويكون المراد أنه تعالى وعد هذه الأمة على ألسنة الملائكة أو في صحفها أن لهم أجر خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فلما نسخها إلى خمس حصل للعدد نقص ، وإن الأجر المراد لم ينقص لأن الحسنة بعشر أمثالها ، ولهذا قال تعالى : (هّن خمس وهّن خمسون) ، أي هُنَّ خمس عدداً وخمسون اعتداداً ، ذلك الفضل من الله ، ويكون ذلك كقوله فى الصيام : (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر) بتأويل أن الحسنة بعشر أمثالها ، فستة وثلاثون فى عشرة بثلاثمائة وستين، عدد أيام السنة .

واعتبرت الصلاة بما تحتاج إليه كل صلاة من وضوء ونحوه ، فوجد لها ما يأتى على ساعتين وبعض الساعة غالباً ، فعلم بذلك أن الخمسين لو استقرت على أمة لاستوعبت اليوم والليلة لما تحتاج إليه كل صلاة من طهارة وغيرها ، وكانت الطهارة واجبة التجديد فى أول الأمر ثم نسخ الوجوب إلى الندب ، فكان المصلى من هذه الأمة لهذه الخمس استوعب الدهر صلاةً، وكأنه أيضاً استوعب الدهر صياماً .

والظاهر أن نقص الخمسين إلى خمس ليس من تبديل القول لأنه تبديل

تكليف ، وأما بعد الإخبار بالخمس والخمسين فتبديل أخبار .

تخفيف الصلاة ومسألة النسخ قبل التمكّن :

قال أبو الخطاب وتبعه ابن المنير : جواز النسخ قبل التمكّن من الفعل قبل دخول الوقت مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة ، وجرى كل فريق على قاعدته وعقيدته ، فعند أهل السنة التكليف على خلاف الاستطاعة جائز بل واقع ، إذ الأفعال كلها مخلوقة لله تعالى ، والعبد مطالب بمالا يقدر على إيجاده ، ولا يتمكن من التأثير فى إحرازه عملاً بقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[1] واستدل أهل السنة على جواز النسخ قبل التمكن بأنه وقع ، وأي دليل على الجواز أتم من الوقوع؟ ومثلوا ذلك بقصة الذبيح ، فإن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ثم خفف ذلك ونسخه إلى الفداء قبل أن يمضي زمنٌ يسع الذبح ولا يمكن فيه الفعل .

(١) الصّافات : ٩٦

صَلاة جِبريل بالنَّبِي ﷺ

روى الإمامان الشافعي وأحمد ، وأبو داود والترمذى وحسنه ، والطحاوى والبيهقى عن ابن عباس ، والإمام أحمد والنسائي والدارقطنى والحاكم وصححه وأقره الذهبى عن جابر بن عبد الله ، والدارقطنى والحاكم والإسماعيلى وابن السكن «فى صحيحه» عن أنس ، والدارقطنى بإسناد جيد عن ابن عمر ، والنسائى والحاكم وصححه وأقره الذهبى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (أمَّنى جبريل عند البيت) ولفظ الشافعى والطحاوى والبيهقى : (عند باب البيت مرتين) ، فصلّى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك ، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق ، وصلّى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثلَه) ، وفى لفظ : (كوقت العصر بالأمس) وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل الأول ، وصلى بي الفجر فأسفَر ، ثم التفت ، فقال : يامحمد : هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت مابين هذين) .

قال الحافظ الشامى : هذا ما وقفت عليه فى صلاة جبريل بالنبى ﷺ بالصلوات الخمس ، وأما عدد ركعاتها حين فرضت ، فمن الناس من ذهب إلى أنها فُرِضَتْ أول ما فُرِضَتْ ركعتين ركعتين ، ثم زِيْدَ فى صلاة الحضر

فأكملت أربعاً إلا المغرب ، وأُقرّت صلاة السفر ركعتين ، وروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن إسحاق .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعاً ، إلا المغرب ففرضت ثلاثا ، والصبح ركعتين ، وبه قال الحسن ونافع وجبير بن مطعم وابن جرير .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وذكر أدلة هذه الأقوال والكلام عليها مذكورٌ فى المطوَّلات ، وروى الشيخان وابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعاً ، وأقرّها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .

معنى قوله « وقت الأنبياء قبلك :

قال أبو عمر : لم أجد قوله : (هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك) إلا فى هذا الحديث - يعنى رواية ابن عباس - قلت : قال القاضى أبوبكر بن العربى رحمه الله : ظاهره يوهم أن هذه الصلوات فى هذه الأوقات مشروعة لمن قبله من الأنبياء وليس كذلك ، إنما معناه : هذا وقتك المشروع لك - يعنى الوقت الموسع المحدود بطرفين : الأول والآخر - ووقت الأنبياء قبلك - يعنى مثله وقت الأنبياء قبلك - أي صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين مثل هذا ، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا

لهذه الأمة خاصةً وإن كان غيرهم قد يشاركهم فى بعضها .

وقد روى أبو داود فى حديث العشاء : (أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فُضّلتم بها على سائر الأمم ولم تصلّها أمة قبلكم) وكذا قال أبو الفتح : يريد بها التوسعة عليهم فى أن الوقت أوّلاً وآخراً ، إلا أن الأوقات هي أوقاتهم بعينها .

قال ابن المنير : لما أمر الله سبحانه وتعالى جبريل أن يعلم النبى ﷺ الصلاة كانت هذه فرضاً عليه ، لأنه أمر بذلك فكانت صلاة النبى ﷺ صلاة مفترض خلف مفترض .

كيفية فرض الصلاة :

قال الحافظ : الذى يظهر - وبه تجمع الأدلة - أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت عقب الهجرة إلا الصبح ، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : فرضت صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واطمأن ، زِيْدَ فى صلاة الحضر ركعتان ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر اهـ .

ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خُفّف منها فى السفر عند نزول الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوّا

مبينا ﴾[1] قال : ويؤيد ذلك ماذكره ابن كثير فى شرح مسند الشافعى : إن قصر الصلاة كان فى ربيع الأول من السنة الثانية ، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف كان فيها ، وقيل قصر الصلاة كان فى ربيع الأول من السنة الأولى ، ذكره الدولابى ، وأورده السهيلى بلفظ : بعد الهجرة بعام أو بنحوه ، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً ، فعلى هذا المراد بقول عائشة : فأقرت صلاة السفر ، باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف ، لأنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة .

التحيــات لله :

قال أبو طالب الجمحى فى كتاب «التحيات» : لكل قوم تحية ، فتحية العرب السلام ، وتحية الأكاسرة السجود قدّام الملك وتقبيل الأرض ، وتحية الفرس طرح اليد على الأرض قدّام الملك ، وتحية الحبشة عقد اليدين على الصدر بين يدي الملك بسكون ، وتحية الروم كشف غطاء الرأس من بعد تنكيس رأسه ، وتحية النوبة إيماء الرجل بالدعاء بالأصابع .

وهذه التحيات غالبها مجموعة فى الصلاة التى هي خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى ، ولهذا ناسب أن يقال فى آخرها « التحيات لله » إشارة إلى أنه تعالى يستحق جميع التحيات .

وصف النبى ﷺ للمسجد الأقصى :

قوله ﷺ : (فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه .. الخ) كذا فى رواية ابن عباس عند الإمام أحمد والنسائى بسند صحيح ، وفى رواية عبد الله بن

---

(١) النساء : ١٠١

الفضل بن أبى سلمة عند مسلم ، قال : (فسألونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كرباً لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه ، ما سألونى عن شئ إلاّ أنبأتهم به) ، وفى رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : (فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) .

ومعنى (جلى الله لى بيت المقدس» كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته ، ويحتمل أنه يريد أنه وضع بحيث يراه ثم أعيد ، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة ، وهذا أبلغ فى المعجزة ، ولا استحالة فى ذلك ، فقد أحضر عرش بلقيس فى أقل من طرفة عين ، ووقع فى حديث أم هانئ عند ابن مسعود : (فخيّل إليَّ بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته) فإن ثبت احتمل أن يكون المراد أنه مثّل قريباً منه ، كما قيل فى حديث (أريت الجنة والنار) .

ويؤول قوله (حتى جيء بالمسجد) أى جيء مثاله .

حبس الشمس لنبينا ﷺ

أخرج الطبرانى عن جابر بسند حسن ، كما قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى «مجمع الزوائد» والحافظ ابن حجر فى باب قوله ﷺ : «أحلت لي الغنائم» من «فتح البارى» والحافظ أبو زرعة ابن العراقى فى «تكملته» لشرح تقريب والده : أن النبى ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعةً من النهار فتأخرت ساعة من النهار .

وأخرجه باللفظ المذكور فى قصة البيهقى عن يونس بن بكير وأخرجه أيضاً عن إسماعيل بن عبد الرحمن السندى .

قال الحافظ ابن حجر فى الباب المذكور : ولا يعارضه مارواه أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الشمس لم تُحبَس على بشر إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس)، ووجه الجمع : أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ فلم تحبس الشمس إلا ليوشع ، وليس فيه نفي أنها قد تحبس بعد ذلك لنبينا ﷺ ، وقد ورد أيضاً أن الشمس ردت عليه ﷺ بعد ما غابت . روى الطبرانى بأسانيدَ رجالُ بعضها ثقات كما قال الشيخ - يعنى الحافظ السيوطى - فى تخريج أحاديث الشفا والقطب الخيضرى عن أسماء بنت عميس قالت : إن رسول الله ﷺ صلىّ الظهر بالصهباء ، ثم أرسل عليّاً فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم العصر ، فوضع رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم رأسه في حجر علي ، فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلىَّ الله عليه وآله وسلم : « اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس » قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت، وذلك بالصهباء بخيبر . وفي لفظ آخر : كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل الوحي يوماً وهو في حجر علي فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : صليت العصر؟ فقال : لا يارسول الله ، فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر ، قالت : فرأيت الشمس طلعت بعد ماغربت . قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» : رجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن وهو ثقة وثقه ابن حبان ، وفاطمة بنت علي لا أعرفها . انتهى . وفاطمة هذه وثقها الحافظ ابن حجر فى «تقريبه» ، والحديث حسنه أبوزرعة ابن العراقى فى «تكملته» لشرح التقريب ، والشيخ - أى شيخه الحافظ السيوطى - فى «الدرر» . ورواه الطحاوى من طريقين عن أسماء ، وقال : هذان الحديثان ثابتان ، ورواتهما ثقات ، ونقله القاضى فى " الشفاء" ، والحافظ ابن سيد الناس فى «بشرى اللبيب» والنووى فى «شرح مسلم» فى حل الغنائم لهذه الأمة ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر فى «تخريج أحاديث الرافعى» فى باب الأذان فى النسخ المعتمدة وأقرّوه . ثم نقل الطحاوى عن أحمد بن صالح - وناهيك به - أنه قال : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من علامات النبوة . وروى عنه الطبرانى أنه قال : هذه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تستكثر .

وذكر الشيخ - يعنى شيخه الحافظ السيوطى - فى «الدرر» : أن ابن مردويه رواه من حديث أبى هريرة أيضاً بسند حسن . . اهـ . وقد أشار إلى الحديثين الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس فى قصيدة من كتابه « بشرى اللبيب » ، فقال :

وقد وقفت شمس النهار كرامةً كما وقفت شمس النهار ليوشعا
وردّت عليه الشمس بعد غروبها وهذا من الإيقان أعظم موقعا

والعلامة بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى فى قصيدته المسماة «بهدية المسافر إلى النور السافر » فقال :

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة
وردّتْ عليك الشمس بعد مغيبها كما أنها قِدْماً ليوشع ردت

ثم قال - يعنى السيوطى - بعد الأبيات : وهذا من هذين الإمامين الجليلين مما يقوي صحة الحديث ولا يلتفت لإيراد ابن الجوزى الحديث فى الموضوعات ، فقد خطأه الحفاظ فى ذلك . قال الحافظ مغلطاى فى «الزهر الباسم» بعد أن أورد الحديث من عند الطحاوى والطبرانى وغيرهما : ولا يلتفت إلى ما علله ابن الجوزى من حيث إنه لم يقع له الإسناد الذى وقع لهؤلاء . قال الحافظ ابن حجر : ومن خطه نقلت بعد أن أورد الحديث من عند البيهقى وغيره ، ثم قال : وهذا أبلغ فى المعجزة ، وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى الموضوعات . انتهى .

وتعقب الشيخ - يعنى السيوطى - كلام ابن الجوزى فى « مختصر كتاب

الموضوعات » وفى « كتاب النكت البديعات » وأجاب عما أعل به الحديث وقال : أفرط بإيراده له هنا . انتهى .

شبه مردودة

اعلم أن الإسراء برسول الله ﷺ لم يخالف فى وقوعه أحد من المسلمين ، وإنما طعن فيه أهل الزيغ لشبه باطلة ، وقد تصدى الإمام الرازى وغيره للرد عليهم ، وأنا موردٌ تلك الشبه ثم أتبعها بالرد .

فمن تلك الشبه قول أهل الزيغ والضلال : الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد غير معقولة ، ولو أصعد إلى السموات لوجب خرق الأفلاك وذلك محال ، وصعود الجرم الثقيل إلى السموات غير مقبول ، ولأن هذا المعنى لو صحّ لكان أعظم من سائر معجزاته ، وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه من ادعاء النبوة ، وأما أن يحصل ذلك فى وقت لايراه أحد ولا يشاهده فإن ذلك يكون عبثا لايليق بالحكيم .

والجواب عن الأول : أن الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد ممكنة فى نفسها ، والله قادر على ذلك ، ويدل على صحته أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره مايقرب من نصف الدور ، وثبت فى الهندسة أن نسبة القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسُبُع ، فبتقدير أن رسول الله ﷺ ارتفع من مكة إلى مافوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا مقدار نصف القطر ، فلما حصل فى ذلك القطر من الزمان نصف الدور ، كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتفاع من مكة إلى الأفق الأعلى فى مقدار ثلث الليل

أمرٌ ممكن فى نفسه ، وإذا كان كذلك كان حصوله فى كل الليل أولى بالإمكان .

وأيضاً ثبت فى الهندسة أن قرص الشمس يساوى كرة الأرض بمائة وستين مرة وكذا كذا مرة ، ثم إنا نشاهد طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع ، فدل على أن بلوغ الحركة فى السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن فى نفسه ، فإن كان الكلام مع من لا يعرف الهندسة فنقول له : أنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تقطع من الشروق إلى الغروب مسافة لا يقدر على قطعها فى أعوام كثيرة ، وأيضاً فقد كانت الرياح تسير لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات اليسيرة ، قال تعالى : ﴿ غدوّها شهرٌ ورواحها شهر ﴾(١) . والحس يدل على ذلك ، وهو أن الرياح تنفذ عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان فى غاية البعد فى اللحظة الواحدة ، وقد أحضر الذى عنده علم من الكتاب كرسى بلقيس من أقصى اليمن إلى أرض الشام فى مقدار لمح البصر ، والأجسام متماثلة فى تمام ماهيّاتها ، فلما حصل مثل هذه الحركة فى حق بعض الأجسام ، وجب إمكان حصولها فى سائر الأجسام ، فهى ممكنة ، ويدخل ذلك بالأوّليّة جسد النبي ﷺ .

والجواب عن الثانى : وهو خرق الأفلاك فليس بمحال وقد منعته النفاة للجنة والنار . قال الشيخ سعد الدين : ادعاء استحالة المعراج باطل ، لأنه إنما ينبنى على أصول الفلاسفة عن امتناع الخرق والالتئام على السموات ،

---

(١) سبأ : ١٢

وإلا فالخرق والالتئام على السموات واقع عند أهل الحق ، والأجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة ، يصح على كل من الأجسام مايصح على الآخر لضرورة التماثل المذكور ، فإذا أمكن خرق الأجسام السفلية - والله تعالى قادر على الممكنات كلها - فهو قادر على خرق السموات ، وقد ورد به السمع فيجب تصديقه .

والجواب عن الثالث : أنه كما يستبعد صعود الجسم الكثيف يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من المستوى الأعلى إلى مركز العالم ، فإن كان القول بمعراج النبى ﷺ فى الليلة الواحدة ممتنعاً فى القبول ، كان القول بنزول جبريل عليه السلام من مقامه إلى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعاً ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً فى نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والقول بثبوت المعراج فرع عن تسليم جواز أصل النبوة ، فيلزم القائل بامتناع حصول هذه الحركة ، امتناع نزول جبريل عليه السلام ، ولما كان ذلك باطلاً كان ماذكروه باطلا .

والجواب عن الرابع : أن فى كونه ليلا فوائد : منها ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب ، وليفتتن الذين كفروا زيادةً على فتنتهم ، وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾(1) .

ومنها أنه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً ، فإن بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً فرقاً واضحاً .

---

(1) الإسراء : ٦٠

الليـل لى ولأحبـــابى أنادمهم		قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا

وقد أخبر النبى ﷺ بالعلامات التى تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التى مرّ بها فى طريقه ، وأنها تصل إليهم فى وقت كذا ، فكان كما قال ، ومع ذلك قالوا : هذا سحر مبين ، فلا فرق بين أن يريهم ذلك نهاراً أو بين أن يخبرهم بخبر يفيد اليقين . وقد أراهم النبى ﷺ انشقاق القمر فقالوا : هذا سحر مبين .

شبهة إنكار طبقات السّماء

ينكر بعض علماء الفلك والجغرافيا أمثال (كوبرنكس) و (جاليلو) و(كبلر) أن تكون السماء طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض ، أو أن لها أبواباً تفتح وتغلق ، أو أنها جرم يمكن السير عليه أو الحياة فيه ، وليس هذا القول بجديد بل سبق به (فيثاغورث) الفيلسوف اليونانى الذى عاش قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين ، وقد استدل هؤلاء مع من يلحدون فى آيات الله من أبناء الإسلام ، فأنكروا المعراج بأن الرصد قد أثبت بأن الكواكب تدور فى فضاء لا مادة به إلا هذه الأجرام السيّارة أو الثابتة ، وأن أكبر العدسات وأقواها لم تسجل بؤرتها جسماً ماديا وراء هذه السيارات أو الثوابت ، فكيف يكون المعراج حقا؟ .

وهكذا . . كذبوا الله الذى يقول : ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارْجِعِ البصر كرتين ينقلبْ إليك البصر خاسئاً وهو حسير * ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح ﴾[1] والذى يقول ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتَّح لهم أبواب السماء ﴾[2] وصدّقوا (غاليو) وأحجار العدسات ، وأبصارهم الكليلة الخاسئة الحسيرة ، ونظرياتهم الطبيعية القاصرة . صدق الله إذ يقول : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[3] .

وإن دعوى هؤلاء الطبيعيين الذين لا يؤمنون إلا بما يحسون ، لاتسلم

(١) الملك : ٣ ـ ٥ (٢) الأعراف : ٤٠ (٣) الإسراء : ٨٥

لهم إلا ببينة من جنس علومهم المبنية على الحسّ والمشاهدة .

فهل طافوا ونفذوا من أقطار السموات والأرض . وانتهوا إلى نهاية الكون ولم يجدوا الطباق السبع فأنكروا؟ أم هى دعوى بدون بينة ولا دليل إلا بينة العجز ودليل القصور ، وكلاهما لا يؤدى إلى جزم ويقين ، فليقولوا ـ إن كانوا منصفين ـ ﴿ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾[1] وليتقبلوا كلام رب العالمين وحديث الصادق الأمين .

ومن الناس من أنكر الإسراء والمعراج جملة وتفصيلا لقصوره عن فهم معنى الألوهية وقدرتها المطلقة ، فجمدت منه عقليته ، ووقفت عند حد لاتتعداه ، وهو أيضاً علامة على قصر النظر والتمسك بالسنن المادية الطبيعية فيقولون كما يقول علماء الطبيعة : إن امتداد المسافة من الأرض إلى نهاية السموات مقدار عظيم يخرج عن العقل تصوره ، فماهو مقدار السرعة التى بها يتمكن الإنسان من قطع هذه المسافة فى فترةٍ وجيزة من الزمن ، والنور الذى هو أسرع الأشياء يقطع هذه المسافة فى أكثر من هذه المدة . ويقولون : إن جسم الإنسان مملوء بالسوائل وهى مضغوطة ضغطاً جويا على نسب مقدرة تبعاً للجو الطبيعى ، فإذا ما تجاوز الإنسان منطقة الهواء الأرضى سالت هذه السوائل من الجسم وتركته وعاءاً فارغا .

ويقولون : إن الإنسان لابقاء له بدون الأكسجين ، وهو موجود حول الأرض ، فإذا فارق الإنسان هذه المنطقة فإنه لابدّ هالك ويقولون : إن لكل كائنٍ حي بيئةً طبيعية لايستطيع الحياة سواها . فحيوانات البحر لاتعيش فى

---

(١) الجاثية : ٣٢

البر ، ونبات الصيف لاينمو فى الشتاء ، وأهل الأرض لايستطيعون الحياة فوق السماء ، إلى غير ذلك من الأقوال المؤدّية إلى نتيجة واحدة لانقرّهم عليها ، فهى اتباع للمنطق الطبيعى الذى لايستعان به إلا فى الماديات البحتة . والاقتصار على هذا المنطق أو تحكيمه فى كل الأمور مدعاة إلى الخطأ ، فالكون مؤلف من مادة وغير مادة ، والإنسان مركب من هذين العنصرين ، وآثار روحه وظواهر نفسه معروفة معلومة ، أصبح لها علم خاص هو «علم النفس» يدرس فى جامعات أوربا وفى المعاهد العلمية ، وتاريخ البشر مليء بالأمور العجيبة التى لا تستند إلى هذا القانون المادى ، ومن ذلك المعجزات وخوارق العادات التى منها الإسراء والمعراج ، وذلك تقدير العزيز الحكيم الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم .

وإذا أنكر الإسراء والمعراج بعض المفتونين بالعلوم الطبيعية فى القرنين الماضيين ، فلا يصح أن ينكره العلماء المعاصرون وقد شاهدوا الذرة الصغيرة وشدّتها ، والكهرباء وطاقتها ، والأثير وقوته ، والمغناطيس وسرعته ، فاخترعوا الراديو والتلفزيون والبرق والرادار وزورق الأحلام ، وهو قليل من كثير ، ستراه الأجيال المقبلة فى عصور السرعة والطفرة ، ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾(١) .

يا أيها المؤمنون : إن الذى أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام بالحجاز إلى بيت المقدس بالشام ، ثم عرج به إلى مافوق الطباق السبع ،

---

(١) فُصّلت : ٥٣

هو الذى سخر الريح لسليمان عليه السلام ﴿ تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب﴾[1] وهو الذى أعطى مَنْ عِنْدَهُ عِلمٌ من الكتابِ القُدرةَ على نقل عرش بلقيس من اليمن الى الشام قبلَ إرتداد الطرف ، وهو الذى أنزل جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إلى الأرض فى لمح البصر ، وهو الذى أمره بين الكاف والنون ، فإذا قال للشيء كن فيكون .

(١) ص : ٣٦

المعراج وشبهة المكان لله تعالى

ينبغي للمسلم أن لايتوهم مما يسمعه فى قصة المعراج من الصعود والهبوط أن بين العبد وربه مسافةً محدودة محيطة ، فإن ذلك كفر نعوذ بالله من ذلك ، وإنما هذا الصعود والهبوط بالنسبة إلى العبد لا إلي الرب ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم مع انتهائه ليلة الإسراء إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى لم يجاوز مقام العبودية .

وكان هو ونبى الله يونس بن متَّى عليه السلام إذ التقمه الحوت وذهب به إلى البحار يشُقُّها حتى انتهى به إلى قرار البحر فى مباينة الله تعالى خلقه وعدم الجهة والتحيز والحد والإحاطة سواء ، وقد قيل : ذهب به الحوت مسيرة ستة آلاف سنة ، ذكره البغوى وغيره .

إذا علمت ذلك ، فالمراد بترقيه صلى الله عليه وآله وسلم وقطع هذه المسافات إظهارُ مكانته عند أهل السموات وأنه أفضل المخلوقات ، ويُقوِّى هذا المراد كونه تعالى أركبه البراق ونصب له المعراج وجعله إماما للنبيين والملائكة مع أنه تعالى قادرٌ على أن يرفعه بدون البراق والمعراج .

المعــراج والجهــة

اعلم أن تردد نبينا ﷺ بين موسى وبين الحق سبحانه وتعالى فى تلك الليلة المباركة لا يلزم منه ثبوت الجهة لله جل جلاله ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيرا .

فقول موسى له : ارجع إلى ربك أى إلى موضع مناجاة ربك ، فكان رجوعه من المكان الذى لقي فيه موسى إلى الموضع الذى وقعت فيه المناجاة والسؤال لربه ، ولا يلزم من موضع السؤال أن يكون المسئول فيه ، أو يكون جائزاً له ، لتَعالىِ الله جل وعلا وتنزيهه عن الجهة والمكان ، فرجوع النبى ﷺ إليه رجوع إلى السؤال فيه لشرف ذلك الموضع على غيره ، كما كان الطور موضع سؤال موسى فى الأرض ، ومع انتهائه ﷺ تلك الليلة التى عرج به فيها إلى أن ظهر لمستوىً سمع فيه صريف الأقلام ، كان هو ونبى الله يونس إذ التقمه الحوت وذهب به فى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر سواءً فى القرب من الله تعالى ، لتعاليه تعالى وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز والإحاطة ، وقد نقل القرطبى فى «التذكرة» : أن القاضى أبابكر بن العربى المالكى قال : أخبرنى غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى أنه سئل : هل البارى فى جهة؟ فقال : لا ، هو متعال عن ذلك ، قيل له : ما الدليل عليه؟ قال : الدليل عليه قول النبى ﷺ لا تُفضّلونى على يونس بن متى ، فقيل له : ما وجه الدليل من هذا الخبر؟ قال : إن يونس بن متى رمى نفسه فى البحر

فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ، ونادى «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» كما أخبر الله تعالى عنه ، ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجاه فأوحى إليه ما أوحى ، بأقرب إلى الله من يونس فى ظلمة البحر ، فالله سبحانه قريب من عباده ، يسمع دعاءهم ، ولا يخفى عليه حالهم ، كيفما تصرّفوا من غير مسافة بينه وبينهم ، فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء ، تحت الأرض السفلى ، كما يسمع ويرى تسبيح حملة العرش من فوق السموات السبع العلى ، لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة ، أحاط بكل شئ علما ، وأحصى كل شئ عددا .

الدنو والتدلى:

جاء فى حديث الإسراء والمعراج من رواية شريك ذكر الدنو والتدلى ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى .

والذى يجب على المسلم اعتقاده فى هذا هو ما أوجب عليه أهل السنة والجماعة اعتقاده فى مثله من آيات وأحاديث الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظُلل من الغمام ﴾(١) . وكقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾(٢) . وكقوله ﷺ فى الحديث القدسى : « وَمن تَقرَّبَ مِنّى شِبراً تَقَرَّبْتُ منهُ ذِرَاعًا » ، وهو أن يؤمن بها

(١) البقرة : ٢١٠ (٢) الفجر : ٢٢

ويسلم ، ويُمرّها كما أمَرّها السلف ، ويترك السؤال عنها وفيها ، كما يجب عليه ترك الخوض فيها ، ولا يتعرض لتأويلها ولا يطلب تفسيرها ، فيقف حيث وقفوا ، لا يقول كيف ولم ؟ . .

وليعلم أن كل مايخطر بباله فهو هالك ، والله على خلاف ذلك ، على أنّ بعض العلماء قد أوّل ذلك القرب والتدلى بحصول جزيل الفوائد وجميل العوائد ، والتأنيس والإكرام والاصطفاء والاختصاص لدفع الاستيحاش الحاصل بانقطاع الأصوات ، والإكرام ببسط المكالمة وشريف المنة .

أقول : وهذه المعانى الجليلة السامية مستفادة من قول سيدنا رسول الله ﷺ فى الحديث القدسى الذى رواه أبوهريرة عن النبى ﷺ ، يقول الله تعالى : (أناَ عندَ ظَنِّ عَبْدى بي ، وأناَ مَعَه إذاَ ذكَرَني ، فَإنْ ذكَرَنى فى نَفْسه ذكَرْتُهُ فى نَفْسى ، وَإنْ ذكَرَنى فى مَلأ ذكَرْتُهُ فى مَلأ خَيْر منْهُمْ ، وإنْ تقَرَّبَ إليَّ شبراً تقَرَّبْتُ إلَيْه ذرَاعاً ، وَإنْ تقَرَّبَ إلَيَّ ذرَاعاً تقَرَّبْتُ إلَيْه بَاعاً ، وَإنْ أتَاني يَمْشى أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) . رواه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب « وَيحذّركم الله نفسه » ورواه مسلم أول كتاب الذكر والدعاء .

فقوله (ومَن تقرَّب منّى شبراً تقربتُ منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشى أتيتهُ هَرْولَة) ، أى من تقرب إليَّ بطاعتى سبقتُه بجزائه ، فهو قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان ، وتعجيل بالمأمول ، سلك به طريق المشاكلة فسمّاه تقربا .

فمع جلالة هذه المعانى إلا أنه ينبغى أن يفهم أن العلماء متفقون على أنه ليس المراد منه النسبة أو تحديد المكان أو المسافة المتصورة فى الأذهان البشرية القاصرة عن إدراك حقيقة هذه الألفاظ المتعلقة بالذات والصفات ، فإنه سبحانه كما قال ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[(١)] .

وقد نَقل الإمام الترمذى رحمه الله تعالى تفسير هذا الحديث عقب روايته له ، عن الأعمش أحد رواة هذا الحديث ، وهو إمام مشهور بالقراءات ورواية الحديث ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة ، قال : ويروى عن الأعمش فى تفسير هذا الحديث (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) يعنى بالمغفرة والرحمة ، وهكذا فسّر بعض أهل العلم هذا الحديث ، قالوا : إنما معناه ، يقول : « إذا تقرب إليَّ العبد بطاعتى وبما أمرتُ ، تسارعُ إليه مغفرتي ورحمتى » . ونحو هذا التفسير قول قتادة عقب روايته للحديث : فالله تعالى أسرع بالمغفرة كما فى "المسند"[(٢)] ، وتوفي قتادة قبل الأعمش بنحو ثلاثين سنة .

قال الإمام النووى رحمه الله ، هذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، ومعناه : من تقرَّب إليَّ بطاعتى تقربتُ إليه برحمتي والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدتُ ، فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيتُه هرولةً - أى : صببت عليه الرحمة وسبقتُه بها - ولم أُحْوِجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود ، والمراد : أن جزاءه يكون تضعيفُه

(١) الشورى : ١١ و انظر كتابنا « هو الله » .
(٢) مسند أحمد ٣/ ١٣٨

على حسب تقرُّبه »[1] .

وقال ابن الأثير في تحديد معنى الهرولة ، والمعنى العام للجملة : الهرولة : بين المشى والعَدْو - أى الركض - وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى ، وقبوله توبة العبد ولطفه ورحمته[2] " .

والحاصل أنه إذا كان العلماء قد اختلفوا فى تفسير هذه الصفات أعنى : (الدنو - والتدلي - والقرب) بين التأويل المقبول وعدمه ، فإنهم متفقون على أنه ليس المراد منه النسبة أو تحديد المكان أو المسافة المتصورة فى الأذهان البشرية ، - وإنما المراد على كلا المعنيين - إثبات ماحصل لنبينا ﷺ فى تلك الليلة من لقاء ومكالمة ومناجاة كان فيها الدليل الأكبر على علو مقامه وعظيم رتبته وشريف درجته عند ربّه ، وكان فيها أيضاً الدليل الأكبر على عظيم فضل الله وسعة رحمته وعنايته بخاصة عباده المقربين إليه ، الخالصين المخلصين الصادقين ، وعلى رأسهم سيد الأمة محمد بن عبد الله ﷺ[3] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١٧/ ٣

(٢)صحاح الأحاديث القدسية مع شرح وتعليق للشيخ محمد عوامة : ٢٥٣ - ٢٥٧ . والنهاية لابن الأثير ٥ / ٢٦١

(٣) مختصرا من كتاب التأويل بين القبول والرد للمؤلف السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى .

أحاديث المعراج فى الميزان

اعتنى العلماء عنايةً كبيرة بتنقيح ماورد فى قصة الإسراء والمعراج من أخبارٍ وآثار بالبحث عنها لمعرفة درجتها وإثبات الصحيح منها ، والتنبيه على الضعيف وردّ الموضوع المكذوب ومالا أصل له ، وهذا كله حماية لمقام النبوة لئلا ينسب إليه ﷺ مالم يقله ، وقد جاء عنه ﷺ التهديد بالوعيد الشديد لمن كذب عليه ولمن روى ذلك الكذب معتقداً أو مروّجاً له فقال كما جاء فى الصحيح : (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وقال ﷺ : من حدَّث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين) .

وقد وقع فى الكتب المؤلفة فى الإسراء والمعراج شيء كثير من ذلك ، ومنها حديث الحجب الذى ذكره القسطلانى فى « المواهب اللدنية » وهو قوله : وذكر أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب ، وعزاه لأبى الربيع ابن سبع فى «شفاء الصدور» من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال بعد أن ذكر مبدأ حديث الإسراء : (أتانى جبريل وكان السفير بى إلى ربى إلى أن انتهى إلى مقام) ، ثم وقف عند ذلك ، ثم قال بعد نحو عشرين سطراً : وفى رواية : (فقدمت وجبريل على أثرى حتى انتهى بى إلى حجاب فراش الذهب) إلى أن قال فى آخره : (ورأيت من خلفي ومن بين كتفى كما رأيت أمامى) . . الحديث . قال القسطلانى بعده : رواه والذى قبله فى كتاب «شفاء الصدور» كما ذكره ابن غالب ، والعهدة فى ذلك عليه . قال

الزرقانى فى «شرح المواهب» : قال الشامى بعد كلام المصنف هذا : وهو كذب بلاشك . . اهـ . قال بعده الزرقانى : والعجب من النعمانى حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتاً عليهما قائلاً : ولا يستبعد وقوع هذا كله فى بعض ليلة . انتهى كلام الزرقانى .

وعبارة الحافظ الشامى بعد نقله الحديث المذكور فى الموضوعات التى ذكرها فى معراجه هكذا ذكره شيخنا أبو الفضل أحمد بن الخطيب القسطلانى فى المقصد الخامس من كتابه «المواهب اللدنية» وقال : رواه والذى قبله ابن سبع فى «شفاء الصدور» كما ذكره ابن غالب ، والعهدة فى ذلك عليه . قال الشامى بعده قلت : وهو كذب بلاشك . وفى تبرى القسطلانى بقوله والعهدة فى ذلك عليه أي على ابن غالب الذى نقله عنه ؛ دليل على أنه قد اطلع على ماقيل فى هذا الحديث ، ومع ذلك ذكره لذكر هؤلاء العلماء له ، وقد قال أيضا بعده : وتكثير الحجب لم يرد فى طريق صحيح ولم يصح فى ذلك غيرما فى مسلم «حجابه النور» .

ومنها وطء العرش ، وقد سئل القزوينى عن وطئه ﷺ العرش بنعله وقول الرب تقدس : «لقد شرفت العرش بذلك يامحمد» . هل له أصل أم لا؟ فأجاب بما نصه : أما حديث وطء النبى ﷺ العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت ، بل وصول النبى ﷺإلى العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولاحسن ولا ثابت أصلا . وإنما صح فى الأخبار انتهاؤه إلى سدرة المنتهى فحسب ، وأما إلى ما وراءها فلم يصح ، وإنما ورد ذلك فى أخبار ضعيفة أو

منكرة لا يعرج عليها . والله أعلم بالصواب . . اهـ . وكتب بعض المحدثين بعد كلام القزوينى المذكور : ماذكره القزوينى هو الصواب .

وقد وردت قصة الإسراء والمعراج عن نحو أربعين صحابياً ليس فى حديث أحد منهم أنه ﷺ كان فى رجليه تلك الليلة نعل . ولم يرد فى حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه ﷺ رقى العرش أو جلس عليه ،

يقول كاتبه محمد علوى : وهذا لايقدح فى علو رتبته وعظيم فضله . وأنه أشرف وأفضل وأكمل وخير مخلوقات الله ، وإنما المسألة فى ثبوت هذا أو عدم ثبوته ، والخصوصية والمنقبة المعيّنة لايصح نسبتها إلى أحد من الأنبياء إلا بسند صحيح أو حسن أو مقبول ، ولو كانت درجته أعلى من ذلك وأفضل .

قصص المعراج المتداولة

اعلم بأن كثيرا من الكتب التى ألفت وكتب فيها مؤلفوها عن الإسراء والمعراج ، قد اشتملت على أشياء لم تثبت عن النبى ﷺ ونخصّ بالذكر منها المعراج المتداول بين العامة والمسمى "بمعراج ابن عباس" ، وابن عباس منه بَرَاء ، لما حواه من الكذب الصُّرَاح على ابن عباس وعلى سيدنا محمد ﷺ ، فمثل هذه الكتب غير الصحيحة السند وغير الثابتة نسبتها إلى من نسبت إليهم لايجوز تعاطيها وقراءتها إلا للاعتبار بكذب الكاذبين ، وأنهم سيتبوؤن مقعدهم من النار ، لأنهم كذبوا متعمّدين على رسول الله ﷺ ، وقد ظنوا بهذا التهويل أنهم يعظمون رسول الله ﷺ ، وهو أسمى وأشرف من أن يسعى الإنسان لتعظيمه بافتراء القصص وتلفيق الأقوال ، فهو ﷺ فى غنىً عن هذا الإطراء المكذوب ، وفيما صح من سيرته ومن إسرائه ومعراجه غنى عما لم يصح . وهو بعد كل ذلك سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة . . . فلنصفه بما صح نقله عنه وبما وصفه به ربه ، ولندع الخيالات والأوهام جانباً .

هذا وننبه هنا إلى أن قراءة قصة المعراج يجب ألاَّ تكون موسمية تقرأ فى السنة مرة ، بل تجب قراءتها بين الحين والحين للاتعاظ بما فيها من العبر والدروس ، حتى يكون المسلم على صلة متجددة بدواعى الإيمان والتقوى وكذلك تلاوة سيرة نبيناﷺ دوماً ليأخذ منها شحنات قوية لإصلاح نفسه ومجتمعه .

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونفعنا بسيرة هذا النبى الكريم وحياته المباركة .

معراج ابن عباس :

وهذه القصة المنسوبة لابن عباس لايشك مسلم عاقل فى بطلان أكثر ماجاء فيها ، وأهم الأدلة على ذلك :

١ - **من ناحية السند :** ليس لهذه القصة أيّ سند صحيح أو غير صحيح ، وأول ماتبتدئ القصة بعزو الكلام رأساً إلى ابن عباس ، فمن الذى نقل القصة عنه ومن نقلها؟ ليس هنالك أيّ ذكر لشيء من ذلك .
وهذا من أوضح الأدلة على وضعها وأن مؤلفها أخفى اسمه ولعله فعل ذلك لكونه معروفا بالكذب ! .

٢ - **من ناحية الأفكار والمعانى :** إن أدنى اطلاع على معانى القصة وأفكارها يوضح بطلانها ففيها أفكار تخالف نصوص الكتاب والسنة وتخالف العقل والعلم ، فمن ذلك زعم مؤلفها أن السماء الأولى من دُخَان ، والثانية من حديد ، والثالثة من نحاس ، والرابعة من فضة بيضاء ، والخامسة من الذهب الأحمر ، والسادسة من ياقوتة خضراء ، والسابعة من درة بيضاء ، مما سبب شك الكثيرين بالدين لظنهم أن هذه القصة منسوبة إلى رسول الله ﷺ .

ومن ذلك قول المؤلف على لسان الله مخاطباً رسول الله ﷺ : وقد

كلمتك على بساط القرب بغير حجاب .

ومن ذلك قوله على لسان النبى ﷺ : « إذا تاب أى المذنب عند الغرغرة جُدنا عليه وقبلنا توبته » وهذا مخالف للقرآن والحديث الصحيح .

ومن ذلك قوله على لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً الله سبحانه إذ سأله : «هل ترانى بعينك؟ فقال : لكنى أراك بقلبى» .

ومن ذلك قوله أن النبى ﷺ رأى ملكا عظيما لو أمره الله أن يبلع السماوات السبع والأرضين السبع فى دفعة لهان عليه! .

ومن ذلك قوله على لسان الله مخاطباً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : «قد خلقتك من نور وجهى» .

هذه طائفة قليلة مما فى القصة من الأخبار الكاذبة المناقضة للكتاب والسنة والعقل والعلم ، نكتفى بالإشارة إليها رغبة فى الإيجاز .

٣ـ **من ناحية الأسلوب** : إن من البيّن الواضح اختلاف أسلوب القصة عن الأسلوب النبوى الكريم مما يفضح وضعها وكذب مؤلفها ، فمن ذلك وجود أخطاء لغوية ونحوية كثيرة يتنزه عنها أسلوبه ﷺ .

ومن ذلك وجود تكلف فى التعبير وتطويل وتكرار وألفاظ قبيحة .

ومن ذلك ابتعاد كثير من تشابيه القصة وصورها عن تشابيه العرب وصورهم المعروفة ، مما يدل على أن واضعها كان يعيش فى جو حضري مترف .

ومن ذلك ورود بعض الكلمات الغريبة والمعانى المجهولة وذكر أعداد مركبة واضحة الصنعة ، إلى آخر ما هنالك .

٤ ـ **وهناك أخيراً عبارات تدل على واضع القصة:** فهو مع محاولته التستر والتخفى ، إلا أنه تفلت منه كلمات تدل عليه ، فمن ذلك قوله فى معرض الحديث عن مزايا الأمة الإسلامية : قال المؤلف رحمه الله تعالى . فمن هو هذا المؤلف؟ .

تخريج أحاديث الإسراء والمعراج

قال الحافظ الشامى : وسبب ذلك أن شخصاً أنكر على ورود لفظة «أهلاً» فى قول أهل السموات للنبى ﷺ ليلتئذ «مرحبا وأهلا» ، فقلت له : هذا اللفظ رواه البخارى من حديث شريك عن أنس رضى الله عنه . وأنكر شخص آخر عرض الآنية فى السماء بعد ذكر سدرة المنتهى ، وقال : هذا ما كان إلا ببيت المقدس ، فقلت له : هكذا رواه البخارى ومسلم من حديث مالك بن صعصعة رضى الله عنه ، فإذا كان مع وجوده فى الصحيحين أنكره هذان الرجلان ، فكيف إنكار غيره؟! فتعين بيان ذلك ورمزت لمن روى الحديث رموزاً ، فالإمام أحمد (أ) والبخارى (خ) ومسلم (م) وأبو داود (د) والترمذى (ت) والنسائى (س) وابن ماجه (هـ) وأبو يعلى (ص) والبزار (ز) وابن حبان (حب) والحاكم (ك) والبيهقى (ق) وابن أبى حاتم (تم) وابن جرير (ير) والطبرانى (ط) وابن مردويه (مر) .

قوله : «بينما النبى ﷺ عند البيت» رواه (خ) فى باب ذكر الملائكة من بدء الخلق ، و(م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فى الحجر» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن أنس من طريق قتادة بلفظ : «فى الحطيم» وربما قال «فى الحجر» ، قال الحافظ ابن حجر : الشك من قتادة .

قوله : « إذ أتاه جبريل وميكائيل » رواه (ير ، ص) عن أبى هريرة .

قوله : «ومعهم ملك آخر» رواه (خ ، م) عن أنس ، قال : «جاءه ثلاثة نفر» . . . الحديث . ورواه ابن مردويه عن أنس من طريق كثير بن خنيس .

قوله : «فقال أولهم» إلى قوله : «ليلة أخرى» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «فقال الأول هو هو» إلى قوله : «على ظهره» رواه ابن مردويه من طريق كثير بن خنيس عن أنس .

قوله : «بين الرجلين» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فتولاه منهم جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس ، واقتضاه ظاهر حديث أبي ذر وأبي هريرة .

قوله : «من ثغرة نحره إلى شعرته» رواه (أ ، خ ، م ، س ، ت) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «قال جبريل لميكائيل» إلى قوله «واشرح صدره» رواه (ص ، ير) من حديث أبي هريرة .

قوله : «فاستخرج قلبه» رواه (م) من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «فغسله» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «ثلاث مرات» رواه (ص ، ير) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ونزع ما كان فيه من أذى» رواه (ص ، ير) من حديثه أيضاً بلفظ : «ماكان فيه من غل» .

قوله : «واختلف إليه ميكائيل» إلى قوله : «ماء زمزم» رواه (ص ، ير) من حديثه أيضا .

قوله : «ثم أتي بطست من ذهب» رواه (خ ، م) فى باب المعراج وغيره

قوله : «ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدره» رواه (خ ، م) من حديث أبى ذر .

قوله : «وملأه» إلى قوله : «إسلاما» رواه (ص ، ير) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ثم أطبقه» رواه (خ ، م) من حديث أبى ذر .

قوله : «ثم ختم كتفيه بخاتم النبوة» رواه (ص ، ير ، ك) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ثم أتي بالبراق» رواه (م) من حديث ثابت ، و(ت) من طريق قتادة كلاهما عن أنس ، وزاد «مسرجا ملجما» .

قوله : «وهو دابة» إلى قوله : «منتهى طرفه» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «مضطرب الأذنين» رواه (ير ، ق) من حديث أبى سعيد .

قوله : «إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يداه» رواه (ص ، ر ، ط) من حديث ابن مسعود .

قوله : «فاستصعب عليه» رواه (ت) من حديث أنس ، و (ز ، ط ، ق) وصححه من حديث شداد بن أوس .

قوله : «له جناحان يحفز بهما رجليه» رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصرى مرسلاً ، ورواه ابن سعد من طريق الواقدى وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة .

قوله : «وكأنها أصرت بأذنيها» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن ابن هاشم عن أنس .

قوله : «فأدارها جبريل بأذنيها» رواه (ز ، ط ، ق) وصححه من حديث شداد .

قوله : «وقال مه يابراق» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «أبمحمد تفعل هذا» إلى قوله : «عرقاً» رواه (أ ، ت ، ير ، حب ، ق) من طريق معمر عن قتادة عن أنس .

قوله : «ثم قرّ حتى ركبه» رواه ابن سعد من طريق الواقدى بإسناده عن جماعة من الصحابة .

قوله : «وكانت الأنبياء تركبها قبله» رواه (س ، مر) من طريق يزيد بن

أبى هاشم عن أنس ، وفى حديث أبى سعيد عند (ير ، تم ، ق) «وكانت الأنبياء تركبها قبلى» وعند (ير) من طريق ابن شهاب قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ أُسري به على البراق ، وهى دابةُ إبراهيم ﷺ التى كان يزور عليها البيت . قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» : وفيه دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء قبله خلافاً لمن نفى ذلك أى كابن دحية والنووى .

قوله : «فانطلق به جبريل» رواه (خ) فى باب المعراج .

قوله : وفى رواية «جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره» رواه سعيد ابن منصور ، و(ط ، مر) عن عبد الرحمن بن قرط .

قوله : «فسار» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «حتى بلغ أرضاً ذات نخل» إلى قوله «حيث ولد عيسى» رواه (س ، مر) من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس ، وفيه «إليها المهاجر» ، وليس فيه ذكر الطور ، ورواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه من حديث شداد ، وفيه ذلك .

قوله : «فبينما هو يسير على البراق إذ رآى عفريتاً» إلى قوله «شعلته» رواه (س ، ز ، ط) فى الدعاء موصولاً ، ومالك معضلاً من حديث ابن مسعود .

قوله : «فسار فأتى» إلى قوله : «يخلفه» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ووجد ريحا طيبة» إلى قوله «وولد بها» رواه (أ ، س ، حب ، ط ، ق) بسند صحيح عن ابن عباس ، و(د ، مر) يزيد بعضهم على بعض .

قوله : «وأتى على قوم ترضخ رؤسهم» إلى قوله «توعدون» ، رواه (ص ، ز ، ير ، ق ، ك) وصححه من حديث أبي هريرة .

قوله : «ورجلاً يسبح» إلى قوله «الربا» ، رواه ابن مردويه عن سمرة ابن جندب .

قوله : «ثم أتى على رجلٍ قد جمع» إلى قوله «الفتنة» رواه (ص ، ز ، ير ، ق ، ك) من حديث أبي هريرة .

قوله : «خطباء أمتك» إلى قوله «مالا يفعلون» رواه (حب ، مر) عن أنس .

قوله : «ومر بقوم لهم» إلى قوله «أعراضهم» رواه (أ ، د) عن أنس .

قوله : «ثم أتى على جُحْر صغير يخرج منه» إلى قوله «قد رضيت» رواه (ص ، ر ، ير ،ق ، ك) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ورأى الدجال» إلى قوله «شجرة» رواه (أ ، ص ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «شبهه بعبد العزى بن قطن» رواه (ط ، مر) عن أم هانئ .

قوله : «ورأى عموداً» إلى قوله «بالشام» رواه (تم) عن عبد الله بن حوالة .

قوله : «إذ داع» إلى قوله : «إليها» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) من حديث أبى سعيد .

قوله : «ثم سار فإذا هو بعجوز» إلى قوله : «ثم الثالثة» رواه (ير ، مر ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «ومر على موسى وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر» رواه ابن أبى شيبة ، و (م ، س ، مر ، ق) عن أنس .

قوله : «رجل سبط» إلى قوله : «له بالبركة» رواه (ص ، ز ، ط) عن ابن مسعود ، وابن عرفة وأبو نعيم وابن عساكر ، يزيد بعضهم على بعض .

قوله : «ثم سار فقال : ياجبريل» إلى قوله : «على الآخر» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) من حديث أبى سعيد .

قوله : «وأما العجوز» إلى قوله : «وعيسى» رواه (ير ، مر ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «ثم انطلق به» إلى قوله : «الشخنة» رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : «فدخل المدينة من بابها اليمانى» رواه (ز ، تم ، مر ، ق) من حديثه أيضا .

قوله : «وإذا عن يمين المسجد» إلى قوله : «مريم» رواه الواسطى فى فضائل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم ، قال : حدثنى بعض أشياخنا أن رسول الله ﷺ . . فذكره .

قوله : «ودخل المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر» رواه (ز ،تم، ط ، مر ، ق) من حديث شداد .

قوله : «فأتى جبريل» إلى قوله : «البراق» رواه (ت ، ز ، ك) وصحّحه عن بريدة .

قوله : «فلما استووا فى صخرة» إلى قوله : «فلم يموتوا» رواه (تم) من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس .

قوله : «ركعتين» رواه (م) من طريق ثابت .

قوله : وفى رواية «فأقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدّموا محمداً» رواه (ط ، مر) عن أبى ليلى .

قوله : «فلما انصرف» إلى قوله : «بعثه الله» رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ثم صلى مع الملائكة» إلى قوله : «بهذا فضلكم محمد» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، مر ، ق) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ثم تذاكروا أمر الساعة» إلى قوله : «بولادتها ليلاً أو نهاراً» رواه سعيد بن منصور ، ورواه (أ ، هـ ، ير ، ك) وصححه (ق) عن ابن مسعود .

قـوله : «وأخـذه من العطش أشـد مـا أخـذه» رواه (ز ، تم ، ط ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : « فأتي بآنية» إلى قوله : «على أمتك» رواه (ص ، ز ، ير) عن أبى هريرة .

قوله : وفى رواية « فعرض عليه الماء والخمر واللبن» رواه (ير ، مر ، ق) عن أنس .

قـوله : وفى رواية «العـسل بدل الماء» رواه ابن عـرفـة وأبو نعـيم من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن مردويه عن عمر بلفظ : «فإذا ملك قائم معه آنية ثلاثة ، فتناولت العسل فشربت منه» ، وفى حديث شداد عند (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه بلفظ : «وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فأتيتُ بإناءين أحـدهمـا لبن ، وفى الآخـر عـسل» ورواه (خ) فى باب المعـراج عن مالك بن صـعـصعة بلفظ : «ثم أُتيتُ بإناء من خمـر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل» ، لكن ذكر أن ذلك فى السماء بعد أن رأى شجرة المنتهى .

قوله : «فضرب جبريل منكبيه وقال : أصبت الفطرة» رواه ابن عـرفة وأبو نعيم عن ابن مسعود ، و (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد ، ورواه (م) من طريق ثابت عن أنس بلفظ : «اخترت الفطرة» .

قوله : «ولو شربت الخمر لغوَتْ أمتك» رواه (ير ، ز ، ق) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ولم يتبعك منهم إلا القليل» رواه (ير ، ز ، ق) من حديثه أيضاً .

قوله : «ولو شربت الماء لغرقت أمتك» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : وفي رواية «فقال شيخ» إلى قوله «المهدى» رواه (ز ، تم ، ط ، ق) وصححه من حديث شداد .

قوله : «ثم أُتي بالمعراج» إلى قوله «بالمعراج» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «له مرقاة من ذهب ومرقاة من فضة» رواه الواسطي في فضائل بيت المقدس عن كعب .

قوله : «فصعدوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف» ، رواه بهذا اللفظ (ير) في «تفسيره» و (ق) في «الدلائل» ومنهما نقلت من حديث أبي سعيد ، وهكذا رواه القاضي أبو سعيد الخليل بن أحمد السجستاني في آدابه عن أبي سعيد ، وفي رواية عند (ز) «تحت يده سبعون ألف ملك ، تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك» وعند ابن إسحاق : «اثني عشر ألف ملك ، مع كل ملك اثنا عشر ألف ملك» .

قلت : هو «في دلائل النبوة» ٢/ ٣٩٦ ، وقال معلقه : مداره على

أبى هارون العبدى ، وهو متروك .

قوله : «فاستفتح جبريل» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قيل من هذا؟ قال جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس ، و (م) من طريق ثابت بلفظ : «من أنت» .

قوله : «قال محمد» إلى قوله «وأهلا» رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قيل : وقد بعث إليه؟» رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفى رواية «أوَ قد أرسل إليه؟» رواها (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة ، و (خ) فى باب المعراج بلفظ : «قد أرسل إليه؟» .

قوله : «حياه الله من أخ» إلى قوله «المجئ جاء» رواه (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة بلفظ : «فنعم المجيئ جاء» .

قوله : «فلما خلصوا فإذا فيها آدم» رواه (خ) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «كهيئته» إلى قوله «سجين» رواه (ير ، مر ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وعن يمينه أسودة إذا نظر قِبَل يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبَل شماله بكى» رواه (خ ، م) من حديث مالك بن صعصعة ، وأخرجاه من حديث أبى ذر .

قوله : «عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذى عن شماله بكى وحزن» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فسلم عليه النبى ﷺ فرد السلام وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح» رواه (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فقال النبى ﷺ ياجبريل ، من هذا؟ قال : هذا أبوك آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى» رواه (خ ، م ، س) عن أبى ذر .

قوله : «وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «ثم مضى ﷺ» إلى قوله : «اللمازون» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : « ثم صعدا» إلى قوله : «ونعم المجئ جاء» تقدم .

قوله «بابن الخالة عيسى ابن مريم ويحى بن زكريا» رواه (م) عن أنس من طريق ثابت ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ومعهما نفرٌ من قومهما شبيهٌ أحدهما بصاحبه» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فسلم فردًا» إلى قوله «النبى الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعوا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «وإذا عيسى» إلى قوله «سبط الرأس» رواه (م) عن ابن عباس

قوله : «من ديماس» - يعنى حمام - هو تفسير عبد الرزاق أحد رواته رواه (م) عن أبى هريرة .

قوله فى يوسف : «ومعه نفر من قومه» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فسلم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قد أعطي شطر الحسن» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله فى إدريس : «قد رفعه الله مكانا عليا» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فسلم عليه» إلى قوله : «النبي الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت .

قوله : «فإذا هو بهارون ، ونصف لحيته بيضاء» إلى قوله : «طولها» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وحوله قوم» إلى قوله «عليهم السلام» رواه (ز ، ص ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فسلم عليه فرد عليه السلام» ثم قال : «مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «ياجبريل من هذا؟ قال : هذا المحبَّب فى قومه هارون بن عمران» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فاستفتح جبريل» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قيل : من هذا؟ قال : جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قيل : وقد بعث إليه؟» رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفى رواية «أوَقد أرسل إليه؟» رواها (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة ، و (خ) بلفظ : «قيل : قد أرسل إليه؟» .

قوله : «حياه الله من أخ» إلى قوله «المجيء جاء» رواه (ص ، مر ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فجعل يمر» إلى قوله «بغير حساب» رواه (ت ، س ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «فإذا موسى بن عمران رجل» إلى قوله «شنوءة» رواه (م) عن ابن عباس ، و (خ) عن أبى هريرة وليس عنده رجل .

قوله : «كثير الشعر» إلى قوله «دونهما» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «قال يزعم» إلى قوله «على الله منى» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فلما جاوزه» إلى قوله «أمتى» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «يزعم بنو إسرائيل» إلى قوله «مع كل نبى أمته» رواه (ص ، ز ، ير ، د ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «رأى فوقه رعداً وبرقاً وصواعق» رواه ابن أبى شيبة ، و (أ ، هـ ، تم ، ص) عنه أيضا .

قوله : «فاستفتح جبريل» رواه (م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قيل من هذا؟ قال : جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قال محمد» إلى قوله «أهلاً» ، رواه (خ ، م ، س) من

طريقه أيضا .

قوله : «قيل : وقد بعث إليه؟» رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفى رواية : «وقد أرسل إليه؟» رواها (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «حياه الله» إلى قوله «جاء» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فسمع تسبيحاً» إلى قوله «وتعالى» رواه سعيد بن منصور ، و (ط ، مر) عن عبد الرحمن بن قرط .

قوله فى إبراهيم : «رجل أشمط» إلى قوله «كرسى» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «مسنداً ظهره إلى البيت المعمور» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس ، و (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «ومعه نفر من قومه» رواه (ير ، ت ، م ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فسلم عليه» إلى قوله «النبى الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «وهو أشبه ولده به» رواه (خ ، م ، ير) عن أبى هريرة .

قوله : «وقال مُرْ أمتك» إلى قوله «فليكثروا» إلى قوله : «إلا بالله» رواه (أ ، تم ، وابن حبان ومر) عن أبى أيوب الأنصارى .

قـولـه : وفـى روايـة «مُـرْ أمـتـك» إلى قـولـه «أكـبـر» رواه (ت) وقـال : حسن، و (ط ، مر) عن ابن مسعود .

قوله : «وعنده» إلى قوله «طهورا» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «وقيل له هذا» إلى قوله «القيمة» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد . وروى منه (أ ، خ ، م ، ت ، س) قال : «ياجبريل ماهذا؟ قال : هذا البيت المعمور يدخله سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودُوا» وفيه «آخر ماعليهم» .

قوله : «ثم خرج ومن معه» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «ثم أتي بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل» رواه (خ) فى باب المعراج عن مالك بن صعصعة ، وفى الأشربة فى باب شرب اللبن من طريق شعبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً : «رفعت له سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار ، قال : وأتيت بثلاثة أقداح» . لم يذكر شعبة فى الإسناد مالك ابن صعصعة ، وعند (م) عن مالك بن صعصعة بعد ذكر البيت المعمور «ثم أتيت بإناءين ، أحدهما خمر والآخر لبن» ، وعند ابن عائذ من حديث أبى هريرة فى حديث المعراج بعد ذكر إبراهيم «ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة آنية مغطاة» . . . الحديث .

قوله : «أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة» رواه (م ، هـ) عن مالك بن صعصعة ، ورواية «هي الفطرة التى أنت عليها وأمتك» رواها (خ)

فى باب المعراج عنه .

قوله : «ثم رفع إلى سدرة المنتهى» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وإليها ينتهى مايعرج من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى مايهبط من فوق فيقبض منها» رواه (م ، ت ، س ، مر) عن ابن مسعود .

قوله : «وإذا هي شجرة» إلى قوله «لايقطعها» رواه (ص ، ز ، مر ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «وإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها كآذان الفيلة» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة ، ورواية «مثل آذان الفيول» رواها (خ) فى باب ذكر الملائكة عنه أيضا .

قوله : «تكاد الورقة تغطى هذه الأمة» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

وفى رواية : «الورقة مغطية الأمة كلها» رواها (ص ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «على كل ورقة ملك» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيها ألوان لايدرى ماهي» رواه (خ ، م) فى حديث أبى ذر .

قوله : «فلما غشيها» إلى قوله «من حسنها» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «تحولت ياقوتا» رواه ابن عائذ عن أنس .

قوله : «فيها فراش من ذهب» رواه بهذا اللفظ (مر ، م) نحوه ، وفى رواية «جراد» رواها (مر) من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس .

قوله : «فقيل له» إلى قوله «على سبيلك» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وإذا فى أصلها أربعة أنهار» إلى قوله «الفرات» رواه (أ ، خ) فى باب ذكر الملائكة ، و (م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : وفى رواية «وإذا فى أصلها عين تجرى يقال لها «السلسبيل» ، فينشق منها نهران : أحدهما الكوثر» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله «عليه خيام اللؤلؤ» إلى قوله «أشد ريحا من المسك» . رواه (تم) من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس .

قوله : «فقال له جبريل : هذا النهر الذى خبأ لك ربك» . رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «وأما هذا فنهر الرحمة» إلى قوله «بشر» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وفى حديث ابن مسعود» إلى قوله «مما لا يعلمه إلا الله» . رواه أحمد من طريقين ، قال ابن كثير : فى أحدهما حسن وفى الآخر جيد

قوي ، وأبو الشيخ فى "العظمة" والبيهقى فى «الدلائل» وأهل الحديث فى «مسلم» .

قوله : «فرأى على بابها» إلى قوله «من حاجة» . رواه (هـ ، مر ، ق) عن أنس .

قوله : «فاستقبلته جارية» إلى قوله «حارثة» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أُبي بن كعب .

قوله : «وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ» . رواه (خ ، م ، س) عن أبى ذر .

قوله : «إنهم يسألوني عن الجنة» إلى قوله «وترابها المسك» . رواه (مر) عن أُبي بن كعب .

قوله : «وسمع فى جنابتها» إلى قوله «المؤذن» . رواه (أ ، مر) وأبو نعيم والضياء فى «المختارة» بسندٍ صحيح عن ابن عباس .

قوله : «فإذا هو بأنهار» إلى قوله «يأكل منها» . رواه (ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وبينما هو يسير إذا هو بنهر» إلى قوله «هذا الكوثر» رواه (م) من طريق قتادة عن أنس .

قوله : «ثم عرضت عليه النار» إلى قوله «لأكلتها» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فإذا قوم يأكلون» إلى قوله «الناقة» . رواه (أ ، ير) وأبو نعيم والضياء فى «المختارة» .

قوله : «ورأى ملكاً» إلى قوله «في وجهه» . رواه (مر) عن عمر ، وأخرجه (م) عن ابن عباس بنظير هذا اللفظ .

قوله : «فبدأ النبى ﷺ بالسلام» . رواه (م ، س ، مر) عن أبى هريرة

قوله : «ثم أغلقت دونه ثم رفع إلى سدرة المنتهى» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيها أنوار الخلاق» إلى قوله «يقعن على الشجر» . رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيته سحابة فيها من كل لون» رواه (تم) عن أنس .

قوله : وفى حديث : «أن جبريل قال له» إلى قوله «غضبى» رواه الطبرانى عن أبى هريرة مرفوعاً ، ورواه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح ، وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» وتعقبه صاحب «القاموس» فى كتاب «الصِلاَت والبشر» وشيخنا فى «تهذيب كتاب الموضوعات» .

قوله : «فتأخر جبريل» . رواه (تم) عن أنس بلفظ : «فرفضنى جبريل» .

قوله : «ثم عرج به حتى ظهر بمستوى سمع فيه صريف الأقلام» رواه (خ ، م ، س ، هـ) عن ابن عباس وأبى حبة الأنصارى .

قوله : «ورأى رجلاً مغيباً فى نور العرش» إلى قوله «لوالديه» . رواه (ق ،ط) ، قال المنذرى : رواه ابن أبى الدنيا عن أبى المخارق مرسلاً ، وأبو المخارق مجهول .

قوله : «فرأى الله سبحانه وتعالى» تقدم فى شرح غريب القصة مَن رواه .

قوله : «فخر النبى ﷺ ساجداً» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «فكلمه ربه تبارك وتعالى عند ذلك» . رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «سل» إلى قوله «والنهى عن المنكر» . رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «وإنى يوم خلقت» إلى قوله «وأمتك» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «قال أبوهريرة» إلى قوله «بخمسين صلاة» ، رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عنه .

قوله : «وأعطي ثلاثاً ، إنه سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين» . رواه البغوى فى «معجمه» عن عبد الله بن أسعد بن زرارة .

قوله : «وأعطي رسول الله ﷺ» إلى قوله «المقحمات» . رواه (م ، ت ، س ، مر) عن ابن مسعود .

قوله : «ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده فانصرف سريعاً فأتى

إبراهيم فلم يقل شيئاً» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ثم أتى على موسى ونعم الصاحب كان لكم» . عزاه فى «فتح الباري» لحديث أبى سعيد .

قوله : «فقال : ماصنعت يامحمد؟» . رواه (ط ، مر) عن أبى ليلى .

قوله : «مافرض ربك عليك وعلى أمتك؟ قال : خمسين صلاة» . رواه (مر) عن أنس ، و (س ، ز) من طريق يزيد عنه .

قوله : «كل يوم وليلة» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف عنك وعن أمتك» ، رواه (تم ، مر) عن أنس .

قوله : «قد خبرت الناس قبلك» . رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فإن أمتك لاتطيق ذلك ، فإنى بلوت بنى إسرائيل» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «وجربت» وفى لفظ : «جربت الناس قبلك» . رواه (أ ، خ ، م ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «وعالجتهم أشد المعالجة» . رواه (أ ، خ ، م ، ت) عنه أيضا .

قوله : «على أذنى من هذا» إلى قوله «إن شئت» . رواه (خ ، م ، ير)

من طريق شريك عن أنس .

قوله : «فرجع سريعا حتى انتهى إلى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجداً» . رواه (تم) من طريق يزيد عن أنس ، وأخرجه (س ، مر) بلفظ : «فرجعت فأتيت سدرة المنتهى فخررت ساجداً» ، ولم يذكر تمامه .

قوله : «وقال : رب خفف عن أمتى» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فإنها أضعف الأمم» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : قال : «قد وضعت عنكم» . رواه (تم) عن أنس .

قوله «خمسا» . رواه ابن أبى شيبة ، و (أ ، م ، مر) من طريق ثابت عن أنس ، وابن خزيمة والبيهقى وابن مردويه من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «ثم انجلت عنه السحابة ، ورجع إلى موسى ، فقال : وضع عنى» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لاتطيق ذلك» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه يحط خمساً خمساً» . رواه (أ) من طريق ثابت عن أنس ، وابن خزيمة من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «حتى قال : يامحمد هن خمس صلوات» إلى قوله «واحدة» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس إلى قوله «لبيك وسعديك» فرواه (خ ، م ،

ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «ولا ينسخ كتابى ، تخفيفها عنكم كتخفيف خمس صلوات» . رواه (م) عن أنس .

قوله : «فنزل حتى انتهى إلى موسى فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فإن أمتك لاتطيق ذلك» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : قد راجعت ربى حتى استحييت منه» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة وأبى ذر .

قوله : «ولكنى أرضى وأسلم» إلى قوله «عبادى» . رواه (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فقال موسى اهبط بسم الله» . رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «ولم يمر علي ملك من الملائكة إلا قالوا عليك بالحجامة» ، وفى لفظ : «مر أمتك بالحجامة» . رواه (أ ، هـ ، ك) وصححه عن ابن عباس .

قوله : «ثم انحدر فقال لجبريل» إلى قوله «إليك» ، رواه (تم) عن أنس

قوله : «فلم نزل» إلى قوله «العجائب» ، رواه ابن أبى شيبة ، و (أ ، هـ ، تم) عن أبى هريرة .

قوله : «ثم ركب منصرفاً فمرّ بِعيرٍ لقريش تحمل طعاماً» ، رواه (تم) عن أنس .

قوله : «بمكان كذا وكذا» ، رواه (مر) عن أنس .

قوله : «منها جمل عليه غرارتان» إلى قوله «وانكسر» ، رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ومر بعير لقريش» إلى قوله «بمكة» ، رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : «فلما أصبح» إلى قوله «متعجباً» ، رواه ابن أبى شيبة ، و (أ ، س ، ز ، ط ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «فضجوا» إلى قوله «صف لنا بيت المقدس» ، رواه (ص) وابن عساكر عن أم هانئ .

قوله : «كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل» ، رواه (ير ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «وفى القوم من سافر إليه» إلى قوله «لقد أصاب» ، رواه ابن أبى شيبة ، و (أ ، س ، ز ، ط ، مر) بسندٍ صحيح .

قوله : «أشهد أنك رسول الله» ، رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد ، و (ك ، مر ، ق) عن عائشة .

قوله : «ثم قالوا : يامحمد» إلى قوله «من الثنية» ، رواه (ص)

وابن عساكر عن أم هانئ وليس عندهما ، «بمكان كذا وكذا» ، ورواه (تم) عن أنس نحوه ، وفيه ذلك .

قوله : «قالوا فمتى يجيء» إلى قوله «حتى دخلت العير» ، رواه البيهقى عن أنس بن بكير ، ورواه أيضاً عن إسماعيل السدى ، وروى الطبرانى فى " الأوسط " بسند حسن كما قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» ، وابن حجر فى باب قول النبى ﷺ أحلت لكم الغنائم من «فتح البارى» ، وأبو زرعة ابن العراقى فى الباب المذكور من «تكملته» لشرح تقريب والده عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعةً من النهار فتأخرت ساعة من النهار» .

قوله : «فاستقبلوا الإبل» إلى قوله «الأرض» ، رواه (ط ، مر) عن أم هانئ واللفظ للأولين ، وأخرج البخارى فى باب الإسراء عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾[1] . قال : « هي رؤيا عين أريها النبى ﷺ ليلة أسري به » زاد سعيد بن منصور عن سفيان فى آخر الحديث « وليست رؤيا منام » ، قال فى « فتح البارى » : إضافة الرؤيا للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن فقال : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾[2] ورؤيا العين فقال : ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾[3] ، وروى ابن مردويه من حديث الحسن بن علي رفعه « إنى رأيت كأنّ بنى أمية يتعاورون منبرى هذا ، فقيل : هى دنيا تنالهم ، ونزلت هذه الآية » . . وروى ابن مردويه أيضاً من طريق العوفى

(١) الإسراء : ٦٠ (٢) النجم : ١١ (٣) النجم : ١٧

عن ابن عباس قال : « رأى أنه وصل مكة وأصحابه فلما رده المشركون كان لبعض الناس بذلك فتنة» ، قال الحافظ : وكلاهما ضعيف - أى فالصحيح ماتقدم - [1]

---

(١) وقد ذكر الشامى فى آخر مباحث المعراج من كتابه «سبل الهدى والرشاد» (ج ٣ ص ٢٤٢ : أن له كتابا خاصا فى التخريج يسمى «الإفراج فى تخريج أحاديث قصة المعراج» . وهذا المبحث نقلناه من كتابه المخطوط المسمَّى (الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة) وهو تحت البحث والتحقيق .

الأحاديث الباطلة والموضوعة
فى هذا البـاب

وقد ذكر الحافظ الشامى فى كتابه «الآيات العظيمة الباهرة» فصلاً خاصا عن الأحاديث الباطلة والموضوعة ذكر أنه نقلها من كتاب «الموضوعات» لأبى الفرج ابن الجوزى ، والتى أقره عليها الحافظ الذهبى فى «مختصره» والشيخ الحافظ ابن حجر فى «تهذيب كتاب ابن الجوزى» وأنه زاد من عنده على ماذكره هؤلاء بعض التعقبات ، ثم ساق الأحاديث وأنا أختصر ذلك بالإشارة إلى كل حديث مع اختصاره .

حديث علي مرفوعاً : « نوديت ليلة أسري بى ، يامحمد سَلْ تُعطَ ، فرجف واضطرب كل عضو منى ، فقلت : اللهم إنى أسألك أن تثبت شفاعتى » .

حديث أنس مرفوعاً : « قلت لجبريل حين أسري بى ، هل على أمتى حساب؟ فقال : كل أمتك عليها حساب ماخلا أبا بكر » .

حديث أنس مرفوعاً : « لما دخلت الجنة نظرت إلى برجٍ أعلاه نور وأسفله نور ، فقيل : هذا لأبى بكر » .

حديث أبى سعيد مرفوعاً : « نادى مناد ، يامحمد أحبَّ من أحبّ ، فقلت : ومن تحب ياربى؟ قال : أُحب أبابكر . فقال النبى ﷺ لأبى بكر : بخٍ بخٍ ، الله يحبك وأنا أحبك ، ولو أحبك أهل الأرض جميعاً

ماعذبهم الله بالنار » .

حديث آخر عن ابن عباس فى فضل أبى بكر ، وفيه « أن النبيﷺ قال : ومن مثلك يا أبابكر ، ولو أحبك الثقلان لما عذبهم الله بالنار » .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « لقينى ملك من نور فسلمت عليه فقال الله له : سلَّم عليك صفيٌّ ونبيٌّ فلم تقم إليه ، وعزتى وجلالى لتقومَنّ فلا تقعد إلى يوم القيامة » .

حديث ابن عباس : « أن النبى ﷺ لقي زكريا فسأله عن كيفية قتله فحدثه بها » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيّدته بعلِي ، نصرته بعلِي » .

حديث علي مرفوعاً : « رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب لا إله إلا الله ، محمد حبيب الله ، علي ولي الله ، فاطمة أمَة الله ، الحسن والحسين صفوة الله » .

حديث ابن عمر مرفوعا : « لما عرج بى إلى السماء بكت الأرض » .

حديث أنس مرفوعاً : « سألت ربى ليلة أُسري بى أن يجعل حساب أمتى على يدى » .

حديث أبى هريرة : «أنه مر ﷺ ليلة الإسراء بقبر إبراهيم فنزل وصلّى» .

حديث أبي هريرة مرفوعاً : « لما أُسري بي غمسني جبريل في النور غمسةً » .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « بعثني الله ليلة أُسري بي إلى يأجوج ومأجوج » .

حديث أبي الدرداء مرفوعاً : « مازِلْت بالأشواق إلى الديك الأبيض وإنه تحت العرش » .

حديث أنس مرفوعاً : « أنه رأى ربه ليلة أسري به وعليه تاج من لؤلؤ »

حديث : « أنه عرق فقطرت منه قطرة أنبت الله منها ريحان البنفسج »

حديث عائشة مرفوعاً : « أنه أكل من شجرة في الجنة فصارت نطفة ، فلما هبط إلى الأرض واقع خديجة فحملت بفاطمة » .

حديث أبي الدرداء : « أنه رأى في العرش مثله » .

حديث ابن عمر : « لما أسري بالنبي ﷺ أوحى الله إليه بالأذان فنزل فعلمه بلالاً » .

حديث علي مرفوعاً : « سقط إلى الأرض من عرقي فنبت منه الورد »

حديث علي مرفوعاً : « الفقر فخري وفخر أمتي » .

حديث أنس مرفوعاً : « الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج » .

حديث أنس مرفوعاً : « أنه رأى نوعاً من الرياحين وهو المزرنوش نابتاً

تحت العرش » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت ليلة أسري بى خيلاً موقوفة بأجنحة ، وأنها لمجيئ أبى بكر وعمر لزيارة الله » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت ليلة أسري بى ثمانين ألفا من الملائكة على خيول من الياقوت يستغفرون لأبى بكر وعمر » .

حديث : « أن النبى ﷺ سلم على الشمس وأن عليها كسوةً عظيمة » .

حديث أسعد بن زرارة مرفوعاً : « أوحى الله إليّ ليلة أسري بى فى عَليّ ثلاث خصال : أنه سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين » .

حديث عائشة مرفوعاً : « أنه صلىّ بالملائكة » .

حديث علي مرفوعاً : « أنه علمه جبريل الأذان ليلة الإسراء ، وأنه خرج ملك من وراء الحجاب لايعرفه جبريل » .

حديث ابن عباس : « أن جبريل قال للنبى ﷺ سل الله لى أن أبسط جناحى لأمتك على الصراط حتى يجُوزُوا عليه » .

وفى خبر السبعين ألف حجاب ، وفيه « أنه ناداه مناد بصوت أبى بكر قف فإن ربك يصلى » وفيه « أن الله علمه القرآن كله » والحديث طويل جداً وفيه « أنه تدلى له قطرة من العرش فوق لسانه » وكله كذب بلا شك .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « رأيت ليلة أُسري بى أعاجيب من عباد

الله وخلقه ، ومن ذلك « الديك الأبيض » وذكر خبراً طويلا عنه ، ومن ذلك « الملك الذى نصفه من الثلج ونصفه من النار » ، ومنها « أنه مر بملك آخر جالس على كرسى ، وأن جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبين يديه » وفيه ذكر منكر ونكير وأوصافهما .

معارف وعلوم جديدة فى رحلة الإسراء والمعراج

قال الإمام العارف بالله سيدى محمد الباقر الكتانى :

لما كان الإسلام دين العلم بجميع أنواعه وكانت هناك علوم لَدُنِّيَّة وأسرار غيبية لايمكن أن تلقن إلا مباشرة وبدون واسطة ، اشتاق ﷺ إلى معرفة هذه العلوم ، لأنه على وشك الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لتأسيس الدولة الإسلامية المنتظرة ووضع الترتيبات والتنظيمات لضمان سير البشرية فى جميع الأزمنة والأمكنة فى طريق مستقيم ، لايزيغ عنه إلا هالك ، ولم يبق بينه وبين الهجرة إلا سنة .

لهذا استدعى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ لتلقينه تلك العلوم وإطلاعه على كثيرٍ من الأسرار والفهوم ، وأيضا لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لعباده أنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلا وإن استطاعوا أن يغزوا الفضاء وغيره من الأفلاك العلوية ، استدعى العالم الأكبر والرائد الأشهر ﷺ ليقطع المسافات التى يستبعد العقل البشري قطعها ، ويبقى مثلا أعلى فى ذلك لايمكن أن يحدو حدوه منّا سابق ولا لاحق .

وقد نبه سيدنا الإمام الوالد رضوان الله عليه على الشطر الأول من هذا السبب فى فصل من فصول ألفيته التى وضعها فى الكمالات المحمدية على بعض تلك العلوم التى استفادها ﷺ من ربه ليلة المعراج ، فعدّ منها :

١ ـ العلم المحيط بتدبير الممالك والأشياء .

٢ ـ فقه الهداية .

٣ـ علم الكون .

٤ ـ أسرار الظهور .

٥ ـ أحكام القضاء والمشيئة .

٦ ـ معنى النفوذ .

٧ ـ آداب الملك والمالك .

٨ ـ آداب التشريع وآداب الرتب .

٩ ـ تصريف القدرة .

وختم أبياته بقوله :

وأشـــهده ما لا يطــاق شهوده   وأســكنه بحبــوح علــم الإرادة

ونبه الإمام الرازي رحمه الله تعالى فى "تفسيره" على الشطر الثانى فقال :

إن الحركة الواقعة إلى هذا الحد ممكنة فى نفسها ، ويدل عليه وجوه :
الوجه الأول : إن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره مايقرب من نصف الدور ، وقد ثبت فى الهندسة أن نسبة القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسُبُع ، فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع ، وبتقدير أن يقال إن رسول الله ﷺ ارتفع من مكة إلى مافوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر ، فلما

حصل فى ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتقاء من مكة إلى مافوق السموات فى مقدار ثلث من الليل أمر ممكن فى نفسه ، وإذا كان كذلك كان حصوله فى كل الليل أولى بالإمكان ، والله أعلم .

الوجه الثانى : وهو أنه ثبت فى الهندسة أن قرص الشمس يساوى كرة الأرض مائةً وستين وكذا مرة ، ثم إنا نشاهد أن طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع وذلك يدل على أن بلوغ الحركة فى السرعة إلى الحد المذكور أمرٌ ممكن فى نفسه .

الوجه الثالث : أنه جاء فى القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات القليلة .

قال تعالى فى صفة مسير سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ غدوُّها شهر ورواحها شهر ﴾(1) بل نقول : الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان فى غاية البعد فى اللحظة الواحدة ، وذلك أيضا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة فى نفسها ممكنة .

الوجه الرابع : أن القرآن يدل على أن الذى عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام فى مقدار لمح البصر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾(2) وإذا كان ممكنا فى حق بعض الناس علمنا أنه فى نفسه ممكن الوجود .

---

(1) سبأ : ١٢ (2) النمل : ٤٠

الوجـه الخـامس : أن من الناس من يقـول[1] : الحـيـوان إنما يبـصـر المبصرات لأجل أن الشعاع يخرج من عينيه ويتصل بالمبصَر ، ثم إنا إذا فتحنا العين ونظرنا إلى رجل رأيناه ، فعلى قـول هؤلاء انتـقل شـعـاع العين من أبصـارنا إلى رجل فى تلك اللحظة اللطيـفـة ، وذلك يدل على أن الحـركـة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لامن الممتنعات ، فثبت بهذه الوجوه أن حصول الحركة المنتهية فى السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن الوجود فى نفسه . انتهى باختصار .

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[2] ، ﴿وقل رب زدنى علما﴾[3] .
﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[4] .

---

(١) قول الإمام الكتانى (إن من الناس) يفيد أن هناك من يقول بخلاف هذه النظرية . وهو أن الشعاع يخرج من مصدر الضوء فيقع على الشيئ المرئى فينعكس ذلك على بؤرة العين فتراه .
(٢) المؤمنون : ١٤ (٣) طه : ١١٤ (٤) الإسراء : ٨٥ ـ من يواقيت التاج فى قصة الإسراء والمعراج للإمام محمد الباقر الكتانى .

وهو بالأفق الأعلى :

لقد كان حادث الإسراء والمعراج هو الفيصل بين طائفتين : طائفة ثابتة على إيمانها لاتزعزعها الأعاصير ، تميد الجبال ولاتميد ، وطائفة مشركة ، قد أحكمت أمرها ، ورتبت شؤونها وجزمت العزم على أن تقضى على الإسلام مهما طال الزمن .

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية منهم ، ويسمع هذا النبأ قوم فيصل إلى أعماق قلوبهم فيتجهون إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ويرون أن هذا النبأ ينطوى على توجيهات لاينبغى أن يمر مَرَّ الكرام .

من هذه التوجيهات :

لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو عن طريق الإرشاد الإلهى ، وكان الكتاب الذى أنزل عليه صلوات الله عليه وسلامه ـ وهو القرآن ـ خاتم الكتب وأكملها ومهيمناً عليها .

ولأن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه تخلَّقَ بأخلاق أكمل كتابٍ ربانى ، فهو إذن أكمل رسل الله عليهم الصلاة والسلام ومن هنا كانت

إمامته صلوات الله عليه وسلامه بالرسل والأنبياء فى بيت المقدس ، ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسولٍ ، كان من أجل ذلك أقرب المقربين إلى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطَّى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى مالم يصل إليه البشر ، بل إلى مالم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ، لقد وصل صلوات الله وسلامه عليه إلى قاب قوسين أو أدنى . ولقد رآى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

المصدر الحقيقى للأخلاق :

وبعض الناس فى العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بَيْدَ أن ذلك خَطَأٌ بَيِّن فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته واتجاهه الذى يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط .

إن الضمير يُصنع كما تصنع المزيفات وهو إذاً مقياس للأخلاق خاطئ، وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إنما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة ، والمصلحة العامة إذَن كأساس للأخلاق ، إنما هى أساس غير مضمون .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية أو اللذة

أو إلى المنفعة ، وكل هذا وارد الغرب الأوربى ، أو الغرب الأمريكى عندما انحرف هذا الغرب وألحد .

أما وارد الإسلام الإلهى فإن مقياس الأخلاق فيه إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التى أوحاها الله سبحانه وتعالى ، هذه الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين ، وتحدث عنها نبأ الإسراء والمعراج فى صور حقيقية دالة هادفة مؤثرة ، وبينتها السنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أُسُس من الإيمان قوية ثابتة ، إنها فى رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله .

وإذا كانت التوجيهات السابقة إنما كانت لتدلنا على مقام رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديراً وحبّاً واتّباعاً ، فإن من هدي الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته فى نبأ الإسراء والمعراج ، هذه الصور الأخلاقية الحقيقية التى تربط ربطا محكما بين الدين والأخلاق .

والواقع أن الأخلاق فى جوّ الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لاينفصل ، منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامى لايتجزأ ، مصدرها هو مصدره إلهى ربانى [1] .

---

(١) اهـ . بتصرف من كتاب الإسراء والمعراج لشيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود .

هَنِيئاً لِلحَضرةِ المُحَمَّدِيَّة

يقول الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشى فى مولده «سمط الدرر» عن معجزة الإسراء والمعراج :

ومن الشرف الذى اختص الله به أشرف رسول ، معراجه إلى حضرة الله البر الوصول ، وظهور آيات الله الباهرة فى ذلك المعراج ، وتشرف السموات ومن فوقهن بإشراق نور ذلك السراج ، فقد عرج الحبيب ﷺ ومعه الأمين جبريل ، إلى حضرة الملك الجليل ، مع التشريف والتبجيل ، فما من سماءٍ ولجها إلا وبادره أهلها بالترحيب والتكريم والتأهيل ، وكل رسول مرّ عليه ، بشره بما عرفه من حقه عند الله وشريف منزلته لديه ، حتى جاوز السبع الطباق ، ووصل إلى حضرة الإطلاق ، نازلته من الحضرة الإلهية ، غوامرُ النفحات القُربيّة ، وواجهته بالتحيات وأكرمته بجزيل العطيات ، وأولته جميل الهبات ، ونادته بشريف التسليمات ، بعد أن أثنى على تلك الحضرة بالتحيات المباركات الصلوات الطيبات ، فيالها من نفحات غامرات ، وتجليّات عاليات ، فى حضرات باهرات ، تشهد فيها الذات للذات ، وتتلقى عواطف الرحمات ، وسوابغ الفيوضات بأيدى الخضوع والإخبات .

رتب تسقط الأمانيّ حسرى ... دونها ما وراءهن وراء

عقل الحبيب ﷺفى تلك الحضرة من سرها ماعقل ، واتصل من علمها

بما اتصل ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ماكذب الفؤاد ما رأى ، فما هى إلا منحة خصصت بها حضرة الامتنان ، هذا الإنسان ، وأولته من عواطفها الرحيمة مايعجز عن حمله الثقلان ، وتلك مواهب لايجسر القلم على شرح حقائقها ، ولاتستطيع الألسن أن تعرب عن خفي دقائقها ، خصصت بها الحضرة الواسعة ، هذه العين الناظرة والأذن السامعة ، فلا يطمع طامع فى الاطلاع على مستورها ، والإحاطة بشهود نورها ، فإنها حضرة جلّت عن نظر الناظرين ، ورتبة عزت على غير سيد المرسلين ، فهنيئاً للحضرة المحمدية ، ماواجهها من عطايا الحضرة الأحدية ، وبلوغها إلى هذا المقام العظيم .

الإسراء والمعراج والعلوم الحديثة

وقد كتب فى ذلك معالى الأستاذ الباحث أخونا الدكتور محمد عبده يمانى بحثاً نفيساً تحدث فيه عن معجزة الإسراء والمعراج على ضوء العلم الحديث والتطورات الكبيرة فى مجال علوم الفيزياء والفضاء ، وتكلم عن مسألة استغراب قريش من ذهابه ﷺ فى ليلة واحدة إلى بيت المقدس ورجوعه ، كلاماً يقرّب هذه الحقيقة من تصورات الذين يحبون قياس الخوارق والمعجزات بالموازين العقلية المحسوسة ، محاولاً إقناعهم وردهم إلى الصراط المستقيم ، وإزالة الشبهة عنهم على سبيل التنزل معهم ، فقال : فلو كانت قريش فى عصرنا هذا ورأت السرعات المختلفة التى مكننا الله سبحانه وتعالى منها ودلنا عليها وبدأنا باستعمالها ، كسرعة السيارات والطائرات والصواريخ ، إلى غير ذلك من السرعات التى نعرفها اليوم ، وكانت مجهولة عند قريش فى ذلك الوقت ، فهل كانوا يستغربون؟ إننا فى هذا العصر نستطيع أن نذهب إلى بيت المقدس ونعود فى الليلة الواحدة أكثر من مرة باستخدام أي وسيلة من وسائل النقل السريعة فى عصرنا هذا ، فلو عاشت قريش فى هذا العصر الذى نحن فيه لما استغربت قصة الإسراء ، ولأدركت أن فى علم الله عز وجل وفى قدرة الله عز وجل سرعات يجهلونها كسرعة الصوت وسرعة الضوء ، وفى عصرنا الحاضر اليوم نعلم سرعات كثيرة ، ولكننا مانزال نجهل الكثير من السرعات التى فى علم الله عز وجل والتى لم نتوصل إليها ولم نستخدمها ، وإن كنا نعرف بعضها

كالتى ذكرتها .

ثم أشار إلى مسألة مهمة وهى التى أوقعت قريشاً فيما أوقعتهم فيه من التكذيب والإنكار ، وهى خطأ نظرهم فى نسبة هذا الحدث ، إذ نسبوه إلى النبى ﷺ فقالوا : يامحمد أنضرب أكباد الإبل شهرا وتقول بلغتها فى ليلة واحدة؟ فهذا سوء فهم وخطأ عظيم منهم حيث نسبوا الحدث إلى النبى ﷺ وإلى قدرته وإمكاناته ، مع أنه لم يدّع ولم يقل عليه الصلاة والسلام بأنه سرى إلى بيت المقدس أو أنه عرج إلى السماء بقدرته أو بتفكيره أو إمكاناته، وإنما نسب الحدث إلى الله عز وجل مسّبب الأسباب والقادر على كل شئ ، وجاء القرآن العظيم ليوضح هذه القصة فكانت آية الإسراء أعظم دليل على كلام رسول الله ﷺ فقد ابتدأت بكلمة «سبحان» وهى كلمة عظيمة افتتحت بها هذه السورة ونسبت كل قضية الإسراء والمعراج إلى الله عز وجل ، ولم تنسبه إلى رسول الله ﷺ ولم تربطه بقدرته أو بتدبيره ، وإنما كانت بتدبير العلي العظيم .

ثم قال : وإذا ماعدنا إلى قضية السرعات التى بدأنا نعرفها اليوم ونظرنا إلى قصة الإسراء والمعراج على ضوء العلم الحديث ، وكيف أن عالما من علماء الفيزياء عالج قضية السرعات وعلاقتها بالزمن وهو العالم «إينشتاين» الذى رأى أنه كلما ازدادت السرعة نقص الزمن حتى إذا وصلنا إلى السرعة اللاَّنِهَائية أصبح الزمن صفرا أو تلاشى الزمن كما قال . فإذاً السرعة تزداد والزمن يتناقص مع سرعة الزمن ، وهكذا إذا نظرنا إلى قصة

الإسراء وقصة المعراج نجد أن هنالك اليوم مايقرب لنا المسألة ومايجعلنا نلمس جوانبها المادية التى كانت تخفى على قريش بسبب جهلها بوجود سرعات أخرى غير سرعات الإبل التى كانوا يعرفونها ، فجاء العلم الحديث ليكشف لنا أن هناك سرعات كبيرة وعظيمة استخدمنا بعضها ولمسنا البعض الآخر تفوق آلاف المرات من السرعات التى كانت متاحة لقريش فى ذلك الوقت ، ثم إن العلم الحديث كشف لنا حقيقة تزايد السرعة ، وأنها قد تصل إلى أعظم بكثير من السرعات التى نعرفها اليوم ، بل إنها قد تصل إلى السرعة اللاَّنهائية ، وعندها يصبح الزمن صفرا [١] .

(١) من مقال لمعالى الدكتور عن حادثة الاسراء والمعراج .

تأويل المعجزات

هل يمكن تفسير المعجزة على أساس النواميس[1] الطبيعية . كما يقول بعض العلماء؟ .

يجيبنا على هذا السؤال صاحب[2] كتاب «قصة الإيمان» حيث يقول : إن الأمور الغيبية التى ذكرها القرآن ، وذكرتها الكتب السماوية نوعان :

منها : أمور نظنها خارقة للنواميس ، لأن سرها غائب عنا خفي علينا ، وقد يصل العلم يوما لكشف النواميس التى وقعت تلك الأمور على أساسها .

ومنها : أمور خارقة للنواميس حقا ، وقد أجراها الله سبحانه وذكرها فى الكتب المنزلة ، ليبين لنا قدرته على خرق النواميس التى أوجدها فى الكون ، وهذه الخوارق هى التى يصح أن تسمى «معجزات» ويجب على المؤمن أن يصدق بها ويعتقد بأنها أمور خارقة للنواميس ، وأنه ليس بالإمكان أن يتوصل العلم يوماً إلى كشف ناموس طبيعى يفسر وقوعها . بل أرى أنه لاينبغى لنا أن نحاول تفسيرها على أساس النواميس الطبيعية ، لأنها لو لم تكن خرقا للناموس لم تسم معجزة ، وإذا قلنا : إنها حصلت على أساس ناموس طبيعى أبطلنا الحكمة من ذكرها ، فالله تعالى إنما أجرى تلك المعجزة ليدلنا على أنه هو وحده الخالق للناموس القادر على خرقه ، فإذا

---

(١) جمع ناموس ، وهو النظام المألوف والمعروف عادة .

(٢) هو الأستاذ الشيخ نديم الجسر .

كان باستطاعة الإنسان أن يأتي بمثل تلك المعجزة بقوة ناموسٍ طبيعي يكتشفه لاتكون معجزة ، ولا يكون لذكر الله لها في باب المعجزات حكمة ولا معنى .

لذا أقول : إن من حاول ويحاول تفسير المعجزات الواردة في الكتب السماوية على أساس نواميس طبيعية علمية ؛ كان على خطأ ، ولا ينفعه قوله : إننا نريد تقريب المعجزات من العقول[1] ، كي تفوز بإيمان رجال العلم، لأن هذا التقريب فضلاً عن كونه يستحيل علمياً ، فإنه بذاته مسخ لمعنى المعجزة ، وعكس لحكمتها وحكمة ذكرها ، وهذا خطأ وقع فيه بإخلاص كثير من علمائنا وعلماء النصارى ، ولا أزال أذكر أن بعض علمائنا حاول أن يفسر ماورد في سورة الفيل عن الطير التي ترمي أصحاب الفيل بحجارة من سجيل ، بأنها ميكروبات الجُدَرِي ، أصابت أصحاب الفيل فأبادتهم ، وحاول أن يفسر «الإسراء» وفلق البحر لموسى ، وخلق عيسى على أساس النواميس الطبيعية ، وإذا استطاع تفسير الطير الأبابيل بميكروبات الجدري ، فبماذا يفسر عصا موسى التي انقلبت حية تسعى؟ وإن فسرها بالتنويم والاستهواء ، فبماذا يفسر انفلاق البحر لموسى بضربة عصاه؟ وإن فسره بالمد والجزر ، فبماذا يفسر خلق عيسى من غير أب؟ ، وإن أخذ بتفسير بعض السخفاء لهذا الحمل بأنه من طريق «التلقيح الذاتي» الذي يمكن حصوله على زعمهم عند بعض الخناثي ، فبماذا يفسر تكلم عيسى عليه السلام في المهد؟ .

---

(١) مقصوده بتقريب المعجزة هو تأويلها بما يناسب العقول بدليل ماذكره بعد ذلك من تفسير بعضهم للطير الأبابيل بالجدري وهذا بلاشك مردود ، أما التقريب بضرب الأمثال والأقيسة فهو محمود .

فالأصل : هو الإيمان بالله خالق الكون ، وخالق الطبائع والنواميس ، وبأنه سبحانه قادر على خرقها ؛ وفي هذا سر المعجزة .

ومن رسخ إيمانه بالله تعالى هان عليه أن يؤمن بكل معجزة ، أما أولئك الذين لا إيمان لهم فإنهم لا يفرقون بين المستحيل عادةً والمستحيل عقلاً ، وخرق النواميس ليس من المستحيلات العقلية ، ومادمنا نؤمن أن الله تعالى هو خالق الناموس ، فأهون شيء علينا أن نؤمن بأنه قادر على خرقه ، اهـ .

فتأويل المعجزات إذاً رمي الله تعالى بالعجز عن بيان المراد له سبحانه ـ معاذ الله ـ أو تكذيب له سبحانه أن يطلق شيئاً ويريد به غيره ، أو اتّهام لله تعالى بالعجز وعدم القدرة على فعل مايريد ـ سبحانه وتعالى وتقدس ـ .

حادثة الإسراء والمعراج
والميزان العقلى

وحادثة الإسراء والمعراج ليست من الأفعال المألوفة المعتادة ، ولا هى قدرة البشر حتى تقاس على شبيهتها ، ولا تقارن قدرة بقدرة حيث لا وجه للمقارنة ولا قياس ، لكنها خارقة من الخوارق ومعجزة من المعجزات التى خص البارئ بها نبيَّه ومصطفاه ، والإنسان مدرك ولكن لإدراكه حدود ، فكيف من يدرك بغير حدود ولا منتهى ، والإنسان مهما أُوتي من العلم ، فإنما ذلك قليل بالنسبة إلى علم الله .

وإن هناك فارقاً كبيراً بين عالَم المادة المحسوسة وعالم ماوراء الطبيعة أو ماوراء المادة الذى خص الله سبحانه وتعالى ذاته به رفقاً بعقل الإنسان ، ولكنه جل شأنه شاء أن يقرب عالم الغيب إلينا بضرب المثل - وشتان بين المثل والحقيقة - تقريباً للأفهام ، مع أنه ليس فى عالم اللغة والكلام إلا كل ماهو متعلق بعالم العقل والحواس ، وما الألفاظ المستعملة فى عالم ماوراء الطبيعة أو ماوراء المادة كالذات الإلهية وذات الملائكة واللوح والقلم والجنة والنار والحياة الأخرى إلا للتقريب ، ولا يعلم تأويلها إلا الخالق جل وعلا .

ولكَم جرّب الناس كثيراً الاحتكام إلى العقل فأضلّهم ، وتصوَّرْ معى إلى وقت غير بعيد كان يرمى بالجهل والكذب من يقول إن الأرض كروية وإنها من توابع الشمس ، وفى أيامنا هذه وقد خطا الإنسان بقدميه سطح

القمر ولا يزال بيننا من ينكر ذلك ويعدّه ضرباً من الخرافات والأوهام ، يصل فى بعض الأحيان إلى درجة الاتهام بالكفر[1] .

إنكار المعجزات الحسية :

وقد أنكر جلَّ المعجزات الحسية بعضُ أولئك الذين تصدوا لعرض الإسلام والدفاع عنه وقيادة الجماهير إليه ، بقصد تقريب الإسلام إلى أذهان الملاحدة ومن بهر بهم من قومهم ، وأوّلوا ماثبت منها بالقرآن الكريم وصحيح السنة بما يشبه الإنكار ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين يقولون : إن المعجزات الحسية غير معقولة ولا ممكنة ، ومع أن أولئك العلماء يعلمون أن المعجزات الحسية معقولة وممكنة ، وغاية مافيها أنها مخالفة للعادة بدون أسباب العادة ، إلا أنهم سايروهم ليكسبوهم .

إن المعجزة ـ كما مر معنا ـ هى الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوة تصديقاً له فى دعواه ، يظهره على يده دون أسباب ومقدمات عادية مع ادعاء النبوة ، وإنسان اليوم قد استطاع أن يأتي بكثير من خوارق العادات السابقة باتّخاذ الأسباب ، لقد استطاع أن يكلم أخاه باللاَّسلكي ، وأحدهما فى أعالى الجو ، والآخر فى قاع البحر ، وبينهما مئات الأميال ، واستطاع أن يرتفع إلى الفضاء الخارج عن جاذبية الأرض ويبقى ثمة أياما ، واستطاع أن يدخل النار بثياب البلاستيك ولا يحترق ، واستطاع بإذن الله تعالى أن يشفى من بعض الأمراض المستعصية قديما ، واستطاع أن يجعل من الذرة الصغيرة سلاحاً يدمّر به الشيء الكبير .

---

(١) انظر الرحلة الربانية للأستاذ محمد حسن عبد العزيز . مجلة منبر الإسلام عدد رجب ١٣٩٢ .

وجميع مايفعله الإنسان باتخاذ الأسباب العادية لايسمى معجزة ولا كرامة ، لكن يسمى تقدماً علمياً واختراعاً جديداً . أما المعجزة فهي خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإطلاقها على غيرهم معصية وكذب . ومن نظر إلى المعجزات الحسية الواردة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لمس أنها معقولة ممكنة ، لكنها خلاف العادة التى اعتادها الناس فى اتخاذ الأسباب .

أنكر بعض أولئك المتصدين لعرض الإسلام المعجزات الحسية أو حَاوَلُوا تأويلها بما يقارب إنكارها ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين يقولون : إن الله تعالى قد نفى فى القرآن الكريم أنه تكون له صلى الله عليه وآله وسلم معجزات ، ومع أنهم يعلمون أن القرآن الكريم مانفى ذلك ، لكن نفى أن تكون المعجزة من صنع الرسول ﷺ نفسه ، إلا أنهم سايروا الجهال ليكسبوهم .

إن أعظم شبه الجهال فى هذا المجال قوله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا ﴾(١) .

---

(١) الإسراء : ٩٠-٩٣

مع أن الآية التالية تفسّر الآية السابقة كما تفسرها المعجزات الواقعة ، لكن فى عقول البعض عماء ، قال الله تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذيرا . أو يُلْقى إليه كَنز أو تكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأكُل منها وقال الظَّالمونَ إن تتبعُونَ إلا رجُلاً مسْحُورا . انظر كيف ضَربوا لك الأمثال فضلُّوا فلا يَسْتَطيعُونَ سبيلا . تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهارُ ويجعل لك قُصُورا ، بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يَرْجُون لقَاءنا لولا أُنْزِل علينا الملائكة أو نَرَى ربنا لقد استكبروا فى أنفُسهم وعَتَوْا عُتواً كبيرا . يوم يَرون الملائكةَ لا بُشْرى يومئذ للمُجْرمين ويقولون حجْراً مَحْجورا ﴾[1] .

أنكر بعض أولئك المتصدِّين لعرض الإسلام المعجزات الحسية أو تأولوها بما يشبه إنكارها ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين يقولون : إن المعجزات الحسية خروجٌ على سنن الله تعالى فى الكون ، وذلك محال ، لأن الله تعالى هو الذى يقول : ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾[2] . ومع أنهم يعلمون أن المقصود بسنن الله تعالى التى لاتتغير ، إنما هى سنته سبحانه فى تأييد المرسلين وأتباعهم ، وخذلان المشركين والظالمين وأعوانهم ، لكنهم سايروهم ليكسبوهم فى سائر حقائق الإسلام .

---

(١) الفرقان : ٧ ـ ٢٢ (٢) فاطر : ٤٣

وإليك ما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولاتجد لسنتنا تحويلا ﴾[1] وفى قوله : ﴿ فهل ينظرون إلاّ سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾[2] .

قال الآلوسى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ وهى أن لاندع أمة تستفز رسولها لتخرجه من بين ظهرانيها تلبث بعده إلا قليلا ، فالسنة لله عز وجل ، وأضيفت للرسل عليهم السلام لأنها سنت لأجلهم .

وقال ابن كثير : ﴿ سنة من قد أرسلنا . . . ﴾ قيل : نزلت فى كفار قريش لمّا همّوا بإخراج الرسول ﷺ من بين أظهرهم ، فتوعّدهم الله تعالى بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد اشتداد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا . . ﴾ الآية . أي هكذا عادتنا فى الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب ، ولولا أنه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الرحمة ، لجاءهم من النقم فى الدنيا مالا قبَلَ لأحدٍ به ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . . ﴾[3] .

قال الآلوسى : (فهل ينظرون إلا سنة الأولين . .) أى ما ينتظرون ، وهو مجاز بجعل مايستقبل بمنزلة ماينتظر ويتوقع .

---

(١) فاطر : ٤٣ (٢) الإسراء : ٧٧ (٣) الأنفال : ٣٣

(سنة الأولين) أى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم . (فلن تجد لسنة الله تبديلا) بأن يضع سبحانه غيرهم موضع العذاب . ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ بأن ينقل العذاب من المكذبين إلى غيرهم .

وقال ابن كثير : (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) يعنى عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسلَه ومخالفتهم أمرَه ، ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ أي لاتغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك فى كل مكذب . ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ أى وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، ولايكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد .

لو أن إنساناً صعد إلى القمر ، ونزل على سطحه وانتقل إلى المريخ زائرا ، ثم نزل إلى الأرض بجناحين أثبتهما فى يديه ، لما أنكر وقوع ذلك أشد الناس إنكاراً لمعجزات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحسية ، وإذا قيل له فى ذلك ، أجاب : إن الإنسان قد وصل إلى ماوصل بأسباب وآلات لكنكم تقولون : إن الرسول محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السموات فما فوقها دون اتخاذ أسباب وآلات معتادة!! .

كأنه لايكفيه أن المعجزة هى فعل الله تعالى ذلك لرسوله أو يعجز الله تعالى أن يصنع دون الأسباب المعتادة لرسله الكرام عامةً ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم المكرم خاصةً عجائب وخوارق ، وهو القادر على فعل مايريد ولا يعجزه شيء .

بلى ، إنه لقادر ، وقد فعل ذلك مرات ومرات .

إن قدرة الله تعالى مسلم بها عند المؤمنين ، فإذا صح الخبر الوارد بما يدخل فى دائرة قدرته تعالى ، لايسع المؤمن إلا التصديق والقبول مع تمام الرضا وانشراح الصدر به[1] .

(١) انظر رسالة أخينا العلامة البحاثة الأستاذ الشيخ وهبى سليمان «دفع شبه المعترضين على حقيقة الإسراء والمعراج» وكذا الإسراء والمعراج للأستاذ محمد أنس المراد .

اختبار غير موفّق

لما أخبر نبينا ﷺ قريشا بهذه الحادثة العجيبة الخارقة أخذوا يسألونه أسئلة كثيرةً اختبارا وامتحانا لكنها لم تكن موفّقة لافى نوعها ولافى ثمرتها وماهى إلاّ لجاجة فى الجدال وإلحاف فى السؤال وذاك بسؤالهم عن العير وعدّتها وأحمالها . وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت والنية الخبيثة ، والقصد السيء الملح الذى استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف فى الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف، يفرق بين سؤال طبيعى يقع موقعه وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ويرد فى وجه صاحبه .

يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر : إن تلك الأسئلة التى أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة والوقوف على مبلغ صدق الرسول ﷺ فيما أخبرهم به من أمر الإسراء ، وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة يراد بها إظهار الرسول ﷺ بمظهر العاجز عن إجابتهم إلى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل فى منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس فى تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما احتواه المسجد الأقصى من

مشاهد ومعالم ويعلم أيضا على وجه التفصيل حال عيرهم وأحمالها وأقتابها وعددها وعدتها؟ .

إن النبي ﷺ فى ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همّه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصى عدة مافيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ومسافات ما بينها ، ولم يكن وهو فى طريقه إلى بيت المقدس أو فى عودته منه بسبيل أن يرصد عير قريش، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، ويتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا فى سؤاله عن ذلك كلّه فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن هؤلاء المشركين - في تظاهرهم عليه وحملتهم بأسئلة التعنت التى كانوا يوجِّهونها إليه - لم يكن ليردّهم شيء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجابتهم عن شيء ممّا سألوا ، وإن كان العجز فى مثل تلك الأسئلة حتماً وطبيعيا كما ضربنا له الأمثال . لكنّ الله العليّ القدير أراد أن لا يمكنهم إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما كبت به القوم ، وردّ به تعنتهم وتهكمهم إبْلاساً فى نفوسهم ، واندحاراً فى قلوبهم ، وخزيا فى جباههم ، يطالع به بعضهم بعضا ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم ، لما التبس عليه بعض الشيء مما

سـألوا عنه ، وجلى له بيت المقـدس ، حـتى كـان ينظر إليـه أقـرب من دار عقيل ، فجعل ينعته لهم ، ويستملي إجاباته من مشاهداته ، يسددها طعنات في صـدورهم ، وغـمـا وكـمـدا فى أفئـدتهم ، وأظهـره الله عليـهم ، والله غالب على أمره وهو القوي العزيز[1] .

---

(١) اهـ . بتصرف من كتاب الإسراء والمعراج للشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر .

الحكمة فى تأخير الإخبار بالمعراج

اقتصر النبى ﷺ على أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حينما تحدث به إلى قريش عند الكعبة كما علمنا ، ولم يعرض عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحديث لأمر المعراج وهو صعوده إلى السماء فى تلك الليلة التى كان فيها الإسراء ، والسر فى ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن - فى أغلب الأمر - أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لايؤمن برسالة الرسول ، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء ، فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حينئذ جدوى ولا يفيد أيّة فائدة ، بل قد يكون من نتائجه أن يزيدهم إلى كفرهم إمعانا فى شركهم ، فإنه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية يمكن أن يدلى بها إليهم ، ليثبت لهم حقية مايقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لَجُّوا فى العناد والإباء ، كما كان فى أمر الإسراء .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام تحدث فى غير ذلك الموطن عن المعراج حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده فى السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهى بفرض الصلوات الخمس اليومية .

هذا ، والقرآن الكريم قد اشتلمت آياتٌ منه فى سورة النجم على ما يثبت المعراج ، ذلك قوله تعالى فى الإخبار عن رؤية النبي ﷺ لسيد الملائكة جبريل عليه السلام ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وماطغى ، لقد رأى من

آيات ربه الكبرى ﴾[1] . ومعنى هذا ـ كما يقول أئمة التفسير ـ أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى ، بعد المرة الأولى التى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبئ بذلك قوله تعالى : ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾[2] صدق الله العظيم[3] .

---

(١) النجم : ١٣ ـ ١٨

(٢) النجم : ١٧

(٣) الإسراء والمعراج للشيخ الإمام عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر (مطبعة الأزهر) .

الخاتمة

الإسراء والمعراج
فى ميزان الشعر

رتب ما وراءهنّ وراء

قال الامام أبو عبد الله محمد البوصيرى فى " الهمزية الغراء " المعروفة عن الإسراء والمعراج :

فطوى الأرض سائراً والسموَا ... تِ ألعُلاَ فوقها له إسراءُ
فصف الليلة التى كان للمختَا ... رِ فيهَا على البراق استواءُ
وترقى به إلى قاب قوسَيْـ ... ـن وتلك السيادةُ القعساءُ
رُتَبٌ تسقط الأماني حسرى ... دونها ما وراءهن وراءُ
ثم وافى يحدّث الناس شكراً ... إذا أتته من ربه النعماءُ
وتحدى فارتاب كل مريب ... أَوَ يبقى مع السيول الغُثاءُ
وهو يدعو إلى الإله وإن شقّ ... عليه كفر به وازدراءُ
ويدل الورى على الله بالتَّوْ ... حيد وهْو المحجَّة البيضاءُ
فبما رحمةٍ من الله لانَتْ ... صخرةٌ من إبائهم صمّاءُ
واستجابت له بنصرٍ وفتحٍ ... بعد ذاك الخضراء والغبراءُ
وأطاعت لأمره العَرَبُ العَرْ ... بَاءُ والجاهلية الجُهَلاءُ

الإمام البرعى والإسراء والمعراج

للشيخ عبد الرحيم البرعى قصائد عظيمة فى مدح الرسول ﷺ ، وقد ذكر فيها جملةً كبيرة من المعجزات النبوية ، ومنها الإسراء والمعراج ، وسنقتصر على بعض منها هنا :

قال رحمه الله فى قصيدة له :

وأنَّ رسولَ اللهِ منْ مكةٍ سَرى ... إلى القُدس والروحُ الأمين سميرُ
فجازَ السماءَ السبع فى بعضِ لَيلة ... ولكنَّ بعدَ السبعِ أيْن يَصير
فلاح لَه منْ رَفْرفِ النورِ لائحٌ ... من النُّورِ للهادى البشيرِ يُشير
حبيبٌ تَملّى بالحبيبِ فَخصَّه ... وشرَّفَه بالقربِ وَهْو جَديرُ
وقالَ لَه : سَلْنى رِضاكَ فإنّنى ... علَى كلِّ شىءٍ فى رضاكَ قدير

ويقول فى قصيدة أخرى له :

يَامَنْ سَرى منْ مكة للمسجد الـ ... أقْصى على ظهرِ البراق المنجب
يامَنْ تَلقَّتْه ملائكة السّما ... بخطاب أهلاً بالحبيب ومرحب
يامَنْ تَناهى فَوْقَ سدرة منتهى ... لعناية سَبَقتْ وحَقّ موجب
إنْ كان رَايتُك الرفيعةُ فى العُلى ... منصوبةً فالفعلُ فعلُ تعجب
الحُجبُ تُرفَعُ والجهاتُ أنيسةٌ ... والمُجتبَى يغشاُه نورُ المُجتبى
ولسانُ حال الوصف يهتفُ قائلاً ... ما نازلٌ بجَنابنا كالأجنبى
سَلْ يامحمَّدَ تُعطَ وادعُ تُجَبْ وقُلْ ... تُسمَعْ غداةَ الحشرِ وادْنُ تُقرَّب
ولكَ الوسيلةُ والفضيلةُ فافتخرِ ... بشفاعةٍ لخلاصِ كلِّ معذَّب

والرسلُ تحتَ لواء عـزِكَ فى مَـقَـا مِ الْحَمْدِ ذى الحوضِ الهنيء المَشْرب

ويقول الإمام البرعي في قصيدة أخرى له أيضاً :

سارتْ من المسجد الأقصى ركائبُه يَزِفُّـه مُـسـرج الإسْرا وملجـمُـهُ
والحقُّ سـبـحـانه فى عـزِّ عـزَّته من قـاب قـوسين أوْ أدْنى يكلّمـهُ
فكَمْ هنالكَ مِنْ فَـخْرٍ ومِنْ شَرفٍ لمن شـديد القـوى وَحْيـاً يعلّمُـه

ويقول الإمام البرعي في قصيدة أخرى له أيضا :

كَـفـتـه كـرامـةُ المعـراجِ فـضـلاً بهـاَ فى القـرب سَـادَ الأنبـيـاءَ
سَـرى من مكة ببُـراق عـز لأقْـصَى مـسـجـد وَعَـلاَ السـمـاءَ
فَـسُـرَّ به الملائكةُ ابتـهـاجـاً وصَلَّى خلْفـه الرسلُ اقـتـداء
وكلَّم ربَّهُ مِنْ قـاب قَـوْسٍ وأُلْهِمَ فى تَحِـيَّـتِـه الثناءَ

قد بايعوك على صدق المتابعة

يقول العلامة المرشد المجدّد الداعى إلى الله السيد محمد ماضى أبو العزائم فى قصيدة له :

أسْرَى بكَ اللهُ من بَيت المنازَلة ... ليلاً لتَحْظَى حبيبى بالمواجهة
عَلَى البراق لكَشْف السرِّ عن نسب ... لأن ذاتَك خُصَّت بالمؤانسة
بالروح أسرى بكل الرُسْلِ قاطبةً ... والذاتُ والروحُ فى رتَب المواصلة
فذاتُك النورُ نالتْ من لَطَافَتِها ... مادونَه وقفَتْ ذاتُ الملائكة
وافى البراقُ لأسباب بها حكَمٌ ... ليطمئنَّ بمعنىً فى المشابهة
حتَّى وصلْتَ لبيت القُدْس منفرداً ... والرُسْلُ بُغْيتُهم نَيْلُ المشاهدة
صفُّوا وراءَك إذْ أنت الإمام لَهُمْ ... قد بايعوكَ على صدق المتَابَعَة
صلَّيتَ مُتَّجِهاً لله معتصماً ... بالله حتى بدا نور المفاضَلَة
أبُوهُمُو أنت ياسرَّ الوجود ولا ... فَخر وسرُّهمو قبلَ المعاهدة
شهدْتَ بالَمظْهَرِ الكونىِّ آيَتَه ... كَشْفاً مُشيراً إلى حُسْن المعاملة
ثم ارتقيْتَ على المعراج فى حُلَل ... من الجمَال تحلَّتْ بالمناسبة
والروح أمَّك يامولايَ مفتتحاً ... أبوابَ كلّ سماء للمنافسة
وأشرقَ النُّور من غيب البُطُون على ... سر الظهور بلا قَيْد الملاَءمَة
كان الخطابُ سَلاَماً والسَّلام لَهُ ... فضْلاً تدَلَّى بأنوار مُوَالَيَة
دنا المرادُ لقابَيْ قوس منزلة ... ثم انْمَحَى البَيْنُ أو أدنى مشافَهَة
قد جاوزَ العقلَ والمعقولَ منزلةً ... وكل آياته حَالَ الملاَطفَة

رأى التجلّى رأى الأسماءَ ظاهرةً رأى المعانى بغيب فى المُقابَلة
يارب صِلْ على نورِ القلوبِ ومَنْ أسْرَى به الله ليلاً للمُؤانَسَة

وقال رضى الله عنه:

وَافَى لحضرته البراقُ ملَجَّمَا وَأتَاهُ جبريلُ الأمينُ مسلّمَا
ناداه قُمْ للقُرْبِ وانهَضْ للّقاَ فَاللهُ قد صلَّى عليك وسَلَّمَا
المُلكُ والملكوتُ زُيِّنَ بالصَّفَا لمقامك السَّامى الرفيعِ تكرُّمَا
بَادِرْ لحضرةِ قُدْسِه وجماله وتَمَلَّ يا طهَ برؤية مَنْ سَمَا

الضَّيـــف الكَـــــريم

ذكر العلامة السيد يوسف بن إسماعيل النبهانى فى ألفيته العظيمة طيبة الغراء خلاصة موجزة للإسراء والمعراج فى فصل خاصٍّ ، فقال :

رسُل الله هم هُداة البـــرايا ... ولكل مـــحـــجَّـــة بيـــضـــاءُ
خَصّ منهم مــحــمـداً بالمزايا الـ ... ـغُــرِّ منهـا المعـراج والإســراءُ
أرسل الروح بالبــراق كــمــا ... تفــعَلُهُ للكرامـــة الكُرمَـــاء
فــعــلاه البــدرُ التــمــام أبوالقــاَ ... سم لــيــلاً فــضَــاءَ منه الفَــضَــاءُ
رَاحَ يهــوي به وَحَــدُّ انتــهــاء الـْ ... ـطَرْف منه إلى خُطاه انتـــهـــاء
مَـرَّ فى طيـبـة ومـوسى وعــيـسى ... ولقـــد شُــــرِفَتْ به إيليـــاء
ثم صلَى بالأنبـيـــاء إمــامــاً ... وبه شــرّف الجــمـيع اقــتــداء
ومــضى ســارياً إلى العــالَم العُلْـ ... ـوِيِّ حـيث العـلا وحـيث العـلاء
سَبَـقَـتْـه إلى السـمـوات كـيـمـا ... ثَمَّ تجرى اسـتـقـبـاله الأنبـيـاء
فـعَـلاَ فـوقـهـا كـشـمـس نَهَار ... أطلعـتـه بعـد السـمـاء سـمـاء
رَحَّبَ الرُّسْلُ بالحـبـيـب وكُلٌّ ... فـــيــــه إمّـــا أبُوَّةٌ أو إخَـــاءُ
وجـمـيع الأفـلاك معْ مـاحـوَتْه ... قـد تبـاهت وزاد فـيـهـا البـهـاء
والسـفـيـرُ الأمينُ خـيـرُ رَفـيق ... لم يُفَــارِقْ مــا مــثله سُــفَــراء
وكَذَى الســدرة الجــواز عليــه ... صــار حظراً فكان ثم انتـهـاء
فــدعــاه النبيُّ حين عــلا السـدْ ... رَةَ نُورٌ منه عليــهـــا غـــشـــاء
ههنا يتـــرك الخليلُ خليـــلاً ... أين ذاك الصــفـــاءُ أين الوفـــاء

قـال عـذراً فَلَنْ أجـاوزَ حَـدِّي لـو تَقَـدَّمْتُ حَلَّ فـيَّ الـفَنَاءُ
وبه زُجَّ فى البـهـاء وفى النُّو رِ إلـى حـيـث كـل خلـق وراءُ
ورأى الله لا بكيف وحـصـر لا مـكـانٌ يـحـويـه لا أنـاء
فَـوْقَ فـوق وتَحْتَ تَحْت لديه قَـبْلَ قَـبْلٍ وبَعْـدَ بَعْـد سـواء
إنما خُـصِّصَ الحـبـيبُ بِسـرٍّ لـسـواهُ مـازال عنه الخَـفـاء
وعليـه صُبَّ الكمـال وزال الْـ ـكَيْفُ والكَـمّ حـين زاد الحبـاء
وسـقـاه بحُـورَ علم فـعلْمُ الْخَلْـ ـق منهـا كـالرَّشْح وهْو الإناء
وحـبـاه أنواعَ كُلّ صَـفَـاء نفـحـةً منه مـاحـوى الأصـفـيـاء
لانَبيٌّ لارسـولٌ ولاجـبْـ ـر يـلُ يَدْرى الـعطاءَ جَلَّ العَطَاء
ثم عـاد الضـيفُ الكريم إلى الأهـ ـلِ وتمَّـت من ربـه النَّعـمـاء
عـاد قـبل الصَّبَـاح فـارتابَ فى مكة قـومٌ من قـومـه بُلَدَاء
أعظَمـوا الأمـرَ وهْو فـعلُ عظيمٍ لـم تشـابه صـفـاته العظمـاء
جل قـدراً فـالكائنات لـديه حكمـهـا ذَرَّةٌ حـواها الفـضـاء
لو أراد القـديرُ كـان بلحظٍ كـل هـذا ولـم يـكُـنْ إسـرَاء

الإسراء والمعراج عند الخطيب

يقول العلامة العارف بالله والداعى إلى الله شاعر المصطفى ﷺ شيخنا الشيخ محمد خليل الخطيب فى روضاته عن الإسراء والمعراج :

سبحان من أسرى به من مكة ... ليلا إلى الأقصى الحرام العادِ
فوق البراق وكان من رفقائه ... جبريل خيرُ ملائك الجواد
ورأى العجائب فى الطريق كثيرة ... تسمو على الأوصاف والتعداد
وهناك أمَّ الانبياء إمامُهم ... أعظِمْ بمن يتلو ، ونعم البادى
لا بِدْع أن جمعوا وأن صلّوا فهم ... أحياءُ رغم معاند ومعاد
يامنكراً إسراءَه مستبعداً ... بعداً لمبعد غير ذى استبعاد
والله لو عاشرتَ من أرواحهم ... غلبت لقلتَ : الأمرُ أمرٌ عاد
يا أيها المسرَى به فوق العلا ... أنت المعَدّ لمثل ذاك الواد
إن كان هذا الأفْقُ مظهرَ شمسهِ ... فالعرش مطلَعُه عليه باد
ياذا المعارج قد عرجت إلى العلا ... بمحمد رب العلا الصعاد
ليزيدهن قداسةً ، ويزيد من ... لُقياك تقديساً ، وجم أياد
مستقبلا فى كلهن بخيرة ... ألبشر أجمعه عليهم باد
إنى لأُوقن أنّ أعظَمَ عيدها ... لمَّا بها خطر النبيُّ الهاد
ولقد سموتَ إلى أعالى سدرة ... هى منتهى الإصدار والإيراد
من فضله غشيت بما غشيت به ... لله مافى غصنها الميّاد

ولمستوى فيه سمعتَ كتابةً ... ورأيتَ غائبَ نورِ عرشِ الهاد
فسألتَ عنه ، فقيل : جَم ذكره ... ولبيت مولاه عظيم وداد
لم يستسب لوالديه حياتَه ... ما أعظم الأبرار فى الأولاد
وتأخر الملَك الأمينُ فقلت يا ... جبريلُ تتركنى ، وأنسك باد
فأجاب ذا حدى ولو جاوزتُه ... أصبحتُ بالأنوار كومَ رماد
تباً لمنكر أن أعظم خلقه ... أسرى ، وجاب السبع بالصعاد
ورأى إله الخلق جل جلاله ... والعين مازاغت صحيح فؤاد
لو يعلمون الروح ما أسرارها ... ما حكمها فى عالم الأجساد
علموا بأن الجسم يشبه ريشةً ... والروح ريحا جمعا فى واد

لما خَطرت به التفُّوا بسيدهم

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى فى "نهج البردة" عن هذه المعجزة :

أســرى بك الله ليـلاً إذ مـلائكه ... والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التـفُّـوا بسيـدهم ... كـالشُّهْب بالبدر أو كـالجند بالعلم
صلّى وراءك منهـم كل ذى خطر ... ومَن يفُـزْ بحـبـيب الله يأتمِ
جُبْتَ السموات أو مافوقـهن بهمْ ... عـلـى مـنـورّة درّيـة الـلُّـجم
ركـوبة لـك من عـزٍ ومن شـرفٍ ... لافى الجـيـاد ولافى الأينق الرُّسُم
مشيـئةُ الخالق البارى وصنعتـه ... وقـدرة الله فـوق الشك والتـهم
حـتى بلغتَ سـمـاءً لايُطارُ لهـا ... على جناحٍ ولا يُسـعى على قـدم
خطَطْتَ للدين والدنيـا علومـهـما ... ياقـارئ اللوح بل يا لاَمِسَ القلم
أحطْتَ بينهـمـا بالسّر وانكشـفتْ ... لك الخـزائنُ من علمٍ ومن حكِم
وضاعف القرب ماقُلّدِتَ من مِنَنٍ ... بلا عِـدادٍ ومـا طُوِقّتَ من نِعم

ويقول شوقى رحمه الله أيضا فى قصيدته التى عارض فيها الإمام البوصيرى هذه الأبيات الجميلة:

يَتـسـاءلون وأنتَ أطهـرُ هَيْكلٍ ... بالروحِ أمْ بالهـيكلِ الإسـراءُ
بهـمـا سـموتَ مطهّراً وكـلاهمـا ... نورٌ وروحـانيـةٌ وبهـاءُ
فـضلٌ عليكَ لذى الجـلال ومنّةٌ ... واللهُ يفـعلُ مـايَرى ويشـاء
تغشى الغيـوبَ من العـوالم كلمَا ... طُويت سـمـاءٌ قلّدتكَ سـمـاء

فى كلٍّ منطقــة حــواشى نورُها نــونٌ وأنــتَ الـنـقـطـةُ الـزهـراء
أنتَ الجـمـالُ بهـا وأنتَ المُجتلى والـكـفُ والمرآةُ والحــــسناء
الله هيَّــأ من حظيــرةِ قُــدْسِــه نزلا لذاتك لم يجــزه عــلاء

كشف الغمة فى معراج سيد الأمة

يقول الأديب الكبير الأستاذ محمود سامى البارودى فى قصيدته العظيمة التى عارض بها البردة :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم
رأى به من كرام الرسل طائفة فأمهم ثم صلّى خاشعا بهم
بل حبذا نهضة المعراج حين سما به إلى مشهد فى العز لم يرم
سما إلى الفَلَك الأعلى فنال به قدراً يجُلّ عن التشبيه فى العظم
وسار فى سبُحات النور مرتقياً إلى مدارج أعيت كل معتزم
وفاز بالجوهر المكنون من كلِم ليست إذا قرنت بالوصف كالكلم
سرٌّ تحار به الألباب قاصرة ونعمة لم تكن فى الدهر كالنعم
هيهات يبلغ فهمٌ كنه مابلغت قرباه منه وقد ناجاه من أمم
فيالها وصلة نال الحبيب بها مالم ينله من التكريم ذو نسم
فاقت جميعَ الليالى فهى زاهرةٌ بحُسنها كزهور النار فى العلم
هذا وقد فرض الله الصلاة على عباده وهداهم واضح اللّقم

طافت مواكبه بكل سماء

قال شيخنا الإمام العارف بالله سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى فى قصيدة له طويلة ، نقتصر منها على مايتعلق بالإسراء والمعراج :

طافَتْ مواكبهُ بكل سماء ... فى ليلة المعراج والإسراء
واستقبلَته بها الملائكُ فرحةً ... وتزيَّنَتْ أرجاؤُها بسناء
والله أكرَمَه برؤيةِ وجهه ... وكلامه وإمامةِ السفراء
ماليلةُ الإسراء إلاّ غرّةٌ ... فى جبهة الإصباحِ والإمساء
فلقد رأى فيها من الآيات ما ... تسمو مداركُه على الفُطَناء
فالعرش والكرسيُ من آياتها ... واللوح والأفلاك باستقصاء
ياليلةَ الإسراء ماذا كان فى ... مَسْراك من فيض ومن إعطاء
فالمسلمون تزيَّنَتْ أعيادُهم ... بالمصطفى وبنورك الوَضَّاء
فإذا قرَنْتَ اسمَ النبي بليلة ... شعّت جوانبُهَا من اللألاء
والذكريات هى التى بقيَتْ لنا ... تروى صَداً الأشواق فى الأحشاء
والذكريات هى التى بعثَتْ لنا ... حُبَّ النبي يدبّ فى الأعضاء
تُتلى شمائله فتزداد النُّهى ... علماً برفعة ذاته الشمَّاء
هيهات لاينُسى النبيُّ ولا اسمُه ... إلا إذا نسيَ الورى اسمَ الماء
اسمٌ يردّدهُ الأذان مكرّراً ... فى كل صبحٍ طالعٍ ومساء
اسم يرتّله كتابُ الله ما ... عكَفَتْ عليه طوائفُ القرّاء
فالله شرَّفه وعظَّم قدرَهُ ... وأمدّه بصيانة وبقاء

إذ كـان قَـابَي قـوسٍ اوْ أدنى كـمـا   يرضـى وذلك منتـــــهى الإدناء
رفع الحـجـاب فـلاً حـجـاب وإنما   رفع الحـجـاب نهـاية الإرضـاء
كُشف الحجاب فلا حجاب وعند ذا   كــانت مــشــافــهــةً ورؤية رائى
أنّى التـــفتّ رأيت نوراً سَـــارِياً   من نوره فى ســـائر الأجـــزاء
ورأيت نـور اسم الجـلالة واسـمـه   من حـــيث تنظر فى إطار بهـــاء
ورأيت فـــيـــه مظاهراً من ربّه   شـتىّ من الأوصـاف والأسـمـاء
شرفٌ أناف على الذرى وغدت به   أم القـــرى تزهو على الجـــوزاء

قد تجلى لك الإله

ويقول سيدى محمد أمين كتبى الحسنى من قصيدة أخرى له أيضا :

ياجميل الصّفات يا كامل الذّات ويا مظهر الوجود الجليّا
قد تجلى لك الإله فنَادَا كَ وأدناك ثم حَيّا وَبَيّا
فرأيتَ الإله فى ليلة القُرْ ب وشافهتَه وكنتَ حَريّا
وخصوصيةُ المهيمن حلَّتْ منك يا أهلها مَحلاً زكيّا
ورأيت الآيات فيها وشاهدْ تَ من الغيب كنزه المخفيّا
حيث أشرقتَ فى العُلاَ وَتربَّعْ تَ على الأُفْقِ كوكباً دُرّيّا
ومددت الأكوان شرقاً وغرباً مدداً فى كِيانها كُليّا
ونشرت التوفيق حتى أطاع الله من كان فى الضلال عَصيّا
لم يقصّر عنك المحامدَ من خصّك بالحمد والثناء صَبيّا
جمعَ الله فيك كلَّ كمال وجمال فكنتَ براً رَضيّا
مَنْطقاً جامعاً ورأياً أصيلاً وقضاءً عدلاً وقلباً ذكيّا
أنت أهل لها وأحقّ النّا سِ بالمدح سيِداً قرشيّا

ناجيت ربّك

ويقول سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى أيضا من قصيدة له أخرى :

ياسيداً للمرسلين ورحمةً ... للعالمين وغنيةً لمن اغتنى
ناجيتَ ربّك قائماً فى المستوى ... وأجزت جانبَ طُور موسى الأيْمنَا
وأتيتَ بالصلوات خمساً بعدما ... خفّفتها جدّا فكانتْ أضْمَنا
ورأيتَ ربّكَ رؤيةً لايُمترى ... فيها كَمَا رَوَت الثقاتُ مُعَنْعَنا
وأحاطكَ المولى بنور بهائه ... فحمىَ فؤادك أن يزيغَ وحَصّنا
جمعَت فخارك خطبةٌ ألقيتهَا ... فى الرسلِ فى البيت المقدّس مَوْهنَا
لما رأى جبريلُ قوَّة وقعها ... نادى بفضلك فى الجميع وأذَّنا
الله أكبرُ ذاكَ فضلُ محمّد ... فى المرسلين أجلَّ من أن يُعلنا
طوبَى لنا بك يا ابن أكرم حُرّة ... طوبىَ لنا بُشرىَ لنا ولَنا الهَنا
ونعتَّ شكلَ المسجد الأقصى كماً ... طلَبُوا فكنتَ على العقول مُهيمنا
وخصائص لك إن يرُمْها شاعر ... أمْلتْ عليه نظامَها فتفنّنا

فاز النبي برؤية وكلام

ويقول سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى من قصيدة له أخرى أيضا :

ياليلة الإسراء نال نبيُّنا ... فيكَ الإمامةَ وهو خيرُ إمامِ
صلَّى بجْمعِ الأنبياء وقامَ فى ... محراب مسجدهمْ أجلَّ قيامِ
ياليلةَ المعراج حَسبُكِ رفعةً ... نورٌ يضيءُ لكشف كلِّ ظلامِ
ياليلة فى جُنْحِها وسكُونها ... فازَ النبيُّ برؤيةٍ وكلامِ

أشــرق المعــراج

ويقول شيخنا السيد محمد أمين كتبى الحسنى أيضا من قصيدة أخرى له

هَلُمَّ نقُلْ فى المصطفى ونُحَـيِّـه ... بأحسن مَـا حيَّ الكبيرَ صغيرُ
فـقـد أشـرقَ المعـراجُ وامـتـدَّ نورُه ... فـفى كل جـزء فى البـسيطة نورُ
ولَو لَمْ نُؤد الفـرضَ منه تحـيّـة ... لأدّاه يومٌ بالحـبـيب فَـخُـور
ولو كانت الأحداث تمضى سريعةً ... فـتـخـفَى وهذا واضحٌ وخطيـر
ورؤية رب العـرش أكـبرُ حـادث ... وأشــرَفُــه مــرَّت عليــه دُهور
وتكليمه للمصطفى خيرُ نعمةً ... عليــه رَوَتْهــا للأنام عُـصـور
وقد كان فى البيت المقدَّس مفرداً ... لَهُ فـي ذُرَاه منبــرٌ وسـرير
وحسبك أن الأنبيـاء اقـتَدُوا به ... وجـبريل معْه صـاحبٌ وسـمير
فما المستوى من قاب قوسين غاية ... ولكنّ أو أدنى إليك تشـير

أبيــات الهــدار

يقول العلامة الداعى إلى الله الحبيب عبد الله بن أحمد الهدار فى «نسج البردة» :

لقد سريتَ من البيت الحرام إلى الْـ ... ـقُدْس المبارَك فى وقت من الغسم
هناك ألفـيتَ رسْلَ الله واقـفـةً ... فجئتَهم قـادَماً فى مَظْهَـر فخم
وقد تقدّمت للمحراب فانتظَمَت ... صـفـوفُـهـمُ مـثل دُرّ بَان منتظم
صلّوا وراءك والأفراح تَغْمُرُهُمْ ... لأن نورَهـمُ من نـورك التـمـم
قد ارتقيتَ إلى السبع الطباق على ... ظهـر البراق سريع الخطو والرسم
مـازاغ قلبُك ياثبتَ الجَنان لدى ... تكليم ربك ذى الإفضال والكرم
رأيتَ آياتِه الكبرى التى بَهَرَتْ ... عيناك أعطاك فضلاً غير مقتسم

عـرس الزمـان

ومن غـرر القصائد النبـوية والمدائح المحمـدية هذه القصيدة السنية لفضيلة الأستاذ الأديب الكبير السيد الشيخ محمـد بدر الدين المصرى ، بعنوان : «عرس الزمان» :

هـذا اللـواءُ وهـذا اللـوحُ والقَلَـمُ ... فـاحكُم بما ترتضى لا ينقض الكَلِمُ
جبريلُ يسعى على الآثار تَتْبَعُـهُ ... مـن الملائك آلافٌ هُـمُ الخَـدَمُ
أمـا النبيُّـون والأخيـار كلُّهُـمُ ... وراء ركبك فـالأتبـاع والحَشَم
هذا الثـرى قُـدُسٌ لما خطرتَ به ... لو أنصفَ الناس لم يخطر به قـدم
الخَـدّ أولى به لو أنهم عَلمُـوا ... والرأس أولى به لو أنهم فـهـمـوا
والليل لما سجا قد كان يسمع ما ... تدعـو به ويصيح القـاع والأكم
والأفْق كـانت له أقدامكم أفُقَـا ... والنجم لما هَوَى قـد كـان يستلم
والصخرة البرَّةُ العصماءُ يجذبها ... شـوقُ فتوشك للآفـاق تقتحم
والأرض تَخشى القلى فَتبيت ضَارعة ... والعُرس يرجو اللِّقا فيبيت يبتسم
يَا للسمـاء علىَ أبوابهـا زُمـرٌ ... والنجم من حولها كـالجند ينتظم
وكل صـاحب أمـر من مـلائكة ... قـد جاء يسأل مـاترضى فيلتزم
عُرْسُ الزمان ويوم العُرب ماعرفوا ... من قبله أنَّ هذا الأُفْقَ يُقتحم
بصيرة حُمّلَتْ فوق الذىَ صَعقَتْ ... منه الجبـالُ ومَـادَتْ وهْيَ تَرتطم
وهمة لم تَجد فى الأرض غايَتها ... فـشـمَّـرت للقـاء الله تعتزم
وآية من شؤون الغيب مَابَرحَت ... فوق الظنون ومـاتَدْنُو لهـا الهـمم
ياقـدرةَ الله والإبداعُ آيتـهـا ... والجسمُ صُنعتها والروح والسدم

لم ينكروا من ضجيج الأرضِ قاذفةً ... ترمى النجوم ولم يسمع لهم كلم
أمـا محـمـدُ والمعراج كم هتفـوا ... هذا محالٌ وهل تغشى السُّرَى قدم
لعله الوهم أو أسـرى به حُلُم ... كم رَدَّدُوا وبظهر الغيب كم رجموا
أقُدرةُ الله ياللناس قـد عـجزت ... عن حـمله أمْ حـديث الله يُتَّـهم؟
والنجمُ شـاهدُهُ والروحُ رائدُه ... وقـاب قوسَين لم تقعد به الهمم
وسدرة القرب يغشاها الجلال فلا ... تطيقه وهو لا يهتز أو يجم
مـحـمـدٌ لاتطيق الشمسُ وطأتَه ... لو رامها لتهاوَتْ فوقها الرُّجُم
لئن سَرَوْا فى غـد للأفق أيْن لهم ... من بعـد ذلك قرب الله والنعم
فليبلغُوا النجمَ أو تمضى مطيَّتُهُم ... من بعـده فَلحـد تُجذب اللُّجُم
أمـا مـحـمـدُ فالأقدار مَركَبُه ... واللهُ مطلبُهُ لا السبق والنهم
عينى وكيف رسول الله منطلقا ... عينى وكيف رأى والعالَمون عموا
عينى وكيف نداء الله يُسعفُه ... عينى وكيف ولا أذْنٌ ولا كلم
ولا عيونٌ ترى بل كلُّه بصَرٌ ... وكله أذُنٌ يسرى بها النغم
عينى وكيف وميضٌ فى مباسمه ... وكيف عانقه فى عوده الحَرم
وكيف ترقص حبات التراب لدى ... مواطئ حُبُّها دينٌ ومعتصم
ألم تطف حول عرش الله أمسيّة ... ألم تَبتْ من معين القرب تلتهم
ياليتنى فى سُراه بعض بُردته ... من لى بها بجميع الأرض أقتسم
حتى أراه وحبّ الله يسعفَه ... وحامل الوحى عند الباب يلتزم
والغيب يهتف لاجنٌ ولا ملَكٌ ... يرى الذى قد رآه المفرَد العلم
هذا مقامك لاجبريلُ يدركه ... ولا النبيُّون خَبُّوا فيه وازدحموا
هذا اللواء وهذا اللوح والقلم ... فاحكم بما ترتضى لا ينقض الكلم
وكن بها واحدَ الدنيا وسيّدَها ... وشافعَ الناسِ يوم النار تُضطرم

من وحي الإسراء والمعراج

لفضيلة الأديب الكبير الأستاذ محمد ضياء الدين الصابونى «شاعر طيبة وآل البيت» :

جَرَى الشوقُ فانسابتْ مدامعُهُ ... وَهَاجَه الوجدُ فاهتَّزت أضالعُهُ
قد عزّه الصبرُ والسلوانُ لوعَه ... وأرَّق السّهد فانقضَّتْ مضاجَعه
متيم لذّع الهجران مهجتَه ... ومُدنف من جلال النور مصرعُه
يَبيتُ يُرعى نجومَ الليل فى حرق ... لله من فكرة باتت تلذّعه
يظلُّ فى الغار يدعو ربَّه أملا ... وليس إلاَّه فى الظلماء يسمعُه
لما تمادت (قريش) فى غوايتها ... وطُغْمةُ الجهل قد راحت تروّعه
فَيمَّمَ الطائفَ المأمول نصرته ... فلم يجد مَنْ يواسيه ويمنعه
جهالةُ البغي طافت فى ربوعهم ... والبغيُ يرتع قد طابت مراتعُه
ضلَّت ضلالاً كبيراً فى جهالتها ... وما ارْعَوَتْ وشراب البغيَ تكْرَعه
فذاكَ يعبد صَخراً ثم يحطمه ... وذا يؤلّه تَمْراً ثُمَّ يبلَعُه
وذا يَدُسُّ فتاةً فى التراب ولاَ ... يُثنيه عن عزمه خلق ويمنعه
لم يَخْش ضُرّاً وعينُ الله تحرسه ... مَنْ يتق الله حقاً لا يضيّعُه
إنْ لم تكن غاضباً عنيِّ فَلاَ أحدٌ ... أعزَّ منيّ إليك الأمرُ مرجعه
تحسَّرَ الليلُ عَنْ فَجْر أضَاءَ لَهُ ... شعابُ مكةَ نحو القدس منزعه
سرى إلى حبّه الأعلى عَلَى شَغَف ... والشوقُ يُلهبُه والحبُّ يدفعُه
حتى أتاه وأمَّ الأنبياءَ به ... وكلُّهم برسول الله مطمَعُه
ثم ارتقى للسموات العلا صُعُداً ... بالروح والجسم والأشواقُ تلدعه
فِي سدرةِ المنتهى تغشاه عاطفةٌ ... لولاَ الجمالُ لَقَدْ كادت تروعِه

لقـد رأى ربَّه فـاهتـزَّ منْ طَرَبِ الـ ـلقُيا وقد طَفرت في العين أدمُعُه
رأى بعـــينيـــه من آيات بارئه مالم يَزغْ بصَرُ الهادي وَمسْمَعُه
وفُتحت لك أبوابُ السماءَ وقد عـرفتَ كلَّ نبي أيْن مـوضـعُـه
هُو الحبيب وقد أسرى به شرفاً على بدائعِ خلقٍ راح يطلعـــه
أعْظمْ بهـا رحلَةً وضـّاءَ مشرقةً على البراقِ وروحُ القدس يَتْبَعُه
هناكَ ناجاه ربٌّ الكون عن كَثَبٍ كـما يناجى حبيباً مَن يُودّعُه
سَلْ يامحمدُ ماَ ترجو بلا رَهَبٍ عـهـدٌ إليكَ لمن يهـواك أقطَعُه
ربَّاه مـاليَ من ذُخـر ومن أمَلٍ فـأُمَّـتي أُمَّـتي ذُخْـرٌ أُجَـمِّـعُـه
رّباه دعـوةُ حق قـد دعَـوْتُ بهـا فمن سواك لصوت الحق يسمعه
جـاءَ الخطابُ وقرَّت عينُ سيدنا فـيـه من الكلم المختـار أروعـه
وعـزّتي وجـلالي مـاتقـدّم لي عـبـدٌ بطاعـتـه إلا أشـفّـعُـه
مَن شـاَء أن تبلُغَ العليـاءَ رتبـتُه فـذا طريقُ عـروج الروح تتبـعـه
ونَقِّ قلبك منْ حـقـد ومن حَسَد ولاَ تفكّرْ بسـوء سـوف تصنَعُه
ومنْ تكُنْ برسـولِ اللهَ قـدوتُه أصابَ نُجْحاً وجاء الكون يخضعه
مـالي أروع من نار الجحيم وقـد وقـفتُ في بابه المرجُـو أقـرَعُه
وهل يَخيبُ امرؤٌ قد باتَ متّصلاً بسيّدِ الرسل مبغاه ومفزعه

تـاج المعـــــراج

يقول شاعر آل البيت صديقنا وحبيبنا الأستاذ محمود جبر رحمه الله :

تاقَتْ لرؤيتك الأملاكُ فارتَفَعَتْ ... أصواتُهم ترتجى رؤيا حبيبهمِ
وشاء ربُّك أن ترقى لحضرته ... وأن يخُصَّك بالرؤيا وبالكَلِمِ
وجئتَ ساحةَ مَنْ أعطاك شرعتَه ... ومن حباك بأوفى فضله العَممِ
منا السلامُ على من جاء ساحتَنا ... ياخاتَمِ الرسل سل ماشئتَ من نعَمِ
من نال مانلتَ يا «طهَ» ولا عجبٌ ... لاينكر الشمسَ يامختارُ غيرُ عَمِ
هذا الذى فى سماء العلم نلمسُه ... من الخوارق يتلو غير منجزم
يُشير فى وَضَحٍ عن صدق بعثته ... ويكشف السرَّ عما غاب عن فهم
معراجُه صلوات الله تكلَؤُه ... وقوة الله شيءٌ بالغُ العِظَمِ
والكهرباءُ أليست كشفَ تجرُبةً ... تلقى الضياء على أسرار ربهم
آيات مولايَ تترى كل آونَةً ... سبحان من علَّم الإنسانَ بالقلم
أيؤمنون بذَرٍّ سوف يهلكُهُمً ... ويكفُرون بربِّى بارئِ النَّسَمِ
أيٌّ الصواريخ أقوى من حسابهمِ ... من القوارع والزلزال فى النقم
هل يزعمون بأن الكون قبضتُهم ... والخلق فى كفّهم تقتادُ بالخطم
لقد أتى الأمر أمر الله فانتبهوا ... ستقضمون بنان الكفّ من ندم
يارب يارب إن القوم قد فجَرُوا ... وفجَّروا الذر للإضرام والحمم
والأمر أمرُك فاهلكهُم بما صنعوا ... وانقذْ عبادك من حتف ومخترم
ياموُقد الحرِب والتسعير هل ضمنت ... سياسة الفتك ما أمّلتً من سلم

مـا أعـجب النار تبنى مـاتحـرقـه وأعـجب الجـهل يهدى نعـرة العـرم
وأعجب البطش يُحْيِى أنفساً ذهبَتْ فى سـاحـة الحـرب عنواناً لمجـتـرم
ما أحوج الناس للتنفير من حرب آثارها مـسـرف يدعـو إلى الشـجم

الإسَــــراء وَالمعــــــراجُ

وقد نظم العلامة داعية الإسلام الشيخ محمَّد متولى الشعراوى قصيدة عظيمة فى الإسراء والمعراج ، نقتطف منها هذه الأبيات :

ياليلةَ «المعــــراج» و «الإســـــراء» وحى الجــلال وفــتنة الشــعــراء
الدهر أجـــمع أنت ســـر نواته وبمـــا أتـــاك الــلــــه ذات رواء
فلك العــلا دارت عليـه شـمـسُـه والشــمسُ واحــدةٌ من الإنشـــاء
من ذا الذى يحظى بما استعصى على «موسى وعيسى» صاحب الإحياء
لله عــذراء بتــيل خــصــرها !! من ذا الذى يحظى بتى العــذراء؟
لاغرو إن كـانت كعـاب «محـمد» إن العـظيـم يكـون للعـظمـــاء
ياليلةً فى الدهر جَلَّ مـقـامـهـا نورٌ عليك يفــــوق نـور ذكــــاء
ياليلةً فـيـهـا الفـضـائل أينعَتْ لنبــينا ذى الرتبـــة العليـــاء
ياليلة صـارت لأمـة «أحـمـد» عــيـــداً تجـددُه يدُ العظمـــاء
ياليلةً قُـصى حــديثـاً شــائقـاً عــمـا عــملت فــأنت أصــدقُ راء
ياليلةً قـصّى حـديثَ «مـحـمـد» كي تبــتـرين جــهــالة الجــهــلاء
قُـصّى بربك مـاعلمت ومـا الذى قــد حــازه ذو العــزة القـعــسـاء
قُـصّى حـديثَ رسولنا خيـر المَلا قُـــصّى علينا أطيبَ الأنبــــاء
هل فى سكوتك لى مـجيبٌ ناطقٌ يحنو على مــســتـوكف الأنبـــاء
إن كنت تبــغينَ الدلال فــإنّنى صَبٌّ أحنّ إليك كـــالورقـــاء
أو كنت تبـغين انقبـاض وصـالنا أعلى المشـوق تعـزز الهـيفـاء ؟

فصِلى برغم الحاسدين وخَبِّرِى ... فالخبر منك يزيل كلَّ عَناء

تَلبيَةٌ وعَطفٌ:

رقَّتْ ولبَّتْ وانحنَتْ طرَباً معى ... قد أمطرتْنى سحرها ودوائى

قد أمطرتنى من ثناياها المنا ... قولاً أتى كالغيث للجَدْبَاء

قالت : وقد دارت بكأس شمولها ... كفٌّ النداء فذاك خير بداء

يامن تنادى ، ما أقول وقد بدا؟ ... «إسراؤه» و «عروجُه» بجَلاء

المنكرون لماَ يقول «محمدٌ» ... لاشك فيهم خلة السفهاء

لكن سأَذكر نبذةً مما جرى ... فاسمع فإن الخير فى الإصغاء

وقال: كيف كان الإسراء والمعراج :

قالوا : بأنكَ كنتَ فى سنَة الكَرَى ... وسريتَ ثم عرجتَ فى إغفَاء

قد كنتَ يقظاناً بجسمكَ سارياً ... لكن رجعتَ بسرعة الوجناء

رَدٌّ عَلى المُنكِر:

إن كان هذا يستحيل وجودُه ... فلغير «أحمدَ» سيد الغُبْراء

إن لم يكن «إسراؤه» و «عروجه» ... منهم غريباً ما حَظى ببهاء

فَاذْعَنْ بمعجزة تخص «بأحمد» ... نور البسيطة دوحة الزهراء

وقد انتهى «معراجُه» فلتُؤمنُوا ... ولْتَقبَلُوهُ مرتّباً ببنائى

همزية العربى الرحالى

يقول العلامة النحوي الفقيه الأصولي الشيخ محمد العربى بن بهلول ابن عمر الرحالى فى همزيته « تحفة المادح للخاتم الفاتح » :

كنتَ فى المسجد الحرام فأسْرى ... بكَ للأقصى فغار منه حراءُ
جَاءَ جبريلُ بالبراق لتَرقى ... فَارْتَقَيْتَ ارْتقَا مافوقُ ارتقاءُ
عجزَ البرقُ عن خُطاه فما ... للبرق فى السَير بالبراق استواءُ
فى أقلّ الزمان كنتَ لدى القُدْ ... سِ فانطوَتْ فى مسيرك الصحراءُ
فربطتَ البراقَ فى جانب الصخـ ... ـرَةِ جاءَت تزوركَ الأنبياء
فتقدَّمتَ للصلاة فَصليـ ... ـتَ إماماً والكلّ منكَ وَراءُ
ثم كانَ العروجُ فوقَ السما ... ء سرتَ بالجسم مالَدَيْنا امتراءُ
حينَ تمَّتْ لكَ المعارجُ عَشْرا ... عُرفت كُلُّها لَها أسْماء
فانْتهَى جبريل الأمين لدى التَّا ... سِعِ منها وَعَزَّ منه اعْتلاءُ
فرأيتَ الإلَه رؤيةَ عين ... فانتفَى الكيفُ وانتفى الرُّقَبَاء
وخطابٌ جَرى وأنتَ قريبٌ ... أيْنَ موسى الَّذى لَهُ الإصْطفاءُ
كلماً استفتح الأمينُ سماءً ... بكَ قامتْ تُرَحّبُ الأنبياء
ويُنادى بِباب كلِّ سماءٍ ... قَدْ أتى أحمدَ النبيَّ النداءُ

(مقتطفات منتخبة)

المهدى محمود عبد الله :

وللشاعر المهدى محمود عبد الله قصيدة فى هذه المناسبة ، يقول فى مطلعها :

بك مرحباً ياصاحب الإسراء ... وأجلَّ مبعوث بخير ضياء
ياخَير مَن ربُّ السماء اخْتَصَّه ... دون الأنام بنعمةٍ الإسراء
وحباك بالخُلُق الكريم وكيف لا ... تحظى بكل تجلّة وثناء
قبس من المعراج والفيض الذى ... غَمَرَ الوجودَ بساطعٍ الأضواء
لَمَّا سموتَ إلى السماء مكرَّماً ... فى موكب متألق وضَّاء
فبلغتَ أسمى غاية ومكانة ... جلَّتْ عن التنويهٍ والإطراء
ورأيتَ ربَّ الكون جل جلالُهُ ... حقاً بنور بصيرة الحوباء
نورٌ على نور فليس كمثله ... شئٌ تعالى صاحبُ الآلاء
سبحانه أعطى فأرضى عبدَه ... فى الدين والدنيا أجلَّ عطاء

عزيز آباظه :

وللشاعر الأستاذ عزيز آباظة قصيدة عظيمة أيضا :

سبحان من أسرى بخير عباده ... واللَّيلُ قد ستر الدُنَا سرباله

* * *

هل عاجزٌ عن رفع إنسان إلى ... ملكوته بالجسم أو بالروح
الحق أبلجُ غير أن الكفر يَسْ ... تشْرى فيطمس فيه كل صحيح
سرْ يا محمدُ فى سبيلك لا تضقْ ... ذرعاً بتكذيب ولا تجريح
اللَه واعدك النجاحَ وأنَّهُ ... آتيك فى يومٍ أغرّ صبيح

السيد طه بن حسن السقاف:

ويقول الشاعر الأديب الحبيب طه بن حسن السقاف في "معارضة البردة :

من مكةَ الخير عند البيت والحرم | أسرى بك اللهُ للتشريف والكرمِ
سريتَ ممتطياً ذاك البراقَ إلى | قُدْسٍ فيالَه من ركب من الحرم
وجدت بالقدس كلَّ الأنبياء بهِم | صليت والرسلُ قد صفُّوا على قَدَم
وقابَلُوك بترحاب وتهنئة | أنت المفضَّل فيهم صاحبُ العَلَم
إلى السماء عروجٌ نِلْتَ تكرُمَةً | جبريلُ في الركب والأملاكُ كالخَدَم
ملائكُ في السماوات العُلى هرعوا | مرحّبين بطه زاكيَ الشِيم
لاقيت نوحاً وكل الأنبياء بها | عيسى وموسى ويحيى عاليَ الهمم
إدريس آدم إبراهيم سيدنا | وأنت أفضلهم في البَدْء والخَتَم
ونلتَ مانلتَ من مولاك تكرمةً | أعطاك من كل خير أوفرَ القِسَم
الله أعطاك أسراراً وخصَّك بِال | إكْرامِ منه وبالإرسال للأُمم

قائمة المراجع

كتب التفسير

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
١	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى « القرطبى»	دار الكتب العلمية
٢	تفسير ابن كثير	أبو الفداء «ابن كثير» الدمشقى .	المكتبة التجارية مكة المكرمة
٣	تفسير الطبرى	أبو جعفر محمد بن جرير « الطبرى »	دار الفكر

كتب الحديث

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٤	صحيح البخاري	أبو عبد الله محمد بن إسماعيل «البخارى»	دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان
٥	صحيح مسلم	«مسلم» بن الحجاج القشيرى النيسابورى	دار الفكر للطباعة بيروت
٦	فتح الباري شرح صحيح البخارى	الحافظ « ابن حجر العسقلانى »	دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
٧	شرح النووى على صحيح مسلم	محي الدين أبو زكريا يحيى « النووى »	دار الكتب العلمية
٨	عون المعبود شرح سنن أبى داود	الشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادى	دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
٩	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	الشيخ على بن سلطان محمد القارى	المكتبة التجارية مكة المكرمة
١٠	التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح	الشيخ محمد إدريس « الكاندهلوى »	الهندى

كتب الحديث

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
١١	الكاشف عن حقائق السنن على مشكاة المصابيح	الإمام شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله «الطيبى»	إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي ، باكستان
١٢	دلائل النبوة	أبوبكر أحمد بن حسين «البيهقى»	دار الكتب العلمية
١٣	كشف الأستار عن زوائد البزار	نور الدين على بن أبى بكر « الهيثمى »	مؤسسة الرسالة
١٤	مجمع الزوائد	نور الدين «الهيثمى»	دار الكتاب العربى
١٥	مشكاة المصابيح	محمد بن عبد الله «الخطيب التبريزى» تحقيق محمد سعيد اللحام	دار الفكر بيروت
١٦	إرشاد السارى شرح صحيح البخارى	الحافظ أحمد بن محمد « القسطلانى »	

المراجع الخاصة بالإسراء والمعراج والسيرة

١٧ - السراج الوهاج فى حقائق المعراج

« لأبى إسحاق محمد بن إبراهيم «النعمانى» المصرى طبع بمطبعة الاعتصام.

١٨ - الآية الكبرى فى شرح قصة الإسرا

« لجلال الدين «السيوطى» طبع بمطبعة دار ابن كثير بدمشق

١٩ - الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة

« لشمس الدين محمد بن يوسف «الشامى» مخطوط

٢٠ - الابتهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج

لنجم الدين محمد بن أحمد «الغيطى» طبع بمطبعة بولاق بمصر

٢١ - حاشية الشيخ أبى البركات أحمد بن محمد العدوى الشهير «بالدردير»

على معراج الغيطى طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبى

٢٢ - النور الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج

لزين العابدين بن محمد الهادى «البرزنجى» طبع بمطبعة الآداب والعلوم بدمشق

٢٣ - تاج الابتهاج على النور الوهاج

للسيد جعفر «البرزنجى» طبع بالمطبعة الحميدية بمصر

٢٤ ـ قصة المعراج للسيد عثمان شطا

طبع بمطبعة الشرقى الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحمية

٢٥ ـ المنهاج السامى مختصر المعراج الشامى (ضمن كتابه الكبير : "جواهر البحار"

للشيخ يوسف بن إسماعيل « النبهانى »

٢٦ ـ ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج

للشيخ «محمد أمين الكردى» الإربلى طبع بمطبعة السعادة بمصر

٢٧ ـ الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى لسيد الأنبياء

للشيخ نافع الجوهرى الخفاجى طبع بالمطبعة المنيرية بالأزهر

٢٨ ـ يواقيت التاج الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج

لأبى الهدى محمد الباقر الكتانى طبع بمطبعة الأمنية بالرباط المغرب

٢٩ ـ السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

للسيد محمد ماضى أبو العزائم طبع بدار المدينة المنورة بمصر

٣٠ ـ أفضل منهاج فى إثبات الإسراء والمعراج

للشيخ عبد الله مصطفى « المراغى » طبع بمطبعة السنة المحمدية

٣١ ـ الإسراء والمعراج

للشيخ عبد الحليم محمود طبع بمجمع البحوث العلمية بالأزهر

٣٢ ـ السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

للشيخ محمد الأمير العمرانى طبع بمطبعة الأمانة بمصر

٣٣ ـ الجمانة اليتيمة فى ذكر معراج الذات العظيمة

للشيخ محمد المجذوب السودانى   طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبى

٣٤ ـ الإسراء والمعراج

للشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر   طبع بمطبعة الأزهر

٣٥ ـ الإسراء والمعراج

لمحي الدين الجراح   طبع بدمشق

٣٦ ـ الإسراء والمعراج

للشيخ محمد متولى الشعراوى   طبع بدار التراث الإسلامى بمصر

٣٧ ـ معجزة الإسراء والمعراج

للشيخ أحمد قلاش والشيخ محمد زينو   طبع بمطبعة الحضارة الإسلامية بحلب

٣٨ ـ الإسراء والمعراج

لمحمد أنس المراد   طبع بمطبعة العلم سنة ١٣٨٩هـ

٣٩ ـ الإسراء والمعراج

لموسى محمد الأسود   طبع بالكويت

٤٠ ـ الإسراء والمعراج المنسوب لابن عباس   طبع بمصر

٤١ ـ الإسراء والمعراج   من تفسير الحافظ ابن كثير

تعليق إسماعيل الأنصارى   طبع بمطبعة الرياض الحديثة بالرياض

٤٢ ـ معراج المصطفى ﷺ كما رواه أنس بن مالك وغيره من الصحابة
طبع بمطبعة المهاينى بدمشق

٤٣ ـ الإسراء والمعراج مجلة الإسلام رجب ١٣٩٢
طبع بمطبعة المجلس الإسلامى الأعلى بالقاهرة

كتب السيرة

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٤٤	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية	الحافظ أحمد بن محمد «القسطلانى» تحقيق صالح الشامى	الكتب الإسلامية
٤٥	حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار	الحافظ عبد الرحمن بن على بن محمد المشهور «بابن الديبع» تحقيق عبد الله ابراهيم الأنصارى	المكتبة المكية
٤٦	سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد	الحافظ محمد بن يوسف «الشامى»	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة
٤٧	السيرة الحلبية	الشيخ على بن برهان الدين «الحلبى»	المكتبة الإسلامية بيروت
٤٨	السيرة النبوية والآثار المحمدية	السيد أحمد بن زينى دحلان (هامش الحلبية)	
٤٩	كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب	الحافظ جلال الدين «السيوطى»	دار الكتب الحديثة مصر

المدائح والدواوين

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٥٠	المجموعة النبهانية	السيد يوسف بن إسماعيل « النبهانى »	بيروت ـ لبنان
٥١	نهج البردة	محمود جبر شاعر آل البيت	دار الكتاب العربى بمصر
٥٢	تحفة المادح للخاتم الفاتح	محمد العربى بن البهلول بن عمر الرحالى	المغرب
٥٣	ديوان البرعى	للسيد عبد الرحيم «البرعى»	القاهرة
٥٤	المدائح الحسينية	أحمد خيرى	الاعتماد بمصر ١٣٧١
٥٥	قصيدة الباكورة	محمد متولى الشعراوى	دار التراث الإسلامي
٥٦	المسك الفائح فى سيرة من تشرفت به المدائح	طه بن حسن السقاف	
٥٧	نفحات حب وخلجات قلب	محمد ضياء الدين الصابونى	

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٥٨	نفح الطيب فى مدح الحبيب	السيد محمد أمين كتبى	
٥٩	طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء	السيد يوسف بن إسماعيل «النبهانى»	
٦٠	روضات الخطيب	محمد خليل الخطيب	طنطا
٦١	نسج البردة	الحبيب عبد الله بن أحمد الهدار	مصر
٦٢	نهج البردة	أحمد شوقى	
٦٣	كشف الغمة فى مدح سيد الأمة	محمود سامى البارودى	مصر

كتب اللغة

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٦٤	النهاية فى غريب الحديث	مجد الدين المبارك بن محمد الجزرى «ابن الأثير»	دار الفكر - بيروت
٦٥	المصباح المنير	أحمد بن محمد بن على «الفيومى» المقرى	مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت
٦٦	تاج العروس شرح القاموس	محمد بن محمد «المرتضى الزبيدى»	
٦٧	مختار الصحاح	محمد بن أبى بكر بن عبد القادر «الرازى»	مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت

الفهرس

مكتبـــة
دار جوامع الكلمة .. للتوزيع والنشر
الأزهر - القاهرة